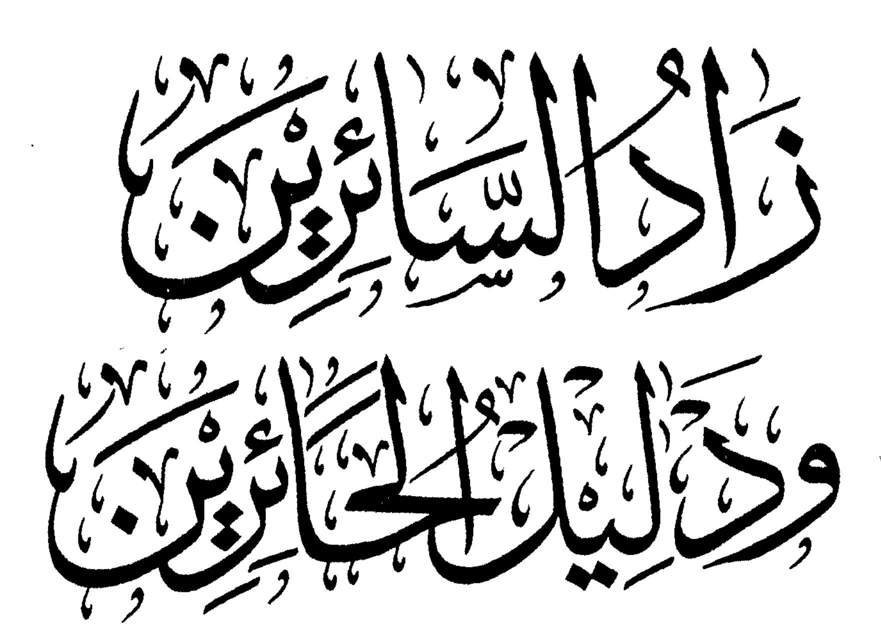



تقديم فضيلة الشيخ
أحمد المحلاوي

تقديم فضيلة الشيخ
أحمد فريد

إعداد
أمة الله
أم عبد الرحمن
سلوى صالح

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩






اسم الكتاب: زاد السائرين ودليل الحائرين.

تأليف: أمة الله أم عبد الرحمن سلوى صالح.

رقم الإيداع: ١٨٦١١ / ٢٠١٣.

نوع الطباعة: ٢لون.

عدد الصفحات: ٣٠٤.

القياس: ١٧×٢٤.



تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف: عادل المسلماني.

الطبعة الأولى

٢٠١٣




دار الإيمان

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

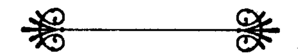
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com



# خطوات إلى الحياة الطيبة

## الإهداء



* إلى كل من يسير على الدرب ، ويبذل كل غالٍ ونفيس ، لإعداد جيل مؤمن .

* إلى كل من يعيش في تيه من التفكير والسلوك ، ويبحث عن حياة طيبة .

* إلى كل مسلم أراد له عملاء الشرق الشيوعي والغرب الصليبي أن يترك دينه ليسير في موكب التبعية .

* إلى أبنائي وبناتي الأعزاء حفظهم الله ... إلى أحفادي أبطال الغد ، وصانعي التاريخ القادم ، الأمل المنتظر ، والفجر الصادق ، والنصر الموعود ، ها هي خطوات الحياة الطيبة ، الدرة المكنونة ، والجوهرة المفقودة بين أيديكم، الدرب واضح ، والمنهج مرسوم ، والنبي ﷺ خير قائد ، والرب خير مُعين ، فمن سار ووصل فليحمد الله الكريم المنان ، ومن تخاذل وضل فلا يلومن إلا نفسه .

**أمة الله**

**سلوى صالح**

## مقدمة فضيلة الشيخ

## أحمد المحلاوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ... وبعد ،

فإن وظيفة الإنسان قد حددها ربه ، حتى تكون على بينة من أمره. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات : ٥٦] ، والعبادة معنى واسع يشمل كل نشاط الإنسان، ومكان هذه العبادة الأرض كلها . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة : ٣٠]، وزمنها ممتد ما بقيت الحياة ، وبالنسبة للبشرية ، تبدأ العبادة من قبل ميلاد الإنسان إلى ما بعد وفاته، ولكن المعروف عند العامة أن الإنسان يبدأ تكليفه من البلوغ، وينتهي بالوفاة ، وهذا صحيح بالنسبة للأفراد، ولكن بالنسبة للمسلمين فإنهم كالجسد الواحد، يتعاونون على عبادة الله، وعلى ذلك فإن الإنسان إذا أراد أن يتزوج فإنه مطالب أن يختار ذات الدين ، وكذلك ولي المرأة يختار لها من يرضى دينه وأمانته ، وذلك من أجل تحصين الصلب والرحم لاستقبال الذرية ، وكذلك عند مباشرة الزوج لزوجته، يُطلب من أن يعوذا ابنه من الشيطان، وبذلك يكون الولد قد عَبَدَ الله قبل أن يُولد في صورة اختيار الأزواج وتحصين المولود ، وعندما يموت العبد فإنه يبقى من عبادته أن يُغسل ويُكفن ويُصلى عليه ، وبذلك يحقق قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [ الأنعام:١٦٢-١٦٣] ، ومن أجل أن العبادة بهذه المنزلة كان لابد للإنسان أن يعرف تفاصيلها ودقائقها ، إيمانًا يبلغ اليقين، وعملاً دءوبًا على منهج النبوة ، ومما يضاعف مسئولية الإنسان عن كل لحظة ، وكل حركة في حياته ، إن العبادة التي هي وظيفته الوحيدة لا ينتهي أثرها بالحياة الطيبة في الدنيا، بل إن هذا الأثر خالد في جانب ، وفي جانب آخر نعيمه لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فالإنسان في هذه الحياة غريب أو عابر سبيل ، وحياته الحقيقية في الآخرة، والإنسان كذلك لا يستطيع أن يحقق في هذه الحياة كل ما يشتهي ويتمنى ، وذلك موقوف على قدرته وإمكاناته ولكن يستطيع أن يبلغ

بعبادته من الآخرة فوق ما يتمنى، مهما كانت قدرته محدودة ، فليست الجنة حكرًا على الأغنياء أو الأقوياء، قال الله تعالى :﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[ سبأ : ٣٧ ] .

من أجل هذا كله وغيره اشتدت حاجة الإنسان إلى ما يعينه على تحقيق عبوديته، واتقان عبادته لذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وكذلك اهتم العلماء أشد الإهتمام بتوضيح معالم الطريق ، عونًا منهم للسائرين وإرشادًا للسالكين ، وإنقاذًا للحيارى، فأكثروا الخطب ، وألفوا الكتب ، وجعلوا الأمر مُيسرًا لأصحاب الهمم والعزمات.

وعلى المحبين لله وللرسول والراغبين فيما عند الله ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾[ النحل :٩٦] ، الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه ، أن يشمروا عن سواعد الجد ، وأن يحرصوا على أوقاتهم أن تنقضي في غير عبادة الله، وأن يحرصوا على جهدهم أن يبذل شيئ في معصية الله.

ومن فضل الله وعظيم أنعمه هذا المؤلَف «**زاد السائرين ودليل الحائرين**» لمعدته السيدة الفاضلة / أم عبد الرحمن . الأستاذة / سلوى صالح ، التي أرادته إضافة لما سبق من خطب الخطباء وعظاة الواعظين وكتب العلماء العاملين ، وطريقًا مُعبدًا إلى الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة المنشودة في الآخرة ، على أساس من كتاب الله تعالى، وما صح من حديث المصطفى ﷺ ، وما نقله من أقوال الثقات من العلماء، وهي جهد مشكور وعمل صالح ، أسأل الله أن يجعله لها ذخرًا طيبًا ، ورصيدًا مباركًا ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، كما أسأل الله تعالى أن يكثر به النفع ، وأن يجعله عونًا لمن يطلع عليه ، وأن يعين صاحبة الكتاب على أن تشفعه بكتب أخرى ، فذلك بين الصدقة الجارية والعلم النافع، إن الله سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين .

**وكتبه**

**أحمد المحلاوي**

**خطيب مسجد القائد إبراهيم - الاسكندرية**

## مقدمة فضيلة الشيخ

## أحمد فريد

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمَّن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه، ودعا عباده إلى دار السلام، فعمهم بالدعوة محبة منه عليهم وعدلاً ، وخصَّ بالهداية والتوفيق من شاء نعمه ومنه وفضلاً، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين، وحجة للسالكين ، ونعمة على العباد أجمعين، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء، وسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى صراط الجحيم، ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيي من حيى عن بينه وإن الله لسميع عليم .

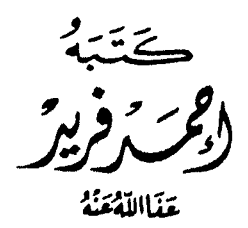
**ثم أما بعد :**

فقد تصفحت كتاب الأخت المباركة (أم عبد الرحمن سلوى صالح )**[زاد السائرين ودليل الحائرين]** ، وكذا ما حصلت عليه من إجازات علمية بتقدير «امتياز» في حفظ القرآن الكريم برواية حفص وورش ، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ** » ، وقال ﷺ : « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ**

الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » ، واستشعرت وأنا أتصفح الكتاب أنها أرادت أن تنصح الناس عامة ، والأخوات المسلمات خاصة ، وأن تبين لهم طريق الرفعة والسعادة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وهذا الطريق باختصار ما تتضمنه الآية الكريم ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧]، فالطريق هو الإيمان والعمل الصالح ، وقد ضل أكثر الناس عن هذا الصراط المستقيم ، فطلبوا الحياة الطيبة في المذاهب الأرضية والإعراض عن وحي السماء واتباع شياطين الإنس والجن، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ الأنعام :١١٦ ] ، وقال تعالى :﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣] .

طلب كثير من الناس السعادة والرفعة في العلمانية والليبرالية التي تقوم على تنحية شريعة الله -عز وجل- أو اتباع الأهواء ، وكل من أعرض عن الهدى وقع في اتباع الهوى ، كما قال تعالى :﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [ القصص : ٥٠ ] .

أسأل الله تعالى أن يبارك لأختنا في علمها وعملها ، وأن يزيدها الله -عز وجل- توفيقًا ، وأن ينفع بها وبعلمها ، وأن تكون أسوة حسنة صالحة لبناتنا، وأخواتنا ، وأن يتقبل كتابها بقول حسن ، وصلى الله وسلم وبارك على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .



## المقدمة

الحمد الله رب العالمين، حمدًا كثير طيبًا طاهرً مباركً فيه، الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله إذا رضي، والحمد لله بعد الرضى، والصلاة والسلام على أشرف وأعز المرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آلـه وأصحابه وأتباعه، ومن إهتدى بهديه إلى يوم الدين.

**ثم أما بعد :**

قال الله سبحانه وتعالى ، وهو أصدق القائلين: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]

من يارب هذا الذي وعدت ووعدك حق؟!.

لمن يا رب هذا الذي أكدت وتأكيدك صدق ؟! .

من يا رب هذا السعيد الذي سلك الطريق ؟!.

من يارب هذا الذي ملك طوق النجاة، والبحر قد أضطرب والهلاك قد إقترب ؟!

من يارب هذا الذي برعايتك وعنايتك وحمايتك وعزتك وعلمك وحلمك، ستكرمه وتحييه حياةً طيبةً، في عالم صارت فيه الحياة الطيبة درة مكنونة وجوهرة مفقودة ؟! .

اللهم أمنح معونتك في هداية كل من وقع هذا الكتاب بين يديه، وقرأت ما بين السطور عيناه، نور قلبه، إشرح صدره، إجعله ممن قلت فيهم ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

ذلك الكتاب الذي جمعت فيه الغالي والنفيس، مما قرأت وتعلمت واعتقدت،

(١) سورة النحل آية رقم ٩٧ .

فهو زادُ للسائرين السالكين، ودليل للحائرين التائهين، مستمدة جوهره من كتاب ربي تبارك وتعالى "القرآن الكريم" ومن سُنَّة الحبيب محمد ﷺ أشرف وأعز المرسلين.

وما كان فيه من صواب فمن الله وحده..وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.. وأرجو الله أن يكون لمن يقرؤه حجة له لا عليه... " وأرجوك يارب أن تتقبله مني خالصًا لوجهك الكريم إلى أن ألقاك، فهذا بيني وبينك "..

أقول الباعث على كتابة هذا الكتاب هو التذكير، إمتثالًا لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

تأمل وفقك الله كيف إرتبط النفع بالذكرى بالإيمان، فعلى قدر إيمانك، سيكون الإنتفاع بالذكرى، ولسان حالي يقول ما أريد منكم جزاءً ولا شكورًا، إنما أذكركم لوجه الله، سأسرد أمورًا تعين بعون الله على تحقيق الحياة الطيبة خذها بقوة وأمر بها عشيرتك الأقربين، ومن معك من المؤمنين..

**ستجد شرحًا مفصلًا لخطوات خمس هي بمثابة خطوات إلى الحياة الطيبة:**

أولًا : الصلاة
ثانيًا: صلاح القلوب
ثالثًا: الحذر من فتن الدنيا
رابعًا: أختي المسلمة إلى أين؟!.
خامسًا : القرار في البيت .

وما سيأتي من سطور في صفحات هي خطوات للحياة الطيبة، نخطوها سويًا على الدرب، نقترب بخطانا إلى الله، ليعلم منا صدق الطلب، فمن هنا نبدأ، وفي الفردوس نلتقي بإذن الله تعالى...

قال الله تعالى :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2].

---

(١) الذاريات ٥٥.
(٢) سورة النحل آية رقم ٩٧ .

الحياة الطيبة تُنال بأمرين ، الإيمان والعمل الصالح، فمن آمن وعمل صالحا نال مرتين حياةً طيبةً، حياةً سعيدةً رغيدةً في الدنيا وجزاءً موفورًا كريمًا في الآخرة.

**ولماذا الإيمان؟** لأن به يُسلِّي العبد عند المصائب، وتهون عليه الشدائد والنوائب، ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (١) .

وهو العبد الذي تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيرضى ويسلم للأقدار المؤلمة، والمصائب المزعجة، لصدورها من عند الله وإيصالها بثواب الله..

فبقدر إيمانك قوة وضعفًا، حرارة وبرودة، بقدر ماتكون سعادتك، وراحتك، ونيلك للحياة الطيبة، التي هي استقرار النفس لحسن موعود ربها، وثبات القلب بحب الباري، وطهارة الضمير من أوضار الإنحراف، وبرودة الأعصاب أمام الحوادث، وسكينة القلب عند وقوع القضاء، والرضا في مواطن القدر..

تأمل قول الله عز وجل : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ ﴾ كلمة عجيبة، فيها من الجمال والعموم ما تهش له النفس، فكل أمن وسكينة، وسرور وحبور، وصحة وانس وطمانينة، مع صلاح الأبناء، والعافيه من كل مكروه، وحُسن المنقلب، كلها من الحياة الطيبة.

ومن أراد حياة طيبة بلا إيمان، ولا عمل صالح، أو بالإيمان وحده، أو بالعمل الصالح وحده، فقد حاول المستحيل، وطلب الممنوع، وكيف ينال الحياة الطيبة من أساء المعاملة مع الله، الذي منه وحده تُنال الحياة الطيبه ؟! فكل خير وصلاح أساسه التقوى، وكل شر وبلاء سببه المعاصي والآثام، وهذا معلوم من نص الشرع قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة التغابن آية ١١.

(٢) سورة الروم آية ٤١ .

وقال تعالى ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[١].

وقال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].

فمن حقق الأصلين سعد في الدارين، نعم من حقق الإيمان، والعمل الصالح أفلح في الدنيا والآخرة...

ثم تأمل مرة أخرى كيف نكر الحياة لتكون عامة كاملة وهذا تنكير تعظيم، وتحت كلمة حياة من الأسرار والمعاني ما يفوق الوصف، فهي تشمل حياة القلب بالإيمان والهدى واليقين، فلا يموت أبدًا يوم تموت القلوب، وحياة العقل بحسن الإدراك وصواب البصيرة وسداد الرأي، وحياة الجسم بالعافية، وحسن المعيشة، والسلامة من الآفات، وحياة النفس، ونجاتها من الشهوات والشبهات، والسلامة من الأكدار.

وما أروع القسم في قوله تعالى ﴿ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ فهذا وعد أكيد، وخبر جازم، وبشرى محققة ، فلنحيينه !! ما أحسن اختيارها ! نعـم! ، فالذي لا يحييه الله ميت ولو عاش، هالك ولو عُمِّر.

وأقسم وهو أصدق القائلين على أنه سوف يجزيهم بأحسن منه، ولم يقل بحسن أو بخير أو بجميل بل قال بأحسن، لأن في العمل حسن وأحسن، قال العلماء فالله يجزيهم بأحسن عمل عملوه، ويقاس بقية الأعمال على أحسنها، فيثاب على أحسن صلاة صلاها في حياته، وتساوى بها بقية الصلوات، وهكذا سائر الأعمال وما هذا إلا من كرمه وجوده وتفضله جل وعلا.

وما أجمل الآية حين ذكرت اثنين من أصناف ثلاثة: الذكر والأنثى ليُعلم الجنس، والإيمان والعمل الصالح ليعلم أصول العمل، والحياة الطيبة والثواب العظيم ليُعلم كرامة الله على عباده..



---

(١) سورة الشورى آية ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٥ .

# وقفة

## ففروا إلى الله

هلمّ إلى الدخول على الله، ومجاورته في دار السلام، بلا نصب ولا تعب ولاعناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، كيف ؟! . ذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك... وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل.

فالذي مضى تصلحه التوبة، والندم والإستغفار، وذلك شيئ لا تعب عليك فيه، ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، وإنما عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب ، وإمتناعك ترك وراحة، ليس هو عملًا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة، تريح بدنك وقلبك، فما مضى (كل ما مضى) تصلحه التوبة، وما يستقبل( وقد لا يأتي فلا تحمل همه ) تصلحه بالعزم والنية ، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك، وهو وقتك الذي بين يديك، فإن أضعته، أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع صلاح الوقتين اللذين قبله وبعده، نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم، وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه بأن تلزم نفسك بما هو أنفع لها، إنطلاقا من قول رسول الله ﷺ (**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**) [1]، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت... فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لميعادك إما إلى الجنة وإما إلى النار...

فإن أتخذت سبيلًا إلى ربك، بلغت السعادة العظمى في الدنيا، والفوز الأكبر في الآخرة ( في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها بالحياة الأبدية ) .. وإن آثرت

---

(١)رواه البخاري

الشهوات والراحات واللهو واللعب، إنقضت عنك بسرعة... وأعقبتك الألم العظيم الدائم الذي معاناته أشق وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن محارم الله، والصبر على طاعته، ومخالفة الهوى لأجله و الصبر على نوائب الدهر.

إعلم رحمك الله، أنه ليس لك شيئ أنفع من صدقك ربك في جميع أمورك، مع صدق العزيمة، فيصدقك في عزمك وفي فعلك، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، فسعادتك في صدق العزيمة، وصدق الفعل. فصدق العزيمة جمعها وجزمها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تَلوُّم، فإذا صدقت عزيمتك بقى عليك صدق الفعل، وصدق الفعل بذل الجهد في وسعك الصادق. ومن هنا كان صدق العزيمة مانعًا لضعف الإرادة والهمّة، وكان صدق الفعل مانعًا للكسل والفتور.

ومن صدق الله في جميع أموره، صنع الله له فوق مايصنع لغيره، وهذان الصدقان يلتئمان بصحة الإخلاص.

(١) سورة محمد آية ٢١ .

# خطوات إلى الحياة الطيبة



## الخطوة الأولى: الصلاة

إن مما لاشك فيه أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، ولا عهد عند الله لمن تهاون بها .

عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ** " [1] ، هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن من ترك الصلاة فقد كفر، ودعنا من الخلاف الحاصل بين العلماء، في أن من ترك الصلاه كفر كفرًا يخرج من الملة، وأنه إذا مات لايُغسَّل، ولا يُكفَّن، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وأنه محرم الدعاء له بالمغفرة، وبين من قال من العلماء أن تارك الصلاة مسلم فاسق عاص،فسقه كالزاني، والسارق، وشارب الخمر، وآكل الربا، وقاتل النفس بغيرالحق، دعنا من هذا الخلاف، وأهمس في أذن من يترك الصلاة عمدًا، أقول له هل ترضى أن يكون إنتماؤك للإسلام، محل خلاف بين العلماء؟! أترضى أن يكون إنتماؤك لأمة محمد ﷺ محل خلاف بين العلماء ؟! أتعجب ممن يترك الصلاة عمدًا، وهو يترفع عن السرقة، والزنا، وأكل الربا، وشرب الخمر، وقتل النفس بغير حق، والمسكين لا يعلم أن ذنب تركه الصلاة عمدًا، يفوق ذنب كل هؤلاء مجتمعين !!.

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : " **بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ** " [2].

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: " **أَنْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا**

---

(١) رواه الأئمة الأربعة أحمد وأبو داوود والنسائي والترمذي .

(٢) رواه مسلم.

وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ وَلَا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ "(١) .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت ﷺ يقول: " خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ "(٢) .

تذكر حديث رسول الله ﷺ : " اغتنم خمسًا قبلَ خمس اغتنم حياتَكَ قبلَ موتِكَ وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ وشبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ وغِنَاكَ قبلَ فقرِكَ وفراغَكَ قبلَ شغلِكَ" (٣).

وأذكر حديثًا لرسول الله أعتبره غنيمة للمؤمن و نقطة تفاؤل جميلة في حياة المسلم، ويبعث على الأمل، وفيه سلوة للمؤمن، يقول رسول الله ﷺ " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرِضَ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ اللهُ لَهُ مَاكَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا ".

ولسائل أن يسأل، وما علاقة الصلاة بالحياة سعادةً وبؤسًا ؟!! .

نجد من يقول سئمت الحياة، نقول الصلاة ؟!نعم الصلاة، فالحياة الطيبة الذي يحلم بها الشباب والشابات وسيلتها الأولى الصلاة !! .

نعم... كيف ؟!! **كيف تكون صلاتي هي سبب سعادتي ؟!!!** .

قال الله ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٤).

(١) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ٥٦٧) .
(٢) صححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود " .
(٣) صححه الألباني عن الابن عباس ، صحيح الجامع ١٠٠٧٧ .
(٤) سورة طه آية ١٢٣:١٢٦ .

هذا هو علاج مشاكل كل واحد منا ... إن تطرق باب الطيب، الحبيب، الله، تطرق الباب خمس مرات يوميًا وأن ترتمي بين يديه ، وترفع إليه الحاجات والمسائل، وتبتهل إليه تعالى بالدعاء والتضرع .. ووالله الذي لا إله إلا غيره لن تحل مشاكلنا... ولن تكف همومنا... ولن تبدل أحوالنا إلا إذااستقمنا في صلواتنا... حالنا مع الصلوات يبكي العين، ويدمي القلب، ويقطع الجبين.

أنقسم المسلمون مع صلاتهم ثلاثة أقسام: قسم لا يصلي، لا يركع ولا يسجد.. لا باليل ولا بالنهار! أسماؤهم عبد الله وعبد الرحمن... كذبوا و الله. كذبوا و الله. لو كانوا عبيد الله ما خالفوا أوامر الله.

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[١] . والله لن تستقيم حياة الإنسان إلا إذا استقام في صلاته.

والله إنك لن تتقرب إلى الله بقربه أعظم من المحافظة على الصلوات، نعم أكفلوا من العمل ما تطيقون، وأعملوا أن خير أعمالكم الصلاة ، فقد سُئِلَ النّبيُّ ﷺ : **"أَيُّ الأَعْمالِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: الصَّلاَةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا"** [٢] .

وأعلم أنه لن ينفعك صوم، ولا حج، ولا زكاة، ولا أي نوع من الأعمال إلا إذا صلح أمر صلاتك..أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة صلاته إن أستقامت وصحَّت نظر الله في باقي الأعمال وإلا ... ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٣] .

قسم لا يركع ولا يسجد وهم كثير كثير، امتلأت بهم البيوت،وأنتشروا في الطرقات، تراهم في المجمعات، وأوقات الصلوات يغدون ويروحون كأن الأمر لا يعنيهم، مساكين لم يسمعوا قول الله في الحديث القدسي الصحيح عن نعيم بن

(١)سورة المطففين آية ٤ -٦ .
(٢)صحيح الجامع (١٠٩٣) صححه الألباني .
(٣) سورة الفرقان ٢٣ .

عمار ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقول الله عز وجل : « **يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ**» [١] ، وفي روايه عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ**» [٢].

مساكين لم يسمعوا قول رسول الله ﷺ : « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ** »[٣] ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم...

**قسم آخر:** هم أيضًا كثير يقدمون ويؤخرون ينامون ويتناسون ويتكاسلون. يلعبون ويلهون إن استيقظ من نومه صلى، إن إنتهى من عمله صلى، إن إنتهى من لعبه وآكله وشربه صلى .

تناسوا أن الله قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[٤].

تناسوا أن الله قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾[٥].

تناسوا أن الله قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[٦].

**قسم ثالث:** وهم قله قليلة وأنا أعني ما أقوله قلة قليلة مقارنة بتعداد هذه الأمة أمة المليار أو يزيد ... تريد أن تشهد هذه القلة ؟! إشهدها في صلاة الفجر مع الجماعة. والله ترى عجب العجاب. ترى الألوف بل الملايين تغط في سبات عميق، وقلة قليلة هي التي أنتصرت على فراشها، وعلى شهواتها وأنطلقت تجيب منادي الله ...

(١) رواه أحمد و أبو داود (١٢٨٩) وصححه الألباني .
(٢) رواه الترمذي ١/ ٤٧ من باب ماجاء في صلاة الضحى ٤٧٥ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١/ ٤٧ .
(٣)أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠، رقم ٤٨٢)
(٤) سورة الماعون آية ٤-٥ .
(٥)سورة المنافقون ٩ .
(٦)سورة النساء ١٠٣ .

ثم انظر بعد صلاة الفجر بساعة، انظر إلى الناس قد ملؤا الطراقات، وانتشروا في مناكب الأرض يطلبون الدنيا، ما كأن الله قبلها بساعة ناداهم مناديه الصلاه خير من النوم... النوم خير عندهم من الصلاة.

**إذا ضيعنا الصلاة كيف يتغير الواقع ؟!**

لما نزل قول الله عز وجل في علاه على محمد ﷺ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[1] قال النبي الحبيب ﷺ باكيًا: " ياجبريل تضيع أمتي الصلاة !! يا جبريل تضيع أمتي الصلاة ؟! قال يا محمد ﷺ يأتي أقوام من أمتك يبيعون دينهم كله بعرض من الدنيا قليل " .

فضيعت الصلوات وارتكبت المحرمات. كيف يستقيم الحال ؟! كيف يتربى مجتمع على الفضيلة ومراعاة الحقوق وقد ضيعت حقوق الله ؟! .

أليست الصلاة هي التي تنهانا عن الفحشاء والمنكر ؟!.

يكفينا أمرٌ رباني واحدٌ حتى نعلم عظم قدر الصلاة ... ألم يكفنا أنها فرضت فوق سبع سماوات ؟!.

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

أمره بخمسين صلاة، فلا يزال يخفف عنا حتى جُعلت خمس صلوات بأجر خمسين. خمس صلوات بأجر خمسين!! الصلاة نور كيف أستطيع أن أمشي في الظلمات ؟! كثير يتخبطون .. يشكون الهموم والغموم، علاجهم صلاة على وقتها إن كانت إمرأة، صلاة مع جماعة المسلمين إن كان رجلًا .

هناك أصحاب شهادات لم يجدوا مرتبات وهناك من لا يعرف يقرأ ولا يكتب

(١) سورة مريم آية :٥٩ .

(٢) سورة النجم الأيات : ٧-١٠.

أنعم الله عليه وصب عليه من البركات !!هي ليست المؤهلات ... السر ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [(١)].

جاء أحدهم إلى أحد الصالحين يشتكي إرتفاع الأسعار، وهكذا هو حالنا نتأثر بإرتفاع الأسعار يمنة ويسرة، ولا نتأثر بأحوال المسلمين، نخاف على ما يسد جوعنا، ويملأ بطوننا، ولا نخاف من تقرير مصيرنا إلى جنة أم إلى نار.

قال الصالح : والله لا أبالي لو أن حبه الشعير بدينار، عليّ أن أعبد الله كما أمرني وعليه أن يرزقني كما وعدني .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[(٢)] .

فلابد أن نؤمن أن الرزق محدد كما أن الأجل محدد ونعلم أننا نسعى في الحياة الدنيا طاعة لله نجمع فيها زادًا نحتاجه في رحلتنا إلى الآخرة . ولذلك كان الرزق من الأربع التي قضى الله الأمر فيها وسجلها في اللوح المحفوظ، قدَّرها ربنا تبارك وتعالى على العبد قبل أن يولد من بطن أمه،ليعلم أنه إنما يسعى في هذه الدنيا طلبًا لرضا ربه لا جلبًا لرزقه، العبد يعمل لأن الله هو الذي أمره بالعمل ، فهذا الإمتثال عبادة ولذلك كان الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَ فَقْرَكَ »** [(٣)]. فتفرغ لعبادتي أي فرغ قلبك لذكري واعمل بجوارحك، إعملٍ متيقنًا أن عملك هذا إمتثال لأمري، إعمل وقلبك متعلق بي وعقلك متفكر فيَّ، وجوارحك منقادة لأمري، هذا معنى " **يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي** ".

(١)سورة طه آية ١٣٢ .
(٢) سورة الذاريات ٥٦-٥٨ .
(٣) رواه الترمذي ٢٤٧٧

وحديث عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِه وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِه مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ" [1] .

اما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] الذين لا يصلون إلا من الجمعة إلى الجمعة؟!الذين هم يصلون مرتين أو ثلاثه في اليوم؟!،الذين يتقدمون ويتأخرون؟! لا والله ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، ثم أثمرت صلواتهم أخلاقا وخشيه في حياتهم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[4]، من أين أتت الخشيه ؟!أتت من المحافظة على الصلوات، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[5]، كيف حصنوا الفروج وغضوا الأبصار إلَّا لأنهم من ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾؟! ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[6] .

كيف أدوا الأمانات،وحافظوا على الحقوق؟! إلا لما حافظوا على الصلوات، هذه المداومة على الصلوات أثمرت أخلاقًا وخشية في حياتهم، أثمرت تحصينًا للفروج وغضًا للأبصار، أثمرت محافظة على العهود وأداء الأمانات، أثمرت حياة طيبة، المحافظة والمداومة على الصلوات أثمرت حياة طيبة، ثم اسمع بارك الله فيك النتيجة والمحصلة النهائيه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[7].

يَقُولُ أَنسُ بْنُ مَالك ﷺ : "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لا نَعرفَهُ، قَالَ : أَيْنَ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ ؟ قُلْنَا : ذَلِكَ الأَبْيَضَ الأَمْهَقِ أَبْيَضُ شَرِبَ

---

(١) صحيح البخاري
(٢) سورة المعارج : ١٩-٢٢ .
(٣) سورة المعارج :٢٣ .
(٤) سورة المعارج : ٢٧ .
(٥) سورة المعارج : ٢٩ .
(٦) سورة المعارج : ٣٢ .
(٧) سورة المعارج : ٣٥ .

بِحُمْرَةِ صَلَوَاتٌ وَسَلَامُهُ عَلَيْه، إِذْ ابْتَسَمْ كَانَ وَجْهُهُ كَفَلْقَةُ الْقَمَرَ، فُجَاءَةً فَقَالَ يَابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّيَ أَسْأَلُكَ وَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ السُّؤَالَ، وَكَانَ مُتَّكَأً فَجَلَسَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ الَّذِىْ رَفَعَ السَّمَاءَ؟ قَالَ اللهُ. قَالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ الَّذِىْ بَسَطَ الْأَرْض ؟ قَالَ اللهُ. قَالَ وَمَنْ الَّذِىْ نَصَبُ الْجِبَالَ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ: اللهُ. قَالَ: أَسْأَلُكَ بِالَّذِىْ رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَسَطَ الأَرْضَ وَنَصَبَ الْجِبَالَ آللَّهُ وَارْسُلكَ الَيْنَا رَسُوْلا ؟! فَاَحْمَرَّ وَجْهُهُ وَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ :أَسْأَلُكَ بِالَّذِىْ رَفَعَ وَبَسَطَ وَنَصَبَ وَأَرْسَلَكَ إِلَيْنَا رَسُوْلا آاللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرُنَا بِخَمْس صَلَوَاتَ فِىْ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ :اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ آاللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرُنَا بِالصِّيَامِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ :آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرُنَا بِأَدَاءِ الزَّكَاة ؟ قَالَ :اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرُنَا بِحَجِّ بَيْتِه الْحَرَام ؟ قَالَ :اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَسَطَ الأَرْضَ وَنَصَبَ الْجِبَالَ وَأَرْسَلَكَ إِلَيْنَا رَسُوْلا لأُحَافِظَنّ عَلَىَ الصَّلَاة ،وَأَصُومنَ رَمَضَانَ ، وَأَعْطَىَ الزَّكَاةَ ، وَأَحج الْبَيْت وَلَا أَزِيْدُ عَلَىَ ذَلِكَ قَالَ: إِنْ صَدَقَ دَخَلَ الْجَنَّة.."[1] ، أي إن صدق فيما قال دخل الجنة ..

الزكاة قد تسقط في حال من الأحوال إن لم يكن عندك ما يستوجب الزكاة لا زكاة عليك. والصيام يسقط للأعذار ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[2]، والحج لمن إستطاع إليه سبيلًا .. لكن هل بربك تسقط الصلاة في حال من الأحوال؟ .

إذن لو حافظ على صلاته دخل الجنة، كان حقًا على الله من لقي الله وهو يحافظ على هذه الصلوات أن يدخله الله الجنة.

خمس صلوات من حافظ عليهن كن له نورًا يوم القيامة، ومن ضيعهن فلا يلومنَّ إلا نفسه ... الحديث خطير والأمر مهم ، أبناؤنا يموتون على غير صلوات.

---

(١)صحيح البخاري .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٤ .

أقـــم الـــصـــلاة كـــما يـــريـــد الله .·. لـــن تبلغ الـــرضـــوان دون رضـــاه

إتبع رســـول الـهـدى صـل صلاته .·. فـالخـير كـل الخــير في مسعاه

إصـغــي فـــؤادك واجـتـذبـه .·. قـد ضـل مـن سكن الـفـؤاد هـواه

فـــإذا نـطـق الله أكـبـر أذكـر .·. الجـنـات والـنـيران وامـصـيراه

وأركـــع وعـظـم ربـك الـذي .·. مـا الـكـون في إتـقـان لـولاه

وأسـجـد وعـفـر أنـفـك الـغـالي .·. وقـــل بـــالــدمـــع يـــاالله يـــاالله

أواه كـم أمـس وأصـبـح لاهيًا .·. في غـفـلـة وســذاجـه أواه

ربـــاه مـــالي غـير عـفـوك ملجأ .·. فـأغـفـر لـعـبـد تـــاب يـــاربـــاه

**وأما مقدار صلاة رسول الله ﷺ** فهي من أجل المسائل وأهمها ، وحاجة الناس إلى معرفتها أعظم من حاجاتهم إلى الطعام والشراب، وقد ضيعها الناس من عهد أنس بن مالك رضي الله عنه ، ففي الحديث في صحيح البخاري من حديث الزهري رضي الله عنه قال " دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه بدمشق وهو يبكي، فقلت له ما يبكيك ؟! فقال لا أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت " يقول أنس رضي الله عنه أيضًا في رواية " ما أعرف شيئًا مما كان على عهد رسول الله ﷺ قيل فالصلاة ؟! ، قال أليس قد صنعتم فيها ما صنعتم ؟!.

أنس رضي الله عنه آخر من مات من الصحابة، سَنَة ثلاث وتسعين من الهجرة، يبلغ

من العمر مائة وثلاث ، وهو من أفقه الصحابة وعلمائهم تأخر حتى شاهد من إضاعة أركان الصلاة وأوقاتها وتسبيحاتها في الركوع والسجود، وإتمام التكبيرات الإنتقالية منها ما أنكره وأحزنه وأخبر أن هدي الرسول ﷺ كان بخلافه.

ففي صلاة الحبيب محمد ﷺ، نجد الطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة، ولا تستقيم الصلاة إلا بها قد ضيعها الكثير إلا من رحم الله! .

يقول أنس رضي الله عنه ما صليت خلف رجل أوجز صلاة من رسول الله ﷺ في تمام وكان عليه السلام إذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى نقول قد أوهم (نسي) ثم يكبر ثم يسجد وكان يقعد بين السجدتين حتى نقول أنه أوهم (نسي).

" يوجز" أي لا يطيل كإمام بالنسبة لقيام الليل، فصفة صلاة ليله عليه السلام تقول عائشة لا تسألي عن حسنهن وطولهن، أي مهما وصفت من طول وحسن صلاته فلن أوفيها حقها...

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ قَالَ ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا "[1] ، إسمع اسمع ماذا يقول من صلى خلف الحبيب ﷺ، **فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُسْتَرْسِلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ**"[2]،فلا تكن أيها المسلم شحيحًا في زيادة التسبيحات في ركوعك وسجودك ، فإنك والله الذي لا إله غيره، لو عبدت الله ليل نهار، ما أديت شكر نعمة واحدة فكيف بالنعم التي لاتعد ولا تحصى !!، عن عائشة رضي الله عنها قالت" يسجد تعني الرسول ﷺ السجدة قدر ما يقرأ

---

(١)رواه أحمد في صحيحه .

(٢)رواه مسلم .

خمسين (٥٠) آيه وكذلك الركوع "[١].

كان عليه الصلاة والسلام يكثر الأدعية في صلاته، فهي وسيلة للخشوع في الصلاة، في الركوع يذكر سبحان ربي العظيم ما شاء الله أن يذكر، ثم يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللّهم أغفرلي، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ويقول اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت، خشع لك سمعي وبصري وشعري وفمي وعصبي وعظمي ولحمي ودمي وما أستقل به قدمي، يرفع في الركوع يعتدل قائماً يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد حمدًا طيبًا طاهرًا مباركًا، فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس، وكان عليه السلام يزيد على هذا الدعاء ويبدل إلا أنه لم يخل قيامه أو ركوعه أو سجوده من دعاء .

وفي السجود يقول سبحان ربي الأعلى ما شاء الله أن يقول، ثم يقول سبحانك اللَّهم وبحمدك اللهم اغفر لي .. اللهم لك سجدت وبك أمنت ولك أسلمت وعليك توكلت .. سجد وجهي لله الذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم زدني بهذه السجدة عندك أجرًا وضع عني بها وزرًا، وأجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داوود.. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك .. اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاوك، اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور وجهي، وجلاء همي، وما أروع أن تلزم نفسك بالدعاء لوالديك في كل سجودك ، إعترافًا بجميلهما فتقول اللهم اغفر لأبي وأمي،

---

(١)رواه البخاري .

اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرًا ، وكَانَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ : " **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي** " .

وكان عليه الصلاة والسلام بعد التشهد وقبل التسليم يقول (**اللَّهُمَّ قِنِى عَذَابَ النَّار، وَعَذَابُ الْقَبْر، وَقِنِىْ فِتْنَةُ الْمَحْيَا وَالْمَات وَفِتْنَة الْمَسيح الدَّجَّال.. اللَّهُمَّ آتنى فِى الدُّنْيَا حَسُنَةً وَفِى الآخِرَة حُسْنَهُ وَقنَا عَذَابَ النَّار.. اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذكْرِك وَشُكْرِك وَحُسْنِ عِبَادَتِك.. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ برَحْمَتِك أَسْتَغِيْثُ أَصْلِحْ لِى شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِىَ طَرْفَةُ عَيْنٌ.. اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِى ذَنْبِىَ كُلَّهُ دقَّهُ وَجُلَّهُ أَوَّلَهُ وَآخرَهُ عَلانيَّتَهُ وَسرَّهُ.. اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّىْ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّر لَا إِلَهَ الا أَنْتَ** ) [1] .. ينقص ويزيد.

فهذه مواطن الأدعية في الصلاة واولها بعد تكبيرة الإحرام وهو الإستفتاح "**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ** "....

هذه الأدعية من أهم وسائل الخشوع والقنوت في الصلاة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

والله الله في تدبر الفاتحة في الصلاة، ففيها مما يضيء جوانب القلب، فأنت تبدأ ذاكرًا تاليًا ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ الموصوف بالرحمة ، تظهر آثار رحمته متجددة في كل شيء ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فإذا استشعرت هذا المعنى ووقر في نفسك إنطلق لسانك بحمد هذا الإله على عظيم نعمه وكريم فضله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ وعندما تتفكر أن هذه النعم الجليلة ليست عن رغبة فيك ولا رهبة منك، ولكنها عن تفضل ورحمه، فينطلق لسانك مرة ثانية ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ، ومن كمال هذا الإله العظيم أن يقرن الرحمة بالعدل، ويذكر بالحساب بعد الفضل، فهو في رحمته المتجددة السابغة سيدين عباده، ويحاسب خلقه يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ

---

(١) صحيح البخاري ١٣٩٨ .

نَفۡسٌ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾،[1] فتربيته لخلقه قائمة على الترغيب في الرحمة، والترهيب بالعدالة والحساب فجاء قول ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[2] .

وإذا كان الأمر كذلك فقد أصبح العبد مكلفا بتحري الخير، والبحث عن وسائل النجاة، وأنت في هذا أشد ما تكون حاجة إلى من يهديك إلى سواء السبيل، ويرشدك إلى الصراط المستقيم وليس أولى بك في ذلك من خالقك ومولاك، فلتلجاء اليه،ولتعتمد عليه، ولتخاطبه بقولك ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ تسأله الهدايه من فضله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق وإتباعه، غير المغضوب عليهم بالسلب بعد العطاء، وبالنكوص بعد الإهتداء، وغير الضالين التائهين، الذين يضلون عن الحق أو يريدون الوصول اليه فلا يوفقون، واستشعر وأنت تهيم في هذا الجمال، وفي هذه البراعه التي حوتها سورة الفاتحة، مايرويه الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِىْ وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ** ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ **قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ** ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ **قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَثْنَىَ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ** ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ **قَالَ مَجَّدَنِي عَبْدِى وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ** ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ **قَالَ هَذَا بَيْنِىْ وَبَيْنَ عَبْدِىَ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَاذَا قَالَ:** ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " وَفِيْ رِوَايَةِ ( قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِىْ وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)..**

وأدم هذا التدبر، واجتهد في أن تقرأ على مكث، وتمهُّل وخشوع وتذلل، وأن تقف على رؤوس الآي، فإن ذلك يعين على الفهم، و يثير ما غاص من

---

(١) سورة النجم ١٩ .

(٢) سورة الفاتحة آية ١ .

شآبيب الدمع، وما أنفع للقلب من خشوع في صلاة .

دخل عصام بن يوسف على حاتم في مجلسه، فقال له حاتم تحسن تصلي؟ قال نعم، قال كيف تصلي؟ قال حاتم الأصم أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت ... قال تكلم فأنت تحسن تصلي....

فوالله الذي لا إله إلا هو، لو أن الناس أهتموا بالصلاة كما كان حبيبنا المصطفى وسلفنا الصالح يهتمون بها، لما تورطوا في المنكرات، ولا تعاطوا المحرمات، فيارعاك الله عليك أن تحسن الوقوف بين يدي الله في الصلاة ، فالصلاة أن أحسنتها هي أقرب طريق تصل إلى الله بعد إفراده بالعبودية، كما قال تعالى ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾[1] .

**يقول ابن القيم --رحمه الله-- :** الصلاة لو أحسنتها هي قرة عيون المحبين الموحدين في هذه الدنيا، لما فيها من مناجاة من لاتقر العيون إلا به، ولا تطمئن ولا تسكن النفس إلى إليه، والتنعم بذكره والوقوف بين يديه، والتلذذ بالخضوع له، والقرب منه ولا سيما في السجود. فهذه الحالة أقرب ما يكون العبد إلى ربه.. فلا شيئ أقر لعين المحب، وألذ لقلبه، ولا أنعم لعيشه، من الصلاة إذا كان محبًا.

فهذا المحب إن أنصرف منها وجد خفة من نفسه لأنها قد وضعت عنه فوجد نشاطًا وراحة حتى يتمنى أنه لم يخرج منها، فهي قرة عينه ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كان في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح، كما قال ﷺ :

---

(١) سورة العلق ١٩ .

" أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ" ، وقال ﷺ : " جَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنَيَّ فِي الصَّلاةِ " [١] .

فمن جعل قرة عينه في الصلاة كيف عينه بدونها؟! .

وكيف يطيق الصبر عنها ؟! .

فلا أعلم كيف تقر عين المحبين بسواها ؟!.

هذا المحب... أما الغافل المُعرض، ليس لها من ذلك نصيب، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه، وإذا قام إليها فإنما على الجمر يتقلب حتى يتخلص من واجب الصلاة، فهي ليست قرة عينه، ولا لقلبه راحة فيها، ولا يذكر الله فيها إلا قليلًا..

هكذا أخي يكون العبد إذا قرت عينه بشيء واستراح القلب به فأشق ما عليه مفارقته، والفارغ القلب من الله والدار الآخرة المبتلى بحب الدنيا، أشق ما عليه الصلاة، وأكره ما عليه طولها مع تفرغه وصحته، وهذا من الشيطان أعوذ بالله منه.

**الآن! كيف أجعل صلاتي قرة عيني ؟!!**

**إعلم أن الصلاة التي تقر بها العيون، ويستريح لها القلب، هي التي تجمع ستة مشاهد:**

**المشهد الأول: الإخلاص :**

(أن يكون الحامل عليها، والدافع لها الرغبة ) رغبتك في الله، ومحبتك له، وطلبك مرضاته، وقربه، والتردد إليه، وإمتثال أمره. لا يكون الداعي لها حظًا من حظوظ الدنيا البتَّه، واحـذر من ألا يكون لها داعي، كأن تصلي لمجرد الصلاة، أمر أعتدته فتؤديه ، لابد أن يخطـر ببالك وأنت مقبل على الصلاة

(١) صححه الالباني صحيح الجامع ٣٠٩٨ .

محبة الله خوفًا منه ورجاء فيه، يخطر ببالك أنك تقف بين يدي حبيب طبيب يسمع ويجيب..

وهذا المقصود من قوله ( أن يكون الدافع لها الرغبة ) وسأخصص باذن الله تعالى للإخلاص صفحات من هذا الكتاب.

**المشهد الثاني: الصدق والنصح :**

أن تفرغ قلبك فيها لله، وتجمع قلبك عليها، وتأتي بها على أحسن الوجوه، وإكمالها ظاهرًا و باطنًا ( فإن الصلاة لها ظاهر ولها باطن، فظاهرها الأفعال المشاهدة، والأقوال المسموعة، وباطنها الخشوع والمراقبة ) وتفريغ القلب لله والإقبال عليه بالكلية، فلا يلتفت قلبك فيها عن الله إلى غيره فهذا بمنزلة الروح لها، فصلاة بلا صدق كالجسد بلا روح.

والأفعال بمنزلة الجسد فإذا خلت من الروح كانت جسدًا بلا روح ، جسد جيفة نتنة بلا روح، بالية، أفلا نستحي أن نقابل سيدنا ومولانا بمثل ذلك ؟!.

ما الحل؟! إذا حان وقت الصلاة، بادر إليها مكملًا ناصحًا فيها لله، كنصح الصادق المحب لمحبوبه الذي قد طلب منه يعمل له شيئًا ما، فهو لا يبقى مجهودًا بل يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعًا في محبوبه فينال به رضاه عنه.

أفلا تستحي من ربك ومولاك ألا يكون في عملك هذا !! وأنت ترى المحبين في أشغال محبوبيهم من الخلق كيف يجتهدون في إيقاعها على أحسن وجه !! .

من أنصف نفسه وعرف أعماله استحي من الله أن يواجهه بعمله، أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه،

ولم يدع من حسنه شيء إلا فعله.

**وحال القلب في الصلاة على خمس مراتب واجتهد لتصل:**

* مرتبة الظالم لنفسه الفرط وهو الذي انتقص من مواقيتها ووضوئها وأركانها الظاهرة والباطنة.

* محافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها الظاهرة فقط ولكن ضيع مجاهدة نفسه في دفع الوسوسة وحصول الخشوع.

* محافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها ويجاهد نفسه في دفع الوساوس فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

* محافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها واستغرق قلبه في مراعاة حقوقها لئلا يضيع منها شيء فهمه كله معروف فهو مشغول بإكمالها على أكمل وجه.

* من قام كذلك ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ناظرًا بقلبه إليه ممتلأ حبًا وإجلالًا وتعظيمًا له كأنه يراه، وقد أضمحلت تلك المجاهدة والوساوس والخطرات فهذا في صلاته مشغول بربه (مقرب) فرحًا به، تقر عينه به نسأل الله من فضله.

**المشهد الثالث: المتابعة والإقتداء:**

أن تحرص كل الحرص الإقتداء في صلاتك بالنَّبِي محمد ﷺ، فتصلي كما كان يصلي، وتعرض عما أحدث الناس في الصلاة من السرقة والنقصان والأوضاع التي لم تنقل عن الرسول ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أقسم الله بنفسه الكريمة أنّا لا نؤمن، حتى نحكم الرسول ﷺ فيما شجر بيننا، وننقاد لحكمه، ونسلم تسليمًا، فلا يجوز تحكيم غيره من البدع التي نراها يقول ربنا تبارك

وتعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[١].

واعلم أن العمل بغير إخلاص ولا إقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه ... وقال ربنا تبارك وتعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[٢].

**المشهد الرابع : الإحسان:**

عود نفسك المراقبة، اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

**كيف السبيل إلى ذلك؟! .**

هذا ينشأ من كمال الإيمان بالله، وأسمائه وصفاته، حتى كأنك ترى الله فوق سماواته، مستويًا على عرشه، تتكلم بأمره وتنتهي بنهيه، فأنت تتعامل مع قيومًا حيًا سميعًا بصيرًا حكيمًا، آمرًا ناهيًا، يحب ويغضب، لا يخفى عليه شيء من أعمالك، ولا أقوالك ولا بواطنك، بل يعلم خائنة عينك وما يخفى صدرك، يقول تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[٣].

وأعلم أن فائدة الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، وهو الذي يوجب الإجلال والتعظيم والخشيه والمحبة والتوكل والإنابه والخضوع لله والذل له. وهو الذي يقطع الوساوس وحديث النفس، وهو الذي يجمع القلب على الله.

اعلم أن حظك من القرب لله على قدر حظك من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصلاة ... حتى يكون بين صلاة الرجلين في الفضل كما بين السماء والأرض، وقيامها وركوعها وسجودها واحد، فذاك حاضر القلب بين يدى ربه،

(١)سورة النساء آية ٦٥ .
(٢)سورة الاحزاب آية ٢١.
(٣)سورة تبارك آية ١٤ .

وذاك معرض. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[(١)].

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا ، تُسْعُهَا ، ثُمُنُهَا ،سُبُعُهَا ،سُدُسُهَا، خُمُسُهَا ،رُبُعُهَا ،ثُلُثُهَا ،نِصْفُهَا** " اللهم سلم سلم، هذا الحديث صحيحة الألباني.

**المشهد الخامس: المنّه:**

بأن تشهد بأن المنة لله سبحانه في كونه أقامك في هذا المقام، وأهّلك، ووفقك لقيام قلبك وبدنك في خدمته، فلولا الله ما كان شيء من ذلك.

قال تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[(٢)]، فالله هو الذي جعل المسلم مسلمًا والمصلى مصليًا قال تعالى ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[(٣)]، وقال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[(٤)] واعلم أن هذا من أعظم المشاهد وأنفعها لك[(٥)].

**وكلما كنت أعظم توحيدًا كان حظك من هذا المشهد أتم . . . وفيه فوائد:**

أنه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل، فإنك إذا شهدت أن الله هو المنّان الهادي شغلك ذلك عن رؤية نفسك والإعجاب بعملك، فيرفع من قلبك، فلا تعجب به، ومن لسانك فلا تمن به ولا تستكثر به وهذا شأن العمل المرفوع.

وفيه من الفوائد أيضًا أنك تضيف الحمد على وليّك فلا تشهد لنفسك حمدًا بل

(١)سورة الماعون آية ٤-٥ .
(٢)سورة الحجرات آية ١٧.
(٣)سورة االنحل :٥٣.
(٤)سورة الحجرات آية ٧.
(٥)صححه الألباني في صحيح الجامع ٩٥٢.

تشهده كله لله ، كما تشهد النعم كلها منه ، والفضل كله له ، والخير كله بيديه ، وهذا من كمال التوحيد ....

**المشهد السادس : رؤية التقصير :**

أن تعلم أنك لو إجتهدت في القيام بالأمر غاية الإجتهاد، وبذلت وسعك، فأنت مقصر وأن حق الله تعالى عليك أعظم، والذي ينبغي أن تقابله به من الطاعة والعبودية فوق ذلك بكثير، وأن عظمته وجلاله تقتضي من العبودية ما يليق بهما، إذا كان خدم الملوك يعاملونهم في خدمتهم بالإجلال لهم والتعظيم والتوقير والمهابة بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم ، فخالق السموات والأرض أولى أن يعامل بأضعاف ذلك.

إذا ايقنت من نفسك أنك لم تعرف لربك في عبوديته حقه ولا قريبًا من حقه واعترفت بتقصيرك وعدم القيام بما ينبغي. فأنت إلى أن يغفر لك العبودية الناقصة أحوج منه إلى أن تطلب منه عليها ثواب... ولو وفيتها فهي مستحقة عليك بمقتضى العبودية، قال الرسول ﷺ : " **لَنْ يُنَجِّي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَمَلُهُ، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِه** " ، ولكن كما قال ﷺ " **اسْتَقِيمُوْا وَلَنْ تُحْصُوْا وَاعْمَلُوْا إِنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوْءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ** " [١].

إذا علمت ذلك علمت السر في كون أعمال الطاعات تختم بالإستغفار.

عن ثوبان قال " كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام " [٢] .

وقال تعالى ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [٣] .

---

(١) من حديث ثوبان ، صحيح الجامع للألباني ٩٥٢ .

(٢) صحيح مسلم .

(٣)سورة الذاريات آية ١٧، ١٨ .

فأخبر عن إستغفارهم عقب صلاة الليل، كما أمر تعالى عباده بالإستغفار بعد الإفاضة من الحج ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾[١].

وشرع للمتوضئ أن يقول بعد وضوءه اللهم اجعلني من التوابين وأجعلني من المتطهرين فهذه توبة بعد الوضوء، وبعد الحج، وبعد الصلاة، وبعد قيام الليل، ...وبالجملة فهذا حال العبد مع ربه في جميع أحواله، فهو يعلم أنه لا ولن يوفي هذا المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقب كل عمل .

وبالتالي نجد أن كلما كثرت طاعته كثرت توبته وإستغفاره وهو مع هذا كله يخاف الأتقبل منه كما قالت عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢] ، قالت عائشه أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الأيقبل منهم، أولئك الذين يسارعون بالخيرات هم لها سابقون .تعلم ما الحامل على هذا ؟! أنه أمران ، الأول : شهود التقصير والنقصان ، والثاني: صدق المحبة . فالذي يحب الله بصدق يتقرب إليه بغاية إمكانه وهو معتذر اليه مستحي منه .

من هنا كان الإخلاص لله، والصدق، والمتابعة لرسوله، والإحسان، والمنّة، ورؤية التقصير، هذه مشاهد ستة إذا استحضرتها إنصرفت من الصلاة وقد أثرت في قلبك، وسائر أحوالك تأثيرًا يبدو على لسانك وجوارحك. وبذلك تكون خطوت خطوة تجاه الحياة الطيبة التي وعدك بها ربك جل وعلا في قوله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[٣] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٩ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٦٠.

(٣) سورة النحل ٩٧ ..

ذلك لأن من كانت هذه صفة صلاته ستجد آثارًا عاجلة تشرق في حياته منها أنها: .

* ستنهاه عن الفحشاء والمنكر.

* تحبب إليه لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقائه.

* تنفِّره من كل صاحب سوء قاطع عن الله.

* قلة الحرص على الدنيا فهو في سجن حتى يأتي وقت الصلاة فإذا حضرت قام إلى نعيمه وسروره وقرة عينه ونور قلبه ، فلا تطلب الحياة إلا بها ، فلنحرص على إعطاء الصلاة حقها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، واعلم أن لك بين يدي ربك موقفان، موقف بين يديه في الصلاة وموقف بين يديه يوم القيامة. فإذا قمت بحق الموقف الأول هون عليك الموقف الثاني ، وإذا استهنت بحق الموقف الأول شدد الله عليك الموقف الثاني.

**إليك أحوال من صلاتهم:**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرجل ليشيب عرضاه في الإسلام ما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها... هذا عمر في صدر الإسلام. وهذا قوله. فكيف لو رأى واقعنا اليوم؟! والكثير إلا من رحم الله تذهب به أحوال الدنيا كل مذهب فهو يصلي ببدنه ولكن يذهب بفكره إلى الدنيا وأسواقها ويبيع ويشتري ، وما ذلك إلا بسبب الغفلة.

قال الحسن رضي الله عنه سمعهم عام بن قيس رضي الله عنه وما يذكرون من ذكر الضيعة في الصلاة قال أو تجدونه؟! قالوا نعم. قال والله لئن تختلج الأسنَّة في جوفي أحب إليَّ من أن يكون في صلاتي هكذا﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [١].

كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا قام إلى الصلاة كأنه ثوب ملقى .

(١) سورة الجمعه ٤ ..

كان ابن عقبة رضي الله عنه يسجد حتى تقع العصافير على ظهره.

أبو بكر ابن عباس رضي الله عنهما يقول رأيت صهيب بن أبي ثابت رضي الله عنه ساجدًا فلو رأيته قلت ميت من طول السجود.

عن ذهب رضي الله عنه يقول رأيت الثوري بن الجرم رضي الله عنه بعد صلاة المغرب يصلي ثم سجد سجده فلم يرفع منها حتى نوديَ للعشاء.

ميمون بن حبان رضي الله عنه يقول ما رأيت مسلم بن يسار رضي الله عنه ملتفًا في صلاته قط خفيفة أو طويلة. ولقد أنهدمت ناحية المسجد في صلاته فما التفت، لله دره أنه ملتفت لله وحده.

صلى أبو عبد الناجي رضي الله عنه يومًا بأهل طرطوس فصيح بالنفير فلم يخفف الصلاة فلما فرغوا قالوا أنت جاسوس ؟! قال : لمَ ؟! قالوا صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف قال ما حسبت أن أحدًا يكونَ في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه به الله !!.

**كيف السبيل إلى صلاتهم؟ :**

حاتم الأصم رضي الله عنه سئل عن صلاته فقال:- إن حانت الصلاة، أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن يساري، وملك الموت ورائي، وأظنها أو قال يقع في قلبي أنها أخر صلاتي، أنظر إلى عرش ربي وكأني أراه جالسًا يراني وينظر إليَّ ويسمعني ويراقبني ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرًا بتحقيق، وأقراء قراءه بترتيل، وأركع ركوع بتواضع، واسجد سجود بتخشع، وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري قبلت مني أم لا ؟!.

تدري ماذا يعني بأركع ركوع بتواضع وأسجد سجود بتخشُّع؟! .

لأنه يعلم معنى الركوع ويحققه ، ومعنى السجود فيتفاني فيه.

هل للركوع معني؟! نعم الركوع هو إنحناء تعظيماً لله عز وجل ، فالإنحناء تعظيم بالفعل وقولك سبحان رب العظيم تعظيم بالقول، فيجتمع التعظيمتان بالإضافة إلى التعظيم الثالث وهو تعظيم القلب لله فيجتمع في الركوع ثلاثة. تعظيم القلب. تعظيم الجوارح. تعظيم اللسان، وكذا السجود، ففي الركوع قال سبحان رب العظيم لأن الهيئة هيئة الإنحناء هيئة تعظيم لله. أما في السجود نقول سبحان رب الأعلى لأن الهيئة هيئة نزول.

أي أنزه ربي الأعلى فوق كل شيء كل سفل ونزول، أما أنا فمنزل رأسي وأشرف ما في إلى موضع قدمي.. لابد أنهم استشعروا كل هذا في ركوعهم وسجودهم فصاروا أعلام نبلاء.. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1] ومع ذلك قلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون.

وإذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل : لا أصلي غيرها.

يقول أحد السلف ما صليت صلاة رغم المحافظة على خشوعها إلا استغفرت الله بعدها من تقصيري فيها...

فلله قوم أمتثلوا ما أمروا ∴ وزجروا عن الذلل فانزجروا

جن الليل عليهم فسهروا ∴ وطالعوا صحف الذنوب فانكسروا

وطرقوا باب المحبوب فاعتذروا فقال ∴ الله عنهم وإني جزيتهم اليوم بما صبروا

يقول الله عنهم ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2] .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٦١ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١١١ .

عن هشام أن حفصة بنت سيرين كانت تدخل في مسجدها، فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع للضحي، ثم تخرج فيكون ذلك وضوئها ونومها حتى الظهر فتعود لمسجدها. يقول عنها مهدي بن ميمون أنها مكثت في مسجدها هذا ثلاثين سَنة لا تخرج إلا لحاجة.

يقول هشام بن حسان:كان الهذيل بن حفصه يجمع الحطب في الصيف فيقشره فإذا جاء الشتاء جاء بالكانون، تقول حفصه فيضعه خلفي وأنا في صلاتي ومصلاي، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وقودًا لا يؤذي دخانه ويدفئنى،وإذا أردت أن أقول يا بني أرجع إلى أهلك ، فأذكر ما يريد من بري، فأدعه .قالت حفصه: فلما مات رزقني الله من الصبر ما شاء أن يرزقني،غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت فبينما ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذا أتيت على هذه الآية ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1]، قالت فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد فأين نحن منها ؟!، تعالج ألمها وحزنها بالقرآن ، لله درها !، فقهت الآيه وأيقنتها وأبصرها قلبها هذه هي حياة القلب بالهدى والإيمان ، واليقين هذه هي الحياة الطيبة .

**السؤال: لماذا لا نشعر بلذة الصلاة والعبادة كما يشعر هؤلاء ؟!**

من الناحية العضوية هي هي... القرآن هو هو... والسُنَّة هي هي.. المشكلة في جهاز الإستقبال عندنا ، لا نبالي ولا نطبق ولا يهمُّنا أن نصل إلى ما تمناه الصحابة من الفردوس الأعلى ! .

نعم وجود الرسول بين أظهرهم كان يشجعهم، لكننا إذا تمسكنا بسُنَّته لنا مكانة عظيمة ،والدليل قولهﷺ : " **لَيْتَنِى أَرَى إِخْوَانِى يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ، قَالُوْا : وَنَحْنُ؟** ،

(١) سورة النحل آية ٩٥-٩٦ .

قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابِيٌّ وَهُمْ أُخْوَانِي، يُؤْمِنُوْنَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي. يَقُوْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي فِي زَمَنِ الْفَسَادَ كَانَ لَهُ أَجْرٌ خَمْسِيْنَ، قَالُوْا مِنْهُمْ أَمْ مِنَّا ؟ قَالَ : بَلْ مِنْكُمْ " [١] . فعلى قدر المستطاع التمسك بسنته ﷺ .

**نعود لنجيب على التسائل لماذا لا نشعر بلذة الصلاة كما يشعرون ؟! .**

### الأمر الأول : ضعف الإخلاص والمراقبة :

فلما قلت المراقبة لله عز وجل فسدت الأعمال، وكثرت آفاتها من الرياء والسمعة والعجب وحب المدح والثناء ، فوقعنا في الشرك الخفي، ففقدنا لذة العبادة. نعم حذرنا النَّبي ﷺ من الشرك الخفي قال: " **هُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيْبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ** " [٢]. واعلم أنه من رجى غير الله وأحب مدح الناس فسد قلبه ومن باب أولى فسد عمله.

### الأمر الثاني : المعاصي :

**المعصية** : شئم عظيم، وبلاء خطير، وهي العدو اللدود للذة العبادة وحلاوة الطاعات والصلوات. وهي مرض القلب الخطير الذي إذا تراكمت عليه أماتته. يقول أحد الصالحين حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. فكيف من حياته كلها معاصي بل كبائر أنّى يشعر بلذة العبادة؟!، فليتك لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن تنظر إلى عظمة من عصيت، وليتك تعلم أن الإصرار على الصغيرة كبيرة ، والتوبة من الكبيرة صغيرة.

### الأمر الثالث : التوسع في المباحات :

تلك التي تخرب على العبد آخرته فضول النظر والإستماع والكلام والمخالطة

(١)صححه الالباني ٧١٠٨ .
(٢) رواه مسلم من حديث هريرة .

والنوم والأكل، كلما توسعت في ذلك كله قصرت في العبادة أورثت الكسل والخمول حتى تفقد اللذة في الصلاة والقرآن والطاعة. وذلك لثقلها على النفس المتوسعة في أمور الدنيا. واعلم أن النفس الأمارة بالسوء كلما وسعت عليها ضاق الصدر وفقد القلب حلاوة الطاعة وكلما ضيقت على النفس كلما اتسع الصدر وشعر القلب بحلاوة الصلاة والقرآن والطاعة.

## الأمر الرابع: الزهد في الثواب

فبدلًا من أن نزهد في الدنيا، زهدنا في الآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله. وعندما يزهد العبد في الآخرة وأجرها وثوابها العظيم على الطاعات فإنه بهذا الزهد يفقد تدريجيًا لذة الصلاة والطاعات، ويستلذ بالراحة، فلا يحسر على فوات تكبيرة إحرام أو حتى فوات ركعة بل قد تفوت الصلاة كلها ولا يحزن، لاتجد تحسُّر على فوات قيام ليل، ولا صيام نهار، ولا غيرها من الطاعات التي يجد فيها الآخرين ممن تقربوا إلى الله لذة، فمن هنا نفقد المسارعة في الخيرات.

## الأمر الخامس: عدم إدراك أن النفس في حاجة إلى جهاد

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾[1]. قال ﴿ جَٰهَدُواْ ﴾ ولم يقل ( عملوا ) . فالنفس تحتاج منا إلى مجاهدة، فهي أمارة، بالسوء تعشق الكسل والخمول، وهي كالدابة أن عرفت منك الجد جدت ورَكِبْتَ ، وعبرتَ بها إلى الجنة، وإن عرفت منك الكسل، طَمِعَتْ فيك حتى تقودك إلى السوء والمنكرات، وجعلتك مطية لها إلى النار.

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

**كيف تورث الصلاة الخاشعة التي هي قرة عين المحبين حياة طيبة؟! الصلاة التي تقر بها العيون تورث محبة الله بثمراتها الطيبة في حياة المسلم:**

أولًا : الشوق إلى لقاء الله. ثانيًا : النعيم والسرور.

ثالثًا : التسلي عند المصائب. رابعًا : إنشراح الصدر.

**من ثمرات محبة لله :**

**أولا : الشوق إلى لقاءه :.**

إعلم أنه من أرفع درجات النعيم، وغاية الأماني لكل قلب مسلم هو الشوق، ولاينبت الشوق إلى لقاء الله في القلب إلا بتلك الصلاة التي تقر بها العيون...ومن مُنِحَ الشوق فقد انقطعت عنه حاجات الدنيا والآخرة...

وأولى الناس بالله وبرحمته هم أشدهم شوقًا...

فإن الحامل على الشوق المحبة، ولهذا يقال لمحبتي إليه اشتقت إليه فالمحبة بذور في القلب والشوق بعض ثمرات تلك البذور فمنزلة الشوق من المحبة بمنزلة الهروب من المكروه.

إذا كرهت فررت ممن تبغض. كذلك العبد إذا أحب الله عز وجل هرول إليه في صلاته، وأقبل عليه إقبال الملهوف المشتاق... إذا أحببت فررت إلى من تحب ... وقوة المحبة لله توجب ألا يستقر قلبه دون الوصول إليه، وكلما هدأت حركاته، وقلت شواغله، اجتمعت عليه شئون قلبه، وقوي سيره إلى محبوبة، ومن هنا ينشأ قيام اليل... أنا أقول أنا أحب الله وأحاول وأسعْى لتحقيق هذا المعنى في كل شيء ومثالها الصلاة....

عن عطاء عن أبيه يقول صلى عمار بن ياسر صلاة أوجز فيها، فقال بعض القوم خففت الصلاة ( أي اتهموه في حبه لله ) قال أما على ذلك فقد دعوْت

فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم، فسأله عن الدعاء فأخبر به القوم " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الحق، أن تحييني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتتوفني إذا علمت الموت خيرًا لي، اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغني، وأسألك نعيمًا لا يبدد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر في وجهك، وأسألك الشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة، ولافتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان وإجعلنا هداة مهديين " .

انظر إلى فن الدعاء، أن يكون جامع شامل غير مخل. فلما كانت خشية الله وراء كل خير في المشهد والمغيب، سأل الله الخشية في الغيب والشهادة. لما كان أكثر الناس يتكلم بالحق في الرضا فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضًا رضاه في الباطل، سأل الله عز وجل أن يوقفه لكلمة الحق في الغضب والرضا لذلك قال بعض السلف : " لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب أخرجه غضبه عن الحق " .

ولما كان الفقر والغنى بليتين ومنحتين يبتلى بها العبد، ففي الغنى يبسط ، وفي الفقر يقبض، سأل الله القصد في الحالتين، وهو التوسط بين الإسراف والتقطير، ولما كان النعيم نوعين: نوع للبدن ونوع للقلب وإن كمال ذلك النعيم بداومه جمع بينها بقوله أسألك نعيم لا يبدد وقرة عين لا تنقطع.. ولما كان الرضى المقصود والمحمود هو الذي يكون بعد القضاء لا قبله، فإذا وقع القضاء رضى بعده. فإن المقدور يكتنفه أمران: الإستخارة قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه. فالله عز وجل شرع الإستخارة في جميع الأمور، **كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةِ فِىْ الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا الْسُّوْرَةَ مِنْ الْقُرْآنِ " إِذَا هُمْ**

أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيْضَةِ ثُمَّ يَقُوْلُ اللَّهُمَّ اسْتَخِيْرُكَ بِعِلْمِكَ وَاسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوْبِ... اللَّهُمَّ أَنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ (وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ) خَيْرٌ لِى فِى دِيْنِى وَمَعَاشِىْ وَعَاقِبَةِ أَمْرِىْ أَوْ قَالَ عَاجِلَةِ أَمْرِىْ وَآجِلِهِ فَأَقْدِرْهُ لِى وَيَسِّرْهُ لِى ثُمَّ بَارِكْ فِيْهِ وَأَنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِى فِى دِيْنِى وَمَعَاشِىْ وَعَاقِبَةِ أَمْرِىْ أَوْ قَالَ فِىْ عَاجِلِ أَمْرِىْ وَآجِلِهِ فَأَصْرِفْهُ عَنِّي وَأَصْرِفْنِىْ عَنْهُ وَأُقْدُرْ لِىَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ" (١).

فمن سعادة العبد أن يجمع بين الإستخارة قبل المقدور والرضى بعده، ولما كان العيش في هذه الدار لايبرد لأحد كائنًا من كان بل هو محشو بالغصص والنكد والآلام الظاهرة والباطنة، سأل برد العيش بعد الموت...

والشاهد من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يهبه شوقًا إلى لقاءه مصاحبًا للعافية والهداية فلا تكون مصاحبة بمرض أو فتنة. فإن كثير ممن يحصل لهذا الشوق إلى لقاء الله لا يناله إلا بعد إمتحان هل يصلح له أم لا ؟ وإن لم يمتحن فإنه يكون غير مؤهل أو بعد تعرضه لفتنة ، واعلم أنه إذا عزم العبد السفر إلى الله تعالى عرضت له الخوادع والقواطع، فيخدع أولاً بالشهوات والرئاسات والملاذ والمناكح والملابس، فإن وقف معها انقطع، وإن رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه ابتلى بكثرة الأتباع، وبالسير خلفه، والتوسع له في المجلس، ورجاء بركته، ونحو ذلك فإن وقف معه إنقطع به عن الله وكان حظه من منه، وإن قطعه ولم يقف معه ابتلى بالكرامات والكشوفات، فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه ، وإن لم يقف ابتلى بالتجريد والتخلي وعزة الوحدة والفراغ من الدنيا، فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود وإن لم يقف معه، وسار ناظرا إلى مراد الله منه، بحيث يكون عبده

(١) رواه البخاري ، باب الدعاء عند الاستخارة ، ٦٠١٩ .

الموقوف على محابه، اين كانت وكيف كانت، تعب بها أو استراح ، تنعم أو تالم، أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم، لايختار لنفسه غير مايختاره له وليه وسيده، واقف على أمره، ينفذه حسب الإمكان، فهذا هو العبد الذي قد وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شئ البته.

إذا أعجبتك خصال امرئ .·. فكنها تكن مثل ما أعجبك

فليس على الجود المكرمات .·. إذا جئتها حاجب يحجبك

**وما فائدة الشوق؟** الشوق إلى لقاء الله يحمل المشتاق على الجد في السير إلى الله، ويقرب عليه الطريق ويهُون عليه الآلام والمشاق التي يتحملها في سبيل التمسك بدينه، فتطيب معه الحياة، ومن أنكر شوق العبد إلى ربه فقد أنكر محبته له لأن المحبة تستلزم الشوق. فالمحب دائماً يشتاق إلى لقاء ربه ومحبوبه، لا يهدأ قلبه ولا يقر قرارة إلا بالوصول إليه وهذا يظهر في أربعة مواطن:

**أولها:** عند أخذه مضجعه وتفريغ حواسه وجوارحه من الشواغل فإنه لا ينام إلا إذا ذكر من يحبه، وشغل قلبه به فعندما يجن الليل يخلو كل حبيب بحبيبه.

**ثانيها:** عند إنتهائه من النوم فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

**ثالثها:** عند الصلاة، فإذا كان العبد محبًا لله فلا شئ أقر إلى عينه، ولا ألذ إلى قلبه ولا أهنا وأطيب عيشًا من الصلاة، فالصلاة هي الميزان الذي يوزن به مقدار حبك لله، كما يقول ﷺ أرحنًا بها يابلال، فسبحان من فاضل بين النفوس، وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم، قلب إذا صلى يستريح بها وقلب يريد أن يستريح منها...

**رابعها:** عند الشدائد والأهوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبة الأعظم عنده، ما السر في ذلك؟!

**يقول ابن القيم -رحمه الله-:** أن العبد عند المصائب والشدائد يشتد خوف القلب من مفارقة أحب الأشياء إليه ، وهي حياته التي لم يكن ليحبها إلا أنها يتقرب بها من محبوبه وهو الله. فإذا خاف فواتها بادر قلبه إلى ذكر محبوبه الذي سيفوت بفوات حياته، ولهذا كثيرًا ما يعرض للعبد عند موته لهجة بها يحبه وكثرة ذكره له، ربما خرجت روحه وهو يلهج به. فمن الناس عند موته يقول أموالي أموالي، ومنهم من هو تاجر يقول هذه بضاعة جيدة وهذه ممتازة، ومنهم من يردد اسم محبوبته ، ومنهم من يردد مقطع من أغنيه ، نسأل الله السلامة و العفو والعافية..

ومن كان مشغولًا بالله ، وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما يكون إليه عند خروج روحه، ويقدم على الله قدوم العبد المشتاق لمولاه الذي طالما تحمل مشاق قيام الليل وصيام النهار، طمعًا في لقاءه والفوز برضاه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور. ومن كان مشغولًا بغيره معه عند موته، فإن ذلك يفسد عليه إشتغاله بالله وحضوره معه عند موته، لذلك كان جدير بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان لأجل تلك اللحظة التي إن فاتته شقي شقاوة الأبد .

## ومن ثمرات محبة الله :

### ثانيا : النعيم والسرور :

إن نعيم المحبة في الدنيا لطيفة من نعيم الجنة في الآخرة. فمحبة الله من ثمراتها النعيم الذي هو جنة المؤمن في الدنيا والمحب لله لا يفارقه السرور. ويجد في قلبه حلاوة ولذة لكونة مع الله وإن الله معه. ولا يقدر هذا الكلام إلا من ذاق محبة الله أما أهل الغفلة فلا !!.

**يقول بعض من ذاقوا محبة الله :** لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من طيب

العيش، لجالدونا عليه بالسيوف.

* وقال آخر: والله أنه لتمر بالقلب أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا أنهم لفي عيش طيب.

* ويقول : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما عرفوا وماذاقوا أطيب ما فيها، قيل وما أطيب ما فيها ؟ قال محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه.

* يقول الرسول ﷺ : «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِيْنًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلا** »[1].

* وقال ﷺ : " **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهَا. وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ. وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُوْدَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ** " [2].

**يقول شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله-** " إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه فإن الرب شكور " يعني لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه و إنشراحًا وقوة فمن لم يجد ذلك فعمله مخزول .

والنعيم والسرور يكون على قدر المحبة، والمحبة تكون على قدر التعرف على الله بأسمائه وصفاته... فمن كان بالله أعرف كان الله أحب وإليه أقرب وفيه أرغب وبه أسعد.

ووالله لو عرف المشغولون بغير الله ما فيه أهل محبته وذكره من طيب الحياة، ونعميها لتقطعت قلوبهم حسرة ولعلموا أن ما حصلوه من تكالبهم على الدنيا لا قيمة له بالنسبة لما ضيعوه وحرموه ...

---

(١) صحيح الألباني في صحيح الجامع ٣٤٥٢ .
(٢) رواه البخاري ..

### من ثمرات محبة الله:

**ثالثا : أنها تسلي المحب وتنسيه المصائب:**

فإذا سلم له محبوبه "الله" لم يجزع فإنه يرى من محبوبه عوضًا عن كل شئ ولا يرى في غيره عوضًا عنه، فكل مصيبة عنده هينة إذا أبقت عليه محبوبه، لذلك كان لابد من التعلق بالله دون أي شيء آخر لأن الله باقي عظيم، وكل ما سواه فإنه معرض للبلاء والنقصان، ولو لم يكن في المحبة إلا هذه الفائدة وحدها لكفي بها شرفًا، وكفى بها ثمرة للحياة الطيبة. فإن المصائب لازمة للعبد، ولا يمكن دفعها مثل مصيبة الموت، وضياع المال، والمرض، وعقوق الوالدين، ومصائب يوم القيامة، ودخول النار، كل ذلك لا يدفعه إلا محبة الله وحده، ومتابعة رسولهﷺ . فالمحبة أصل كل خير في الدنيا وفي الآخرة.

### من ثمرات المحبة لله:

**رابعًا : إنشراح الصدر وعدم الإكتئاب:**

وكلما كانت المحبة أقوى كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلى إلا عند رؤية الغافلين، قال تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾[١] فأي فائدة للصلاة الخاشعة وأي ثمرة لها أعظم من المحبة المؤدية إلى راحة البال وإنشراح الصدر، وأي عذاب أمر من ضيق الصدر، فالمحب من أطيب الناس عيشًا وهذه جنة عاجلة قبل جنة الآخرة...

ومن ثمرات الصلاة الخاشعة التي هي قرة عين المحب غير محبة الله تعالى أنها مطردة للداء من الجسد فكم عرفنا من المرضى التي فشلت العقاقير الطبية عن علاجهم فلما لجؤا إلى الله في صلاته برئوا بفضل الله...

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

ومن أراد الحياة الطيبة ولذة الصلاة في العبادة فعليه بإصلاح النية والإخلاص لله في السر والعلن وإرضاءه ولو سخط الناس أجمعين .

عندما بحثنا في كيف أجعل صلاتي قرة عيني ، كان المطلب الأول الإخلاص وعندما بحثنا في لماذا لا أشعر بلذة الصلاة والعبادة كما كانوا يشعرون ، كانت الإجابة والعائق ضعف المراقبة وضعف الإخلاص ، لذلك لابد أن نولي للإخلاص اهتمامًا في هذا الكتاب .

## حقيقة الإخلاص :

## كيف أحقق الإخلاص؟!

**لكي تحقق الاخلاص عليك أن تعلم أولًا حقيقة الإخلاص ومنزلته وثمراته وعلاماته :**

إختلف العلماء في عبارات الإخلاص والمراد به شرعًا.

قيل هو قصد المعبود وحدة بالعبادة.

قيل هو تخليص القلب من كل ما يشوب ويكدر صفاءه.

قيل هو التوقي من ملاحظة الخلق.

قيل هو مالا يعلمه ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله.

قيل أن يكون الداعي إلى الإتيان بالمأمور وإلى ترك المنهي هو إرضاء الله تعالى، والرغبة فيه سبحانه.

والعبارات متقاربة ومدارها على أن يريد العبد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون أي شئ آخر من تصنع لمخلوق أو إنتظار محمده مخلوق أو أي حظ من الحظوظ.

**ولقصد الله تعالى وحده بالعمل وإخلاصه له . له صور عدة :**

* فمنهم من يعبد الله تعظيمًا وتوقيرًا.

* ومنهم من يقصد الدخول في عبادته وطاعته.

* ومنهم من يقصد رضوانه ورضاه.ومنهم من يقصد الأنس به والتلذذ بطاعته وعبادته.

* ومنهم من يقصد التنعم برؤيته يوم يلقاه.

* ومنهم من يقصد ثوابه دون أن يستشعر ثواب معين.

* ومنهم من يطلب ثوابًا معينًا.

* ومنهم من يخاف عقابه دون أن يستشعر عقاب معين.

* ومنهم من يخاف عقاب معين.

وتنوع المقاصد بابًا واسع، والعبد قد يقصد هذا مرة وهذا مرة، وقد يقصد أكثر من واحد من هذه المقاصد، وكلها في النهاية تعني شيئًا واحد وهو أن العبد يريد الله سبحانه وتعالى ولا يريد سواه وكل ذلك محقق للإخلاص وإن كان لا ينبغي للعبد أن يخلي عبادته من قصد الحب لله المشوب بالتعظيم وهو الجمع بين الخوف والرجاء.

## إليك منزلة الإخلاص :

الإخلاص حقيقة الدين قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[2] .

---

(١) سورة البينة ٥ .

(٢) سورة الزمر ٢-٣ .

فقصر سبحانه ما يصح من الدين على الخالص منه. وهو المنزه عن شوائب الشرك قليلة وكبيرة جليلة وصغيرة. فأفادت الآية أن الإخلاص شرط في دين الإسلام. وهو دين الأنبياء جميعًا وطلب الإخلاص في جميع الشرائع دليل على عظم منزله هذا الخلق العظيم...

الإخلاص هو مفتاح دعوة المرسلين وأعظم الأصول التي جاءوا بها كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1].

**يقول ابن كثير -رحمه الله- :** فما يزال تعالى يبعث إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين بُعِثَ إليهم نوح عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى الأرض، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي بُعِثَ للجن والإنس في مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾.[2]

الإخلاص هو رأس أعمال القلوب التي هي أجلُّ أعمال العبد وأعظمها قدرًا. يقول ابن القيم موضحًا ذلك " عمل القلب هو روح العبودية ولبُّها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الميت بلا روح ، والنية محلها القلب " .

الإخلاص هو أحد شرطي قبول العمل إذ لا يقبل من أحد قربة بدونه يقول النَّبي ﷺ " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصا وَأبْتَغي بِهِ وَجْهُهُ** " [3].

ولعظم منزلة الإخلاص أثنى الله على المتصفين به ونوه بذكرهم فقال سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) ﴾[4] ، وقال عز وجل عن يوسف عليه السلام ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

(١) سورة النحل آية ٣٦ .
(٢)سورة الأنبياء آية ٢٥ .
(٣) صححه الألباني .
(٤) سورة الأنبياء آية ٥١ .

وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

وقال عن النبي محمد ﷺ: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[2]، مما يوضح أن الإخلاص من أبرز سماتهم وأخص خصائصهم.

وفي المقابل جاء الوعيد الشديد لمن تخلى عنه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

**يقول ابن كثير -رحمه الله-:** لا يتحصل لهؤلاء الذين ظنوا أنها منجاة لهم شئ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله فكل عمل لا يكون خالصًا لله وليست على الشريعة المرضية فهو باطل ..

قال النبي ﷺ: **"قَالَ تَعَالَىٰ أَنَا أَغْنَىَ الْشُّرَكَاءِ عَنْ الْشِّرْكِ. مِنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ مَعِىَ فِيْهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"** [5].

قال النبي ﷺ: **" مِنْ عَمِلَ عَمَلا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيْبَ بِهِ عَرَضا مِنَ الْدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ"** [6].

قال النبي ﷺ: **" مَنْ طَلَبَ عِلْما لِيُجَارِىَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِىَ بِهِ الْسُّفَهَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوْهَ الْنَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ الْنَّارَ "** [7].

---

(١)سورة يوسف ٢٤ .
(٢)سورة البقرة ١٣٩ .
(٣)سورة النساء ٤٨ .
(٤)سورة الفرقان ٢٣ .
(٥)- صحيح مسلم ٢٩٨٥ .
(٦) أبو داود ٣٦٦٤ عن أبي هريرة .
(٧)ابن حبان في صحيحه ٢/ ١٥٢ والحاكم في مستدركه ١/ ٢٧٧ .

ولذا فالإخلاص مطلوب في جميع العبادات الظاهرة والباطنة فلا تلقى أن يتوجه العبد إلى الله في عمل دون عمل أو في قربة دون قربة. يقول بين القيم مبينًا أهمية الإخلاص. " العمل بغير إخلاص ولا أقتداء كالمسافر يملأ جرابة رملًا يثقله ولا ينفعه " .

مع وضوح الإخلاص وجلائه إلا أنه أشق الأمور على النفس لأنه يحول بينها وبين تطلعاتها وشهواتها.. فتحقيقه والإستمرار فيه يتطلب مجاهدة كبيرة وهذه المجاهدة لا تقتضي الحاجة إليها على عوام الناس فقط بل الكل محتاج إليها حتى الأشداء من الصالحين والعباد.

**يقول أحد الصالحين :** ( ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي إنها تتقلب عليّ .. ) .

ويقول أخر: ( أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد لإسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه بلون آخر...) .

ولذا فقد كان الرسول ﷺ كثيرًا ما يدعو " **اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِيْنِكَ** " (١) .

## هل تدري ما ثمرات الإخلاص فوق الحياة الطيبة؟!

## أولًا : دخول جنات النعيم

ويدل ذلك قول الله : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢) .

فعباد الله المخلصين غير ذائقي العذاب الأليم بل هم في جنات النعيم لأنهم أخلصوا أعمالهم لله فأجتباهم، وأختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه، وعليه

---

(١) الطبراني في الكبير ١٩/ ٢٩٠ .

(٢) سورة الصافات (٣٨-٤٣) .

"فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى الا العاملون، والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون".

قال رسوال الله ﷺ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"(١).

## ثانيًا : قبول العمل

الإخلاص شرط قبول العمل كما يقول ابن كثير "فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون خالصًا وإن يكون صوابًا على الشريعة"، ودليل ذلك قول النَّبي ﷺ " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ" (٢). وقوله ﷺ "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَاد : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ" (٣).

## ثالثًا : الفوز بشفاعة النَّبي ﷺ في الآخرة

كلما كان العبد أكثر إخلاصًا كان أكثر تأهلًا للظفر بشفاعة النَّبي محمد ﷺ يوم القيامة.

يدل ذلك على قول النبيﷺ " أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ" (٤).

فهذا الحديث سر من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيدًا كان أحرى بالشفاعة. فالشفاعة حقيقتها أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بدعوة محمد ﷺ وهو المأذون له أن يشفع لهم.

(١) رواه البخاري.
(٢) صححه الألباني.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه البخاري ٦٥٧.

## رابعًا: تنقية القلب من الحقد

إعلم أنه إذا حل الإخلاص في قلب أحياه، وهذبه من الأفات، وحصنه من السوء والفحشاء وسيء الصفات، يدل ذلك قول النبي ﷺ في حجة الوداع عن زيد بن ثابت رضي الله عنه **"ثَلَاثَ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ أَمْرِئٍ مُؤْمِنٌ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةِ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُوْمِ الْجَمَاعَةِ "** [١] .

معناه ألا يكون القلب عليهن ولا بهن غليلًا أبدًا ، يعني لا يقوى فيه مرض، ولا نفاق إذا أخلص العمل لله وناصح أولي الأمر ولزوم الجماعة ، وبخلاف هذه الثلاث يمتلئ القلب غل وأمراض وخلافها الشرك والغش والبدعة.

## خامسًا : مغفرة الذنوب ومضاعفة الأجر

إذا تمكن الإخلاص من عمل كان سببًا في مغفرة ذنب صاحبه ، ومضاعفة أجره، حتى لو كانت الطاعة في ظاهرها يسيرة أو قليلة .. فرب عمل صغير تكثره وتعظمه النية ورب عمل كثير تحقره وتصغره النية...

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :** النوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه، وعبوديته لله، فيغفر الله به الكبائر كما في حديث الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ أنه قال: **" يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعُوْنَ سِجِلا، كُلُّ سِجِلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، فَيُقَالُ لَهُ هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُوْلُ لَا يَارَبِّ ! فَيَقُوْلُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بِطَاقَةٌ قَدْرِ الْكَفِّ، فِيْهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُوْلُ أَيْنَ تَقَعُ هَذِه الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِه السِّجِلَّاتِ! فَتُوْضَعُ هَذِه الْبِطَاقَةُ فِيْ كِفَّةٍ، وَالسِّجِلَّاتُ فِيْ كِفَّةٍ، فَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ وَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ "** [٢] .

---

(١) ابن ماجة في السنن وابن حبان في الصحيح عن زيد بن ثابت ٦٢٨ .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

فهذه حالة من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم!!.

وفي المقابل متى كان أداء العبد للطاعة دون إخلاص لله وصدق معه كان معرضًا للوعيد الشديد لحديث " أَنَّ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَسْتَشْهِدُ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفْهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ جَرِيْءٌ وَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ مَعْرِفَةَ نِعْمَةٍ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ. وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَإِتَّيْ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ جَوَادٌ وَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" .[١]

يقول الرسول ﷺ في الحديث " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالُوْا يَا رَسُوْلَ الله ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ الرِّيَاءُ. يَقُوْلُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازَى الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ أَذْهَبُوْا إِلَى الَّذِيْنَ تُرَاءُوْنَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُوْنَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " [٢].

## سادسًا : الظفر بالنصر والتمكين

فإن من أعظم أسباب النصر والتمكين من الله لأهل الإيمان قيامهم بإخلاص أعمالهم له سبحانه وتعالى . يدل ذلك قول النبي ﷺ " إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ

(١) مسلم ١٩٠٥ .
(٢) رواه أحمد وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة عن محمود بن كبير.

بِضِعَفَائِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ "(١).

فإذا تفكرت في حياة السلف تجدهم لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وزكاة نفوسهم وإخلاص قلوبهم وعملهم بعقيدة جعلوا كل شيء وفقًا لها...واقرأ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله.فإن العبد إذا خلصت نيته لله تعالى ، وكان قصده وهمه وعمله لوجه الله تعالى، كان الله معه فإنه سبحانه مع الذين أتقوا والذين هم محسنون.

ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق ، والله سبحانه لا غالب له فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو نياله بسوءٍ وممن يخاف؟! وأن لم يكن معه فمن يرجوا؟! ومن ينصره من بعده؟!.

## سابعًا: نيل قبول الناس ومحبتهم

أن الله تعالى يضع لصاحب الإخلاص القبول والمحبة في قلوب الخلق، فما أهنأ هذه الحياة ! بعكس المرائي الذي يطلب الشهرة والمنزلة في قلوب الناس، فالله يعامله بنقيض قصده، والدليل قول النَّبي ﷺ : " **مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**" (٢).

وإن لم يكن في الإخلاص إلا ثمرات هذا الحديث لكفى يقول الرسول "ﷺ" **مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْه أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَلَمْ يَأْته مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَآتَتهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ** " (٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) رواه الشيخان والترمذي .

(٣) رواه ابن ماجه وصحيح الجامع .

وقد كان هذا الأمر جليٌّ عند السلف علموا أن من أقبل إلى الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه .

## ثامنًا : قلب المباحات إلى الطاعات

إخلاص العبد ونيته الصالحة ترتفع بعمله الدنيوي، وتصيِّره عباده متقبله، يدل على ذلك قول النَّبي ﷺ " **فِي يَضَعَ أَحَدُكُمْ صَدَقَةٌ قَالَ يَارَسُوْلَ الله : يَأْتِى أُحْدَانَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟، قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ وَضَعَهَا فِى حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِى الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ** " (١) .

وقوله ﷺ : " **إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفْقَهُ تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِى فَمِ إِمْرَأَتِكَ** " (٢).

يتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئًا أصله على الإباحة وقصد به وجه الله يثاب عليه ذلك كالأكل بنية التقوِّي على طاعة الله، والنوم للإستراحة ليقوم إلى العبادة نشيط والاستمتاع بالزوجة ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام وليقضي حقها وليحصِّل ولدًا صالحًا..

والذي ينبغي: أن لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، فهذا سبيل المقربين السابقين " لذا كان السلف يكثرون من إستحضار النية الصالحة في المباحات.

وكما أن الإخلاص يرفع المباحات إلى منزلة الطاعات، فإن الرياء يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنه يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (٣).

---

(١) رواه مسلم .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري .
(٣) سورة البقرة ٢٦٤ .

روى عن السلف في ذلك أن رجلًا قال لعبادة بن الصامت "أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله ومحمد الناس؟ قال لا شيء لك، فسأله ثلاث كل ذلك يقول لا شيء لك. ثم قال في الثالثة إن الله يقول: **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**" اللهم سلم سلم.

وسأل رجل سعيد من المثيب فقال: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر، فقال له :أتحب أن تُمقتَ ؟! قال: لا، قال : فإذا عملت عملًا لله فأخلصه.

## تاسعًا : بلوغ النية الخالصة مبلغ العمل

صاحب النية الصالحة قد يعجز عن عمل الخير الذي تهفو نفسه الصادقة إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته، وقد يجتهد في فعل الخير ولا يدرك موقعه، لكن المطلع على خبايا النفوس يرفع المخلص إلى مراتب العاملين الموفقين. لماذا؟! لأن علو همته وصدق نيته أقوى لديه عز وجل من عجز وسيلة عبده وقلة حيلته.

يقول النَّبي ﷺ " **إنَ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بالْمَدِينَة مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا دَاوِيًا إلَا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ** " وفي رواية : " **إلَا شَارَكُوكُمْ فِي الْأَجْر** "[١].

ويقول ﷺ : "**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ** "[٢].

ويقول ﷺ : " **مِنَ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنْزِلَةَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، مَاتَ شَهِيدا** "[٣].

وفي الحديث الآخر " **ذِكْرٌ الرَّجُلُ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَتَمَنَّى مِثْلَ مَالَ**

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري .

(٢) صحيح الألباني رواه النسائي وابن ماجه .

(٣) رواه مسلم .

**فُلَانٍ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ الصَّالِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ.. "** [١].

فاعلم أن النية المجردة من العمل يثاب عليها والعمل المجرد من النية لا يثاب عليه، وفي الجانب الآخر نيل الأجر وإن لم يوفق المخلص لوضع الأمر في موضعه.

يقول ﷺ " **قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ فَتَصَدَّقَ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ فَتَصَدَّقَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! عَلَى غَنِيٍّ! عَلَى سَارِقٍ! فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ لَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ. وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعْفِفُ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ.. "** [٢]، فنية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت وإن لم تقع الموقع...

## الثمرة العاشرة : تنفيس الكرب

إعلم أن إخلاص النية وصدق الإلتجاء إلى الله سبب للنجاة من عذاب الدنيا ومصائبها وتفريج كربها.

قال ﷺ : **" مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَما وَاحِدا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ "** [٣].

حديث سعيد بن أبي وقاس رضي الله عنه " ..... وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ها هنا، فقال عكرمة والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره،

(١) صحيح ٢٢٦٠ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجة وهو صحيح .

اللهم إن لك عليّ عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمد ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوًا كريمًا فجاء فأسلم. فالإخلاص سبيل الخلاص.

**الثمرة الحادية عشر : الإخلاص سببًا في الحفظ من إضلال الشيطان وإغوائه**

**يقول ابن تيمية -رحمه الله-:** " إذا كان العبد مخلصًا لله إجتباه ربه، فيحيي قلبه، ويجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوى ما يسنح له، ويتشبث بها يهواه، كالغصن أي نسيم يمر يعطفه آماله، فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ، فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو أتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًا، وتارة يجذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل،ويعادي من يذمه ولو بالحق، وتاره يستعبده الدرهم والدينار. وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه. فيتبع هواه بغير هدي من الله. فمن لم يكن مخلصًا لله عبدًا له إستعبدته الكائنات، وأستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاويين إخوان الشياطين.. وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه... فالقلب أن لم يكن حنيفًا مقبلًا على الله، معرضًا مما سواه وإلا كان مشركًا " .

**الثمرة الثانية عشر : نيل التوفيق والأنس والبركة**

فمتى أخلص العبد لمولاه في عمله، وفق للصواب، ودخله الأنس، وأعطي الذخائر، وبورك له في عمله.. فمن أراد نيل العطايا، وتحصيل الهبات فليتأكد فعلًا من تحقيق الإخلاص...

يذكر أن بعض الناس بلغه أن من أخلص لله أربعين صباحًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فأخلص في ظنه أربعين صباحًا لينال الحكمة، فلم ينالها، فشكى ذلك لبعض حكماء الدين، فقال: إنك لم تخلص لله تعالى ، وإنما أخلصت للحكمة.. فالإخلاص لله إرادة وجهه فإذا حصل ذلك حصلت الحكمة

تبعًا، فإذا كانت الحكمة هي المقصودة إبتداءً لم يقع الإخلاص لله. وإنما وقع ما يظن أنه إخلاص لله سبحانه.

## الثمرة الثالثة عشر للإخلاص : النجاة من الفتن

يدل ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1]، أخبر تعالى أنه صرف عنه السوء من الفسق والفحشاء من الزنى بإخلاصه. وذلك لأن القلوب إنما تبتلى بذلك إذا كانت فارغة من حب الله وإخلاصه له فإن القلب لابد من التعلق بمجبوبه فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلابد أن يتعبد قلبه غيره .

**اعلم أن أصول المعاصي كلها كبيرها وصغيرها ثلاثة: هي :**

* تعلق القلب بغير الله .
* وطاعة القوى العصبية .
* والقوى الشهوانية.

فصار هناك ثلاث مداخل، شرك، وظلم وفواحش، وهذه تدعو بعضها إلى البعض فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش،كما أن الإخلاص يصرفها.

**السؤال ماهي علامات المخلصين؟!**

**خمس علامات:**

### أولًا : إراده وجه الله

سمة المخلصين العظمى أنهم يريدون بعملهم وجه الله فلا يريدون به مغنمًا ولا جاهًا ولا ثناءً ولا عرضًا من عروض الدنيا. وأقرأ قول الله ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

(١) يوسف ١٢٤.

ﭐلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾[١].

## ثانيًا: حب عمل الخلوة

المخلصون أحرص على إخفاء صالح أعمالهم من غيرهم على كتمان ذنوبهم رجاء أن ينالهم الخير الوارد في الحديث " **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ** " [٢].

وأهل الإخلاص لم يقصدوا الشهرة، ولم يتعرضوا لها ولا لأسبابها فإن وقعت من قِبَل الله تعالى فروا عنها، وكانوا يؤثرون الخمول وقد كان ذلك هديًا في السلف بينًا وسمتًا ظاهرًا لهم.

يقول أحدهم: ( اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك ).

يقول أخر: ( إخمل ذكرك وطيب مطعمك. لايجد حلاوة الآخرة من يحب في الدنيا أن يعرفه الناس ).

يقول آخر: ( من أحب الله أحب ألا يعرف الناس ).

يقول الشافعي -رحمه الله- : ( وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم ولا ينسب إلى منه شئ ).

ولم يقتصر الأمر على القول أو التوجيه أو التمني بل جاوزوا ذلك إلى الفعل.

وَرَدَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيره عمياء في المدينة من الليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة المسلمين.

وروى عن منصور السلمي رضي الله عنه: صام أربعين سُنَّة وقام ليلها وكان يبكي،

(١) الكهف ٢٨ .
(٢) رواه مسلم .

فتقول له أمه يا بني قتلت قتيلًا ؟! فيقول أنا أعلم بما صنعت نفسي، فإذا كان الصبح كحل عيناه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

وروى عن داوود بن أبي هند رضي الله عنه : صام أربعين سنَة لا يعلم به أهله، كان خرازًا يحمل غداه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًا فيفطر معهم.

ورد عن زين العابدين بن الحسن رضي الله عنه : كان ينفق على أهل مئة بيت في المدينة، يأتيهم في الليل بالطعام ولا يعرفون من الآتي به حتى مات، ففقدوا ذلك فعرفوا ذلك منه. ووجدوا في ظهره أثرًا من نقل الطعام إلى بيوت الفقراء الأرامل.

ورد عن ربيع بن حنيثم رضي الله عنه قالت زوجته كان عمل الربيع رضي الله عنه كله سرًا. إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وهذا الإخفاء إنما هو لما شرع إخفاءه من العمل ذلك مخصوص بالنوافل دون الفرائض.

**يقول القرطبي -رحمه الله- :** ( سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لإنتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات كالزكاة أفضل إظهارها وإخفاء الصدقة أفضل.أستثنى من ذلك من يقتدي بهم في الناس، إذ الإبداء في حقه أولي، فقد كان بن عمرو بن مسعود رضي الله عنه وجماعة من السلف يهجدون في مساجدهم ويتظاهرون بمحاسن أعمالهم ليقتدي بهم... فمن كان إمامًا يقتدي به ويستن بعمله عالمًا بما لله عليه قاهرًا لشيطانه أستوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده ) .

قال لقمان لإبنه: الرياء أن تطلب ثواب عملك في دار الدنيا وإنما عمل القوم للآخرة.

قيل فكيف يكتم العمل ؟! قال ما كلفت إظهاره من العمل فلا تدخل فيه الإخلاص، وما لم تكلف إظهاره أحب ألا يطلع عليه إلا الله...

## ثالثًا : سرائرهم أحسن من علانيتهم

المخلص لا يظهر التنسك أمام الناس ثم يسئ فيما بينه وبين ربه، بل هو قوام على نفسه يحاسبها كأنه أبدًا يرى الله، فلا روغان في استقامته، وهذا من أعظم القربات، مراقبه الحق على داوم الأوقات.

فهذا أبعد ما يكون عن صفات أولئك الذين ضعف إخلاصهم وقلت مراقبتهم ممن حكى عنهم النَّبي ﷺ لنا حالهم " **لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاما مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتِ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيْضَاءَ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُورا. قَالَ ثَوْبَانُ يَا رَسُوْلَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُوْنَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ! قَالَ إِمَّا أَنَّهُمْ أُخْوَانِكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُوْنَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُوْنَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَاما إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ! إِنْتَهَكُوْهَا** " [١].

الخلوة قد تكون وحدك، وخلوة أخرى من نوع خاص، وهي الأهم قد تكون في مكان عام، وهذا المكان الكل يعصي الله فيه، وفيه من الأغاني والموسيقى والاختلاط ما فيه والجميع يشجع ذلك إلا أنت، ألا تخوض معهم ويكون عليك رقيب من الله في هذه الخلوة تشعر أنك غريب.

إعلم أنه إن عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد إجترأت على أمر عظيم، وإن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

## رابعًا : الخشية من رد أعمالهم

مهما كثرت طاعة العبد المخلص فإنه لا يزال على خوف عظيم من رد عمله وعدم قبوله.

قال الله فيهم والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة .

---

(١) رواه ابن ماجة عن ثوبان بن بجدد .

قال الحسن ﷺ : لقد أدركنا أقوامًا كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا بها.

أحد السلف يقول قال لي رجلًا يومًا يا أبو أيوب! إحذر نفسك على نفسك، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقص أي والله! لئن لم تأت الآخرة للمؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران هم الدنيا وشقاء الآخرة، قال قلت بأبي أنت وكيف لا تأتية الآخرة بالسرور وهو ينصب لله في دار الدنيا؟ فال يا أبو أيوب! وكيف بالقبول؟ وكيف بالسلامة؟، ثم قال كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه، قد أصلح قربانه، يجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه!.

الإمام الماوردي صاحب التصانيف الحسان في فنون عدة كالحاوي الكبير في الفقة، والعيون في التفسير والأحكام السلطانية، و أدب الدنيا والدين، لم يظهر شئ من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته قال لمن يثق به الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي فإذا قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيئًا منها. فاعمد إلى تلك الكتب وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي فاعلم إنها قبلت. قال الرجل فلما أحتضر وضعت يدي في يده فبسطها فأظهرت كتبه.

## خامسًا عدم إنتظار محمدة الناس:

فهم عندما يحسنون إلى الخلق، ويسعون في تنفيس كربهم، وتفريغ همومهم، لا يرون لهم على أحد حقًا ولا فضلًا لأنهم أنما عملوا ما عملوا طاعة لله تعالى، وإرضاء له، فهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [1] ، ولذا تراهم لايعاتبون من أساء اليهم، ولايحقدون على من

(١) سورة الشعراء ١٢٧ .

منعهم، ولا يرجون من الخلق جزاءً ولا شكورًا ، حالهم يقول: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [1]، أما و الله ما قالوا بألسنتهم ولكن علم الله ما في قلوبهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل رسول الله ﷺ ما قالوا؟ ، فإذا ذكر دعاؤهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصًا عند الله...

**إقرأ قصة صاحب النقب! :**

حاصر مسلمة حصنًا فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحة الله عليهم. فنادى مسلمة أين صاحب النقب؟! فما جاء أحد ، فنادى إني قد أمرت الإذن بإدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل فقال أستأذن لي على الأمير فقال له أنت صاحب النقب؟! قال أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمه فأخبره عنه فإذن له فقال له أن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا : ألا يسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال فذاك له: قال أنا هو.. فلما مات كان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

كيف أحصَل الإخلاص وأستمر فيه؟!

**لتحصل الإخلاص هناك عدة مفاتيح :**

## المفتاح الأول : تعظيم الله تعالى وقدره حق قدره :

بمعرفة عظمته سبحانه وكماله وجلاله، وأنه عز وجل الغنى الكبير المتعال، القادر على كل شيء ، وأنه العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه سبحانه

(١) سورة الإنسان ٩ .

الذي بيده النفع والضر، لا شريك له فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن.

وبمشاهدة منة الله تعالى وفضله وإحسانه تستشعر أنك بالله لا بنفسك، كل نعمة منه وكل خير فمن جوده وإنعامه، إذا علمت ذلك كله أيقنت أن حقوقه سبحانه عظيمة، وأنك أضعف من أن توفيه تعالى حقه أو أن تشكره على نعمه حق الشكر، وبهذا يقوى الإيمان واليقين ويعظم توجك إلى ربك وإخلاصك له ..

ولن تعظم الله إلا إذا عرفت حقيقة نفسك، ولم يغب عنك رؤية التقصير.

## المفتاح الثاني : تعلم الإخلاص :

من أعظم سبل تحقيق الإخلاص معرفة حقيقته، وقد تقدم شرحها، ومعرفة الأمور التي تنافيه وتقدح في كماله، سأوجزها في الصفحات القادمة.. جاء عن أهل العلم الأمر بتعلم ذلك يقول ابن كثير -رحمه الله-: "تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل" فليت شعري كيف تصلح نيَّة من لا يعرف حقيقة النية؟! أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟! أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه؟! ويعلم الأمور التي تنافيه؟!.

فالوظيفة الأولى عليك إذا أردت طاعة الله تعالى أن تعلم النية أولًا، ليحصل لك المعرفة، ثم تصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الإخلاص والصدق فيه، فهما وسيلتان لك إلى النجاة.

ولشدة الحاجة إلى ذلك قال عبد الله بن أبي جمرة "وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم. ويقعد في التدريس في أعمال النيات ليس إلا.. فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع النيات". رحم الله عبدًا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغير الله أمسك حتى يصحح نيته.

## المفتاح الثالث: تذكر ثواب الإخلاص وعاقبة ضده

ليصفوا لك الإخلاص عليك أن تتذكر ثوابه وفضائله، فهو سر قبول العمل والسبيل الوحيد لدخول الجنة، وبوابة السلامة من كيد الشيطان ووساوسه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾.[2]

وفي المقابل لابد من تذكر عاقبة فقد الإخلاص، إذ ذلك يحبط عمل العبد بل يؤدي به إلى النار ويكون سبيل فضيحته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3] وحديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار، وحديث من سمع سمَّع الله به، والأحاديث كثيرة.

## المفتاح الرابع: مراقبة النفس ومجاهدتها:

والمراقبة لها وجهان: الوجه الأول كأنك تراه والوجه الثاني إنه يراك.

### الوجه الاول: كأنك تراه:

إذا ابصرت تذكر أنك بالله تبصر، وإذا نطقت تذكر أنك بالله تنطق، وإذا سمعت تذكر أنك بالله تسمع، وإذا تفكرت تذكر أنك بالله تفكر، وإذا نمت تذكر إنك بالله

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة الصافات آية ٣٨:٤٣.

(٣) سورة هود آية ١٦، ١٥ ..

تنام، وإذا استيقظت تذكر إنك بالله تستيقظ، كأنك تراه سبحانه في نعمه عليك، في نفسك ألاتبصر؟! وفي الكون حولك ألا تنظر؟! عندها ستزول الحجب بينك وبين الله عز وجل وهنا يتعلق قلبك بالله ويصير الحب الأكبر لله ، ويسقط من قلبك كل ما سواه.. عندها تشعر أنك بالله ومن الله وعلى الله وإلى الله. إذا وقع بصرك في السماء وجدت آياته ولطفه وجماله وجلاله وكبريائه وعظمته كأنك تراه، إذا وقع بصرك في الأرض وجدت آياته ونعمه وفضله ومنه وكرمه وإحسانه وحلمه وصبره على عباده كأنك تراه عندها تصل إلى النعيم الذي والله الذي لا إله إلا هو ما بعده نعيم.

وهو الأنس بالله والقرب منه واستشعار قربة وحبه. وهذه نعمة ولكي تغذي قرب الله منك أكثر من ذكره حتى لا يغيب عن بالك لحظة! هذه درجة الإحسان الأولى أن تعبد الله كأنك تراه عبادة حب ناتجة عن المراقبة .

**الوجه الثاني : إنه يراك :**

أي أن تعلم تمام العلم وتتيقن تمام اليقين أن الله يعلم فعلك وقولك وإعتقادك. نعم تتيقن تماما أن الله يعلم فعلك، يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[1] فالله تعالى يراك حين تقوم من الليل في مكان خال لا يطلع عليك أحد، فالله يراك حتى لو كنت في أحلك ظلمة. الله يراك ، وتقلبك في الساجدين، يراك وأنت تتقلب مع الساجدين من الليل. أيضًا من مراقبتك لله تعلم تمام العلم أن الله يسمع قولك، بأي قول قلت وبأي لغة تكلمت، كما قال ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2] .

فالذي تتكلم به سرًا أو جهرًا خيرًا كان أم شرًا فإنه يُكتب لك أو عليك﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[3] كان بعض السلف يعد كلامه من الجمعة

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٨ - ٢١٩ .
(٢) سورة الزخرف آية ٨٠ .
(٣) سورة ق آية ١٦ .

إلى الجمعة ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يضع حجارة صغيرة في فمه إذا فرغ من الأكل أو الذكر.

أيضًا من مراقبتك لله أن تعلم تمام العلم أن الله يعلم اعتقادك وما في قلبك. فانظر ماذا في قلبك؟ من شرك أو رياء أو إنحراف أو حقد على المسلمين أو بغضاء أو حسد أو محبة للكافرين، أو ميل إلى الممثلين، وما أشبه ذلك من الأمور التي لا يرضاها الله عز وجل. راقب قلبك فإن الله يقول ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [١] ، فمراقبة الله تتم في تلك المواضع الثلاثة فعلك وقولك واعتقادك ماذا بقي من حياتك؟ ولهذا قال ﷺ عن الإحسان : **"أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"** [٢]. فهذا الوجه الثاني للمراقبة إنه يراك.

*قال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلاث سنين أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت كيف أذكره؟، قال قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك الله معي، الله ناظري إليَّ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلت، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سَنَة قال لي خالي : إحفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين فوجدت في ذلك حلاوة في قلبي ثم قال لي خالي يومًا : يا سهل من كان الله معه وناظر إليه وشاهده أيعصيه؟! إياك والمعصية! إياك والمعصية! .

وأصبح سهل من كبار العارفين بفضل خاله الذي أدبه وعلمه وغرس في نفسه أرقي معاني الإيمان والمراقبة.

---

(١) سورة ق آية ١٨ .
(٢) صحيح البخاري .

*عن ابن سرين قال:إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه.

هذا ولا بد للعبد من الجمع بين وجهي المراقبة كإنك تراه (عبادة حب ) وأنه يراك ( عبادة خوف ) فما أنفع للعبد أن يتقلب بين الرجاء والخوف. نعم لابد بجانب الحب من الخوف منه سبحانه.

قال صاحب (المدارج) " القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناجان فهو عرضه لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوي جناح الرجاء على جناح الخوف ".

ويأتي الخوف من علمك أنه سبحانه لا تخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء، وإنه سبحانه ما تسقط من ورقة إلا يعلمها، إذا كانت الورقة الساقطة يعلمها، فما بالك بالأوراق النامية التي يغذيها هو، وينميها هو، وإذا كانت النباتات يعلمها فما بالك بالحيوان وما بالك بالإنسان والجن هؤلاء المكلفين والذي أعد لهم الجنة والنار وحساب وجزاء وصراط وغيره! ولا حبَّة في ظلمات الأرض عليها خمس ظلمات، ظلمة الطين في البحر، وظلمة ماء البحر، وظلمة الليل، وظلمة السماء، وظلمة المطر المنهمر،ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين والله يعلمها ، فما في الأرض من شجرة، ولا مغرز أبرة إلا عليها ملك موكل، يأتي الله بعلمها رطوبتها ويبوستها.

إذًا من كان هذا سعة علمه، ألا يجب علينا أن نخافه!! .

يجب ألا يغيب عنا أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم السر وأخفى ، نفسك مكشوفة أمام ربك ولا محالة وأنت مقبل عليه ولا محالة، ألا ننظف أنفسنا قبل الإقدام عليه ؟! ، إنه يراك بكل ما في قلبك من خطرات، فهلَّا اعتنينا بإصلاح قلوبنا مثل إصلاح أبداننا؟!، ولنا وقفة مع كيفية إصلاح القلوب إن شاء الله في هذا الكتاب.



## المفتاح الخامس: الإستعانة بالله

من مفاتح تحقيق الإخلاص إفتقارك إلى الله عز وجل، وكثرة الدعاء والتوسل إليه بأن يوفقك للإخلاص، إذ هو سبحانه مقلب القلوب ومصرفها، فالإستعانة بجنابه هي الطريق القويم لتحصيل الإخلاص ودفع ضده، ولذا فرض الله عز وجل على العبد أن يردد في اليوم الواحد مرارًا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، واسأل الله " **اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ**" فأكثر من الإستعانة وألحَّ في الطلب، فإن من يكرر الطرق ويشتد فيه، يوشك أن يلج.

## المفتاح السادس: الإكثار من الطاعات

إعلم أن النفس إذا ألفت الطاعة أنفت من المعصية، ومراد الشيطان منك أن تترك الطاعة بالكلية أو أن تأتي بها على غير وجهها (نية وكيفية) فإذا عرف الشيطان أنك تراغمه ولاتطيعه، وأنك متى أحدث لك وسوسة زدت من تعبدك وإخلاصك، فإنه يكف عنك لكي لا يكون سببًا في زيادة حسناتك.

يقول الحسن البصري: إذا نظر إليك الشيطان، فرآك مداومًا في طاعة الله ملَك ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا، ومرة هكذا طمع فيك.

حكى أنه جاء غلام لأبي ذر رضي الله عنه بشاة له قد كسر رجلها فقال له أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة؟! قال أنا، قال له ولم فعلت؟! قال عمدًا لأغضبك فتضربني فتأثم، قال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظي، فأعتقه. هكذا كان السلف رضوان الله عليهم، من ذكرهم بسوء دعو له ليغيظوا من حضهم من شيطان أنس كان أو جن ، هؤلاء فهموا اللعبة الشيطانية، هو طُرد من الجنة وهم يعادونه في الله.

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥ .

## المفتاح السابع: ترك الإعجاب بالنفس والمبالاة بالخلق

من أعظم مداخل الشيطان عليك دفعك لترى عملك، وتعجب به، وتطالع المخلوقين أثناء فعلك.

وإعلم أن العجب بالعمل من باب الإشراك بالنفس، كما قال ابن تيمية -رحمه الله- وهو ناتج عن إستعظام العمل فكأنك بعجبك بعملك مانٌّ على الله تعالى بفعلك، وأنت بذلك تنسى نعمته سبحانه عليك بتوفيقه لك بفعل الطاعات. قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [١] وهو أمر محبط للعمل ولعياذ بالله.

وكيف الخلاص منه؟! كيف الخلاص من العجب بالعمل الذي هو من باب الإشراك بالنفس؟!.

إذا شرعت في قول أو عمل مما تبتغي به مرضاة الله، طالع فيه منة الله عليك، وتوفيقه لك فيه، وأنك بالله لا بنفسك، ولا بمعرفتك، بل هو الذي أنشأ لك اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي منَّ عليك بذلك هو الذي منَّ عليك بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظتك ونظر قلبك لم يحضرك العجب، فإذا غبت عن تلك الملاحظة، وثبت النفس، فقامت في مقام الدعوى فوقعت في العجب ففسد عليك القول والفعل.

واعلم أن مطالعة المخلوقين والإهتمام بنظرهم وحب حمدهم، وكراهية ذمهم في الطاعات، من باب الإشراك بالخلق كما قال ابن تيمية -رحمه الله- شيخ الإسلام وداعي النفس إليه قوي، إذ النفوس مجبوله على حب أن يكون لها منزلة في قلوب الخلق ومن غاب عليه ذلك صار مقصور الهمّ على ملاحظة الخلق، مشغوفًا بالتردد إليهم، والمراءاة لهم، ولا يزال في أفعاله وأقواله ملتفًا إلى ما يعظم منزلة عندهم،

(١) سورة الحجرات آية ١٧ .



وذلك بذر النفاق، وأصل الفساد لأن من طالب المنزلة في قلوب الناس اضطر أن ينافقهم بإظهار ما هو خال عنه..

**كيفية الخلاص من ذلك؟!**

تذكر قول النَّبي ﷺ " **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ أجْتَمَعتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوْكَ بشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوْكَ الإ بشَيْءٍ قَدْ كَتبَهُ اللهُ لَكَ، وَإنْ إجْتَمَعُوْا عَلَى أَنْ يَضُرُّوْكَ بشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوْكَ الإبشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ** "[١]، فمراءة الآخرين لا تجلب لك نفعًا ولا ضرًا، بل مقت الله والناس..وتذكر أن ذاك العجب يجعلك تفقد الإخلاص، فيحبط عملك، فلا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء، والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار. فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكينة اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع، والزهد في الثناء والمدح، سهل عليك الإخلاص.

## المفتاح الثامن: مصاحبة الأخيار

من أعظم صوارف الإخلاص مصاحبة غير المخلصين، وذلك لأن الصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده، فالطباع مجبولة على التشبه والإقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري، فمن جالس المخلصين تحرك الإخلاص لديه، ومن خالط أهل الرياء والسمعة تأثر بهم. ولشدة أثر الصحبة: قال رسول الله ﷺ: " **الْمَرْءِ عَلَىَ دِيَنِ خَلِيْلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ...** "[٢]، فالخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه فإن كان صاحب صدق وإخلاص حمله على ذلك وإن كان صاحب رياء وسمعه وهوى حمله على ذلك.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام " **مَثَلُ الْجَلِيْسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السّوْءِ**

(١) رواه الترمذي .
(٢) صحيح رواه أبو داوود والترمذي .

كَحَامِلِ الْمِسْك أَوْ نَافِخُ الْكِيَرِ، فَحَامِلُ الْمِسْك أَمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَأَمَّا أَنْ تَبْتَاعُ مِنْهُ، وَأَمَّا أَنْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحا طَيِّبًا، وَنَافِخ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثًا.."[1] (يحذيك: يعطيك بدون ثمن) .

## المفتاح التاسع: التأسي بالمخلصين

من أقرب طرق تحصيل الإخلاص التأسي بالمخلصين والسير على منهجهم. لأن المحاكاة هي أسلوب الأمثل لإعادة وتحقيق ما نجح فيه الآخرون. فالقدوة الحسُنَّة مثال حي يثير في النفس التقدير والمحبة، ويقنعها بإمكانية الوصول للكمال، ويحفزها للعمل، لذلك جاء قول الله ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[3]، وحث الرسول بالإقتداء به وبالخلفاء الراشدين من بعده. يقول الشاعر:

إذا أعجبتك خصال إمرئ ∴ فكنها تكن مثل ما أعجبك

فليس على الجود والمكرمات ∴ إذا جئتها حاجب يحجبك

وسبيل معرفة إخلاص المخلصين مطالعة سيرهم، طالعها مرة بعد مرة، فالحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلى المؤمن من كثير من الفقة لأنها أدب القوم وأخلاقهم.

## المفتاح العاشر: إتخاذ الإخلاص هدفًا

كثيرون هم أولئك الراغبون في الإخلاص، لكن المخلصون منهم قلة، ذلك أن رغبتهم تلك لم تتخذ هدفًا فتترجم إلى ممارسة وعمل، فإذا أردت أن تكون

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع .
(٢)سورة الأحزاب آية ٢١ .
(٣)سورة الأنعام آية ٩٠ .

مخلصًا، فإجعل الإخلاص هدفك الذي تريده، وتتجه إليه دومًا، ثم عليك أن تقرر إستعدادك لدفع ثمن تحقيق ذلك الإخلاص، وتحويله إلى سلوك معاش، وعادة مقصودة في الحياة. ثم بادر إلى دفع ذلك الثمن فعلًا...كيف ؟!، بأن تقطع الطمع عما في أيدي الناس.. بأن تترك التعليق بالدنيا وإتخاذها عرضًا.. تكمح جماح نفسك، وطمعها الشديد في الحصول على حمد الناس وثنائهم. إذا فعلت ذلك ستكون بإذن الله من القلة التي حازت الإخلاص.

**و مما يعين على تحقيق الإخلاص أن تفهم مسائل فيه:**

**المسألة الأولى:** ما يضاد الإخلاص من الرياء والسمعة، العجب بالنفس في طاعته، وإتباع الهوى.

فالرياء هو إظهار العبادة بقصد رؤية الناس، ونيل حمدهم، والسمعة هي إسماع الناس طاعته كأن يقرأ القرآن ليسمعوه وقيل المراد بالتسميع أن يحدث المرء غيره بما يفعله من الطاعات التي لم يطلع عليها المتحدث إليه إذ جعل التسميع ضربين أحدهما تسميع الصادقين هو أن يعمل الطاعة خالصة لله ثم يظهرها ويسمع الناس بها ليعظموه ويوقره ولا يؤذوه.. الثاني تسميع الكاذبين، وهو أن يقول صليت ولم يصل، ويقول زكيت ولم يزكي، أو صمت ولم يصم....

فجاءت النصوص بالتحذير من الرياء والسمعة بحالتيه حيث أن أضر شيء على العبد أن يعمل عملًا، أو يقول قولًا، لا يريد به وجه الله، جميل ظاهره قبيح باطنه، يبطن غير ما يعلن، ويظهر بخلاف ما يبطن. يسبح ويهلل ويقرأ القرآن ويخطب ويعلم ويدعو إلى الله بلسانه، وقلبه غافل ، وبغير الله مشغول وعلى سواه متكل وحسبه من الخير ثناء الجاهلين عليه، وإستمالة قلوبهم إليه، إذا قرأ جوَّد وإذا وعظ بكي، يقول بفيه ما ليس في قلبه ، يرائـي الناس بما يعملـه لربـه ، وفيـه يقول تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ

يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[1] ، ويحذر ربنا تبارك وتعالى عباده المؤمنين من الرياء بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾[2] .

إقرأ قول النبي ﷺ " **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، فَقَالَ : الشِّرْكُ الْخَفِيُّ ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ** "[3] . وقوله ﷺ : " **مَنْ سَمِعَ النَّاسُ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ** "[4] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ : " **مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ** "[5] .

لهذا الحديث يحذرنا الرسول ﷺ من الرياء والسمعة، وأن يعمل المسلم عملاً ينبغي به الشهرة وثناء الناس عليه لأنه لا يصنع الخير حبًا فيه، ولا يترك الشر كراهية له، بل ربما إذا خلا بنفسه أرتكب العظائم، وقصر في الواجبات والمندوبات، ومن أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو، واتصف بصفة المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[6] ، فاعلم رحمك الله أن من قصد بعمله المنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديث عند الناس الذين

---

(١) سورة الماعون أيه ٤-٧ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦٤ .
(٣)حسنه الألباني في صحيح الترهيب.
(٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير .
(٥)رواه البخاري ٤٣١٦ .
(٦)سورة النساء آية ١٤٢ .

أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة..وقيل المعنى في قول سمَّع الله به: أي شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من حيث السريرة .

**قال الشيخ ابن عثمين -رحمه الله-** عند قوله " **مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ** " يعنى من قال قولًا يتعين به الله ورفع صوته بذلك حتى يسمعه الناس ويقولون فلان كثير الذكر، كثير القراءة، وما أشبه ذلك فإن هذا قد سمَع عباد الله يرائي بذلك سمَع الله به أي فضحه وكشف أمره وبيَن عيبه للناس ويتبين لهم أنه مرائي. والحديث لم يفيد هل هو في الدنيا أو في الآخرة فيمكن أن يسمَع الله به في الدنيا فيكشف عيبه عند الناس ويمكن أن ذلك في الآخرة وهو أشد والعياذ بالله ، وأخرى كما قال تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

ويدخل في الحديث الذين يحبون أن تشيع الفاحشه في المؤمنين، والذين يتتبعون عثرات الناس من أجل أن يفضحوهم وقوله **وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ** وهو أن يفعل شيء ليراه الناس وأراده العامل بعبادته غير وجه الله فيقصد إطلاع الناس على عبادته وكماله فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء وعلى الرياء يترتب حسن الخاتمة وسوءها كما جاء في الحديث "**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ حَتَّىَ مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا الاِ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ حَتَّىَ مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**"[2].

*وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوْا يَا رَسُوْلَ الله وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قَالَ الرِّيَاءُ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُوْلُ يَوْمَ يُجَازَى الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ إِذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُوَنَ بِأَعْمَالِكُمْ**

(١)سورة فصلت آية ١٦.

(٢)صححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥) .

فِي الدُّنْيَا، فَأَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟ " [١].

* قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه للمرائي علامات : يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم " [٢].

* ويقول الفضيل بن عياض: وكانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون"..

**كيف الخلاص من الرياء والسمعة ؟!:**

لايستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة، ومكابدة لقوة الشهوات، وذلك بأمرين الأول قمع عروقه واستئصال أصوله وهي لذة المحمده، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس، وهذه الثلاثة راجعه إلى حب المنزلة. الثاني أن يشمر الإنسان عن ساعد الجد لدفع ما يعرض من خاطر الرياء، وخواطره ثلاثة أيضًا هي: العلم بإطلاع الخلق ورجاء إطلاعهم، ثم هيجان الرغبة في النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم، ويعقب ذلك هيجان الرغبة في قبول النفس الحمد والمنزلة والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه .. الخاطر الأول يسمي معرفة والثاني رغبة وشهوة والثالث العزم. وكمال القوة في دفع الخاطر الأول قبل أن يعقبه الثاني، فإذا خطر لك معرفة إطلاع الخلق أو رجاء إطلاعهم، دفعت ذلك بأن تقول مالي و للخلق، علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالي، فأي فائدة في علم غيره؟؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد، فعليك أن تذكر تعرض المرائي للمقت عند الله يوم القيامة، وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، وعندئذ تثور عندك كراهة للرياء تقابل تلك الشهوة، إذ تتفكر في تعرضك لمقت الله وعقابه الأليم. الشهوة تدعوك إلى القبول، والكراهة تدعوك إلى الإباء، والنفس تطيع لا محاله أقواهما، ويتضح من ذلك أن لابد في رد الرياء الذي خطر أثناء العبادة من المعرفة والكراهة والإباء، أما

(١) متفق عليه .
(٢) راجع الأحياء (٣/ ٢٩٦) .

من الناحية العملية فإن دفع الرياء يستلزم منك أن تعود نفسك إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبك بعلم الله، ولا تنازعك نفسك بطلب علم غير الله به، وهذا وإن كان يشق في البداية إلا أنه يهون بالصبر عليه، وبتواصل الطاف الله تعالى وبما يمد به عباده من التأييد والتشديد، إذن طريق الخلاص من الرياء والسمعة أن تعمق إيمانك وتلجأ إلى ربك وتتفرغ إليه، وتزهد في الدنيا، وتعلم حقارتها، وتدرك عاقبة الرياء والسمعة في الدنيا والآخرة، وما لم تفعل ذلك فسيكون من العسير عليك مدافعتهما وإجتثاث باعثهما من القلب.

**وأما العجب بالنفس:** فهو كبر باطن بخصال النفس يورث كبرًا ظاهرًا في الأوقوال والأفعال والأحوال... والشخص المعجب هو الشخص المزهو بنفسه، المغتر بطاعته.. ومتى أصيب المرء بداء العجب فقد وقع في الهلكة.

وروى أن عمر رضي الله عنه " خرج وعلى ظهره قربة فقيل له يا أمير المؤمنين ما هذا؟! قال إن نفسى أعجبتني فأحببت أن أذلها.

وهذه قصة النَّبي الذي أعجب بقومه ، يرويها لنا رسول الله ﷺ " روى الأمام أحمد في مسنده عن صهيب قال " **كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ إذَا صَلَّىَ هَمَسَ شَيْئا لَا أَفْهَمُهُ وَلَا يُخْبِرُنَا به، قَالَ أَفَطِنْتُمْ لِيَ؟ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ أَنِّيَ ذَكَرْتُ نَبِيا مِنْ الْأَنْبِيَاء أَعْطَىَ جُنُوْدا مِنْ قَوْمِهِ (وَفِى رِوَايَة أَعْجَبَ بِأُمَّتِه) فَقَالَ مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاء. أَوْ مَنْ يَقُوْمُ لِهَؤُلَاء؟ أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْكَلَام. فَأَوْحَى إِلَيْه أَنْ أَخْتَرْ لِقَوْمِكَ إِحْدَىَ ثَلَاث: إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوْ الْجُوعَ، أَوْ الْمَوْتَ، فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا أَنْتَ نَبِيِّ الله فَكُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ خر لَنَا: فَقَامَ إِلَى الصَّلَاة وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوْا فَزِعُوْا إِلَىَ الصَّلَاة فَصَلَّىَ مَا شَاءَ الله.. قَالَ ثُمَّ قَالَ إِى رَبِّ أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوْ الْجُوْعُ فَلَا، وَلَكِنْ الْمَوْتُ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتُ فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُوْنَ أَلْفا، فَهَمْسَىْ الْأَوَّلِ أَنِّىَ أَقُوْلُ : اَللّهُمَّ بِكَ**

أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ "(١).

فانظر عاقبة العجب الوخيمة، إذا هو يضعف التوكل على الله، والإعتماد عليه، ويجعل المرء يعتمد على الأسباب الدنيوية، من هنا نفهم لماذا كان العجب مهلكًا؟ لأن صاحبة يستعظم عبادته، ويمن على الله بفعلها وينسى نعم الله عليه وتوفيقه وتمكينه منها. فإذا عجب بها عمي عن آفاتها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعًا.

فإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه، ويحمدها ويزكيها دون حمد الله.

*وقد أدرك السلف هذا الأمر، قيل لعائشة " متى يكون الرجل سيئًا ؟ قالت إذا ظن أنه محسن".

*قال ابن عبد الله " لأن أبيت نائمًا، وأصبح نادمًا، أحب إلى من أن أبيت قائمًا، وأصبح معجبًا.

*قال مسروق " كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلًا أن يعجب بعمله.

**كيفية الخلاص من عجب النفس ؟!:**

مرد العجب بالنفس إلى الجهل المحض بها، وعدم معرفته حقيقتها، والعلاج أن يعرف المعجب حقيقة نفسه، وكثرة عيوبه، وأن يقدر ربه حق قدره.

*روى أن مالك بن دينار مر عليه ملهب بن أبي صفره وهو يتبختر في مشيته فقال له مالك : أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين! فقال له الملهب: أما تعرفني؟! فقال له: أعرفك أحسن المعرفة. قال: وما تعرف مني؟ قال أما أولك

(١) رواه أحمد

فنطفة مذرة، وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة . قال الملهب الآن عرفتني حق المعرفة.

نعم فنحن في الأولى من ماء وطين، وفي الثانية من ماء مهين، ثم نحمل الأنجاس على الدوام، ولو حُبِسَ عنا الهواء لصرنا جيفًا.

**وأما اتباع الهوى :** الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهو الباعث لصاحبه على العمل، فمتبع الهوى لا يهوى شيئًا إلا أتاه واتجه إليه فإلهه هواه.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [١].

و قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢].

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٣].

فالهوى شر داء خالط القلب وصاحبه، كلما هوى شيئًا ركبه وكلما أشتهى شيئًا أتاه لا يعجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ، ذلك لأن صاحب الهوى يعميه الهوى، ويصمه، فلا يستحضر ما لله ولرسوله في ذلك ولايرضى لرضى الله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى إذا حصل ما يرضاه هواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له هواه وهذا بخلاف المخلص فإنه يتجه إلى الله بكليته. كما قال الله ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٤] أي كفها عن شهواتها الصاده عن طاعة الله فإتباع الهوى

(١)سورة الفرقان آية ٤٣-٤٤ .
(٢)سورة الجاثية آية ٢٣ .
(٣)سورة القصص آية ٥٠ .
(٤)سورة النازعات آية ٤٠.

مضاد للإخلاص مبطل للعمل.

بل أن متبع الهوى إذا عمل عملًا صالحًا إتباعًا لهواه لا عبودية لله فإن عمله غير مقبول، ذلك لأنه لم يقصد بعمله وجه الله بل إتباع هواه.

* يقول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- :" لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق وتعاقب على ما تركته منه ، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين " .

ومخالفة الهوى شاقة على النفس ولذا بلغ الهوى بأهله مبالغ لا يبلغها غيرهم، وكفى شاهدًا على ذلك حال المحبين، وحال من بعث إليهم رسول الله ﷺ من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم، ولم يرضوا بمخالفة الهوى لذا فقد قصد الشارع بوضع الشريعة إخراج المكلف عن إتباع هواه حتى يكون عبدًا مخالصًا لله تعالى ، أي حتى يكون عبدًا إختياريًا كما كان عبدًا إضطراريًا. فعلى مريد الإخلاص:أن يقوي إرادته ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوي، فأفضل الجهاد جهاد الهوى .

**المسألة الثانية : ثناء الناس على العمل** :

يلازم المخلص العمل الصالح كارهًا الشهرة، وظهور ما لايشرع ظهوره من عمله، فما صدق لله من حب الشهرة ، لكن ذلك يعود على المخلص بعكس مراده، فيحبه الناس لتلك الملازمة ويحمدونه عليها فيسر بذلك ويستبشر من دون تعرض منه لحمدهم وتقصّد لنيل ثنائهم ، فهـذه بشرى لا تضر العبد ولا تخرجه عن الإخلاص يدل ذلك قول أبي ذر رضي الله عنه قال: قيـل لرسول الله ﷺ " **أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ؟، قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**" [1] .

(١)رواه مسلم

*وللمقدس تفصيل في ذلك حين قيل له فما ترى أحدًا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته، فهل جميع ذلك مذموم ؟؟!! ، الجواب: السرور ينقسم إلى محمود ومذموم. فالمحمود أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما أطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم، وأظهر الجميل من أحواله، فيسر بحسن صنع الله.. فيسر بماذا؟ يسر بحسن صنع الله ونظرته له ولطفه به، وإعجابه بربه، سبحان الله يأبى الله إلا أن يبني له منزلة في قلوب الخلق لم يطلبها طالب الإخلاص!، لا بحمد الناس، وقيام المنزلة في قلوبهم.. أما من كان فرحه بإطلاع الناس عليه لقيام منزلته عندهم حتى يمجدوه ويعظموه ولينفعوه ولا يضروه هذا مذموم .

**المسألة الثالثة : ترك العمل مخافة الرياء:**

ترك العمل خشية الرياء وسوسة من الشيطان فلوا أمتنع العبد عن الطاعة خوفًا من الرياء لأوشك إذا علم منه الشيطان بذلك أن يعترض له عند كل عمل بالخطرات بالرياء فيدع كل طاعة... فعلى العبد أن يمضي على طاعته فإن ذلك شديد الألم على شيطانه. فمن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام الليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده حيث كان لأجل كونه في الناس.

فالأعمال المشروعة لا ينهى عنها خوفًا من الرياء بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها.

*قال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما. فمن عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مراء، لأنه ترك العمل لأجل الناس أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن يكون فريضه أو زكاة واجبة أو يكون عالمًا يقتدي به، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل. من وفق لإبتداء عمله بنية صالحة، فعليه

أن يجاهد بنفسه ليستمر على الإخلاص، ويبتعد عن ضده نظرًا لتبدل النية وتقلبها في لحظات.

*يقول سليمان الهاشمي : ربما أحدث بحديث واحد ولي فيه نية فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتي فإذا الحديث الواحد تحتاج إلى نيات، لكن ليس لك أن تترك العمل خوفًا من الرياء. فإذا أتاك الشيطان وأنت في صلاة فقال أنك مراء فزدها طولًا وحسنًا .

## المسألة الرابعة: الإقبال على العمل عند مخالطة الصالحين

يشعر المرء حين يكون بين أظهر الأخيار العاملين بعلو همة فيسابق بعد ذلك في الخيرات، وينشط في الإقبال على الطاعات، فربما أطالوا قيام الليل فأطال معهم وربما تصدقوا فتصدق معهم، ولولاهم ما علت همته. فيظن ظان أن ذلك رياء مناف للإخلاص، وليس الأمر كذلك، يدل لذلك حديث حنظلة رضي الله عنه ، ومنه " **فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُوْلِ الله ﷺ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَارَسُوْلَ! فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ الله نَكُوْنُ عِنْدَكَ، تَذَكِّرْنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ الْعَيْنِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيْرا. فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ وَالَّذِي نَفْسُ بِيَدِهِ أَنْ لَوْ تَدُوْمُوْنَ عَلَى مَاتَكُونُونَ عِنْدِيَ وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنَّ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ** " (١) .

والفكرة في أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ولكن تعوقه العوائق وتستهويه الغفلة فربما كانت مشاهدة الغير سببًا لزوال الغفلة وبالعكس ما يكون في منزله تمكَّن من النوم على فراش بيته لكن إذا بات في مكان غريب أندفعت هذه الشواغل وتشجع بمشاهدة العابدين ،وكذلك الصوم قد يعسر

---

(١)رواه مسلم .

عليه في منزله لكثرة المطاعم، فيأتيه الشيطان ويقول إذا عملت غير عادتك كنت مرائيًا. فلا يلتفت إليه وإنما ينظر في قصده الباطن.

## المسألة الخامسة : تشريك النية

**لتشريك النية صورتان:**

**الأولى :** أن يقصد العبد بعمل واحد قربتين فأكثر، وجواز ذلك إستثناء، إذا الأصل أن لكل قربة عباده، أو عمل خاص بها. فمثلًا لو نؤدي بالصلاة الرباعية الظهر والعصر لم يصح. ولكن جاء الشرع باستثناء بعض العبادات، من ذلك: أن ينوي بغسله الجمعة والجنابة ، بصلاته تحية المسجد والسُنَّة الراتبة. بصدقته على القريب الصدقة والصلة. بمكثة في المسجد الإعتكاف وإنتظار الصلاة، بطوافه القدوم والعمرة. بقراءته القرآن القربة وعدم النسيان. ونحو ذلك من صور التشريك المشروعة والتي لا تتنافى مع الإخلاص، بل كلما أكثر العبد من استحضارها زاد أجره، فإن تداخل العبادات في العبادة الواحدة باب عزيز شريف لا يعرفه إلا صادق الطلب، ضلع في العلم، عالى الهمة بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..

**الثانية :** أن يقصد العبد بعمل واحد قربه وعمل مباح في آن واحد، أمثله: يخلط في الوضوء نية الطهارة ونيه التبرد والتنظيف. في الصوم نية التقرب ونية الحمية. في الحج نية أداء المناسك ونيه التجارة والترويج، هذا التشريك لا يقدح في الإخلاص لأن هذا التشريك لأمور من المصالح ليس لها إدراك ، وهذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق.

نعم إنه قد ينقص الأجر وإنه إذا تجردت العبادة زاد الأجر، أما الإثم والبطلان فلا سبيل، والدليل حديث رسول الله ﷺ : " **يَا مَعْشَرَ الْشَّبابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَهُ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الْصَّوْمُ** " .

## المسألة السادسة : حالات العمل مع الرياء :

**للعمل مع الرياء حالات متنوعة:**

* إما أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى لا رياء فيه ولا سمعة فهذا سبيل للرفعة والثواب.

* إما أن يكون رياءً محضًا لا يقصد به صاحبه إلا مراءاة المخلوقين ونيل منزلة عندهم ، فهذا من أعمال المنافقين، وهو حابط، وصاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة..

إما أن يشترك في باعثة إرادة الله وطلب محمدة الناس ولها حالات :

* إن شاركه من أصله فهو باطل وحابط.

* إن كان أصل العمل لله لكن طرأت فيه نية الرياء عليه فإن كان خاطر ودفعه فلا يضر بغير خلاف وإن أسترسل فيه حبط عمله.

* أما أن أصل العمل لغير الله لكن طرأ عليه الإخلاص فهذا إن كانت العبادة متصلة لا يصح فالعمل باطل. منفصله أولها عن آخرها بطل الأول وصح الثاني. كعمرة طواف وسعى هذه متصلة. كعمرة وصدقة هذه منفصلة ..



# الخطوة الثانية للحياة الطيبة
# صلاح القلوب



إن الناظر في أحوال أكثر الناس يرى أمرًا عجبًا، يرى إعتناءً فائقًا بتحسين الظواهر، وتجميلها، وتزيينها بأنواع المحسنات والمجملات، وفي الوقت نفسه يرى غفلة مطبقة، وذهولًا تامًا عن تزيين البواطن وإصلاحها، فكم هي الأوقات والجهود والطاقات التي تصرف لتحسين المظاهر مع الغفلة التامة عن إصلاح القلوب والبواطن؟!

حتى غدا كثير من الناس ليس له هِمَّةً إلا في جمال مظهره وحسن مطلعه، فصدق فيهم قول الله في وصف المنافقين ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٤ ﴾ [1]، فهذه حال قوم كانت مناظرهم بهية وأقوالهم خلابة ولم يخرجهم ذلك من كونهم خُشب مسندة لا نفع فيها. فتلك مناظر لا مخبر لها، وأجرام لا أفهام لها، وهذه حالة دنية لا يرضاه مؤمن لنفسه. بل لا يتم إيمان المؤمن، ولا يصح إلا بإصلاح باطنة، وتزكية قلبه وتطييبه.

عن سعد بن الحسن التميمي قال كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده يعني من التواضع في الزي، وإنشغاله بإصلاح باطنه.

فجمال الظاهر وحسنه لا يغني عن العبد شيئًا إذا كان باطنه وقلبه فاسدًا قبيحًا، والدليل قول الله عز وجل في الرد على قوم غرهم حسن أحوالهم وجمال مظهرهم، فجعلوا ذلك دليل على حسن عاقبتهم﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ

(١) سورة المنافقون آية ٤.

أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ ﴾ [١] ،فأخبر سبحان وتعالى أنه أهلك أقوامًا من قبل كانوا هم أحسن صورًا، وأكثر مالًا، وأجمل أشكالًا، فما أغنى عنهم ما كانوا يُمتعون... وأقرأ قوله تعالى ﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢] . فجمال الباطن وسلامة القلب هو الأصل، والأساس الذي يبنى عليه الفلاح في الدنيا والآخرة، واقرأ قول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٣] .

ولن يتحقق للعبد التزين بلباس التقوي، والتحلي به إلا بإصلاح قلبه وتزكيته وتطييبه.

فقلبك أمره عظيم، وشأنه جليل، ويجب العناية به لما صرح به النَّبي ﷺ من حديث أبي هريرة قال قال النَّبي ﷺ " **اَلتَّقْوَىْ هَا هُنَا ، اَلتَّقْوَىْ هَا هُنَا ، اَلتَّقْوَىْ هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَىَ صَدْرِهِ** ﷺ " [٤] ، فإنما أشار في الصدر لأنه محل القلب، والقلب محل التقوى، وما أنزل الله الرسل والكتب إلا لإصلاح القلب وتزكيته... إقرأ قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [٥].

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن

---

(١) سورة مريم آية ٧٤ .
(٢) سورة غافر آية ٢١ .
(٣) سورة الأعراف آية ٢٦.
(٤)رواه مسلم .
(٥) سورة يونس آية ٥٧ .

﴿كَانُوا۟ مِن قَبۡلُ لَفِی ضَلَـٰلࣲ مُّبِینٍ ۝١٦٤﴾ [1]. فأعظم ما جاء به الرسول ﷺ إصلاح القلوب، كذلك لا سبيل لتزكية القلوب، وإصلاحها إلا من طريقه ﷺ .. **ولماذا القلب؟!.** لأنه محل المعارف، به يعرف العبد ربه ومولاه، وبه يعرف أسماءه وصفاته،، وبه يتدبر آيات الله الشرعية قال تعالى: ﴿أَفَلَا یَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَاۤ ۝٢٤﴾[2]، وبه يتدبر آيات الله الكونية في الآفاق، وفي الأنفس قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ یَسِیرُوا۟ فِی ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبࣱ یَعۡقِلُونَ بِهَاۤ أَوۡ ءَاذَانࣱ یَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِی فِی ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾[3]، **لماذا القلب؟!.** لأنه للعبادة التامة أركان أربعة حيث بنيت ﴿إِیَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان، وقول القلب، وعمل القلب، وعمل والجوارح.

**فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع:**

**قول القلب:** وهو إعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

**قول اللسان:** الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبيلغ أوامره.

**عمل القلب:** كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه،، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره والرضا به، والمولاة فيه والمعاداة فيه، والذل له، والخضوع والإخبات إليه، والطمأنينه به، وغير ذلك من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

**وعمل الجوارح**، كالصلاة، والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات،

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٢) سورة محمد آية ٢٤ .

(٣) سورة الحج آية ٤٦ .

ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك..

**لماذا القلب؟!** لأن القلب هو المطية التي يقطع بها العبد سفر الآخرة، فإن السير لله تعالى سير القلوب لا سير الأبدان.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ، فقال " **إِنَّ أَقْوَاما خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**" (١) .

وفي رواية " **إِلَا شَارَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**" . فهؤلاء قوم من الصحابة مع رسول الله ﷺ بأرواحهم وبدار الهجرة (المدينة) بأشباحهم وهذا من الجهاد بالقلب حيث مراتب الجهاد أربع القلب واللسان والمال والبدن...

فليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية ولكن بكونها خالصة لله تعالى، متابعة للسُنَّة، وبكثرة معارف القلوب وأعمالها.. ولقد علمنا ما سبق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بكثرة الصوم والصلاة ولكن بشيء وقر في صدره.

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ " **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** " (٢) ، فعبادة القلب هي الأصل الذي يبنى عليه جميع العبادات، فصلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، فإذا صلح القلب بالتقوى صلح الجسد بالإذعان والطاعة.

ولن يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، لذلك علق العليم الخبير النجاة يوم القيامة على سلامة القلب فقال ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ (٣).

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) سورة الشعراء آية ٨٨ - ٨٩.

**لماذا القلب؟!** لأن من أبرز سماته التقلب والتعرف، روى الإمام أحمد في حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **لِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَشَدُّ إِنْقِلابًا مَنْ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلَيَانًا** " [١] ، ثم قال المقداد إن السعيد من جنب الفتن يرددها ثلاثًا وهو يشير إلى أن سبب التقلب ورود الفتن على القلب. لذلك كان أكثر دعاء النبي ﷺ : " **اللّٰهُمَّ يَا قَلْبُ الْقُلُوْبُ ثَبِتَ قَلْبِيْ عَلَىَ دِيْنِكَ، اللّٰهُمَّ إِنِّىَ أَسْأَلُكَ قَلْبا سَلِيْما** " كل هذا لأن ذلك القلب عظيم، وزيغه خطير، فإن أهونه ميل عن الله ومنتهاه ختم وطبع وموت.. نسأل الله العفو والعافيه.

* ألا يستحق هذا القلب وقفه نظر وتأمل منك؟!.

* ألا يستحق هذا القلب وقفه تفتيش وتحقيق؟!.

* ألا يستحق هذا القلب وقفه تعلم فيها ما حواه وما وقر فيه؟!، قبل يوم تبلى فيه السرائر، ويبدد فيه مكنون الضمائر، أقر قول الله: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [٢].

فلنجتهد في حفظ قلوبنا وإصلاحها، ولننظر فيها دون كلٍّ ولا ملل، فإن قلبك أعظم أعضائك خطرًا، وأكثرها أثرًا، وأشقها إصلاحًا. واعلم أن مثال القلب مثل الحصن، والشيطان عدو يريد أن يقتحم الحصن، ثم يدمره، فكان حري بالمسلم حماية قلبه من ذلك العدو اللدود، ولايتم ذلك الا بمعرفة مداخله، ومداخل الشيطان على قلب العبد كثيرة أهمها وأعظمها الغضب، فكلما غضب الإنسان لعب الشيطان به، . والحسد والحرص فكلما كان العبد حريصا أعماه حرصه وأصمه، ونور البصيرة هو الذي يعرَف مداخل الشيطان، فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر، فيجد الشيطان فرصة، قال ﷺ : " **مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِيْ غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ**

---

(١) رواه أحمد و الحاكم في السلسله الصحيحة .
(٢) سورة العاديات أية ٩-١١ .

لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ، لِدِيْنِهِ" [(١)]، ومن مداخل الشيطان الشبع من الطعام، وإن كان حلالاً صافيا، فالشبع يقوي الشهوات، والشهوات أسلحة الشيطان ، ومن مداخل الشيطان العجله، وعدم تبين الأمور، ومن المداخل البخل وخوف الفقر، فإن ذلك مانع للإنفاق والتصدق، وداعى لإكتناز الأموال، ومايعقبه من العذاب الأليم، ومن مداخله التعصب للمذاهب والأهواء، فذلك مما يهلك العباد التقي منهم والفاجر، ومن المداخل سوء الظن بالمسلمين، فالمؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، وعلاج ذلك كله تطهير القلب من هذه الصفات المذمومة، وعندها سيكون للشيطان في القلب إجتيازات وخطرات، ولم يكن له إستقرار ...وللقلب أمراض ، واعلم أن إصلاح القلب وإستقامتها لا يحصل إلا بتخليته من تلك الأمراض وحفظه من الآفات التي تفسده.

**تلك الأمراض والآفات خمسة، هي مصدر كل بلاء، من سلم منها فقد سلم :**

١- الشرك.

٢- البدعة ومخالفة السُنَّة

٣ – الشهوات ومواقعة السيئات.

٤ – الشبهات.

٥- الغفلة.

## الآفة الأولى : الشرك بالله تعالى :

آفة دقيقة وجليلة، صغيرة وكبيرة، فإن الشرك ظلم عظيم، وهو أصل كل فساد وشر، يظلم به القلب، ويموت ويهلك. قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٢)] ، فالمؤمنون الذين صدقوا

(١)رواه الترمذي ٢٣٦٧ وحسنه الألباني

(٢)سورة الأنعام آية ٨٢ .

في إيمانهم فلم يخلطوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن التام والإهتداء التام من رب العالمين.

وقال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ (١).

فالقلب لا سلامة له، ولا إصلاح إلا بتوحيد الله وحده لا شريك له، فبقدر ما مع الإنسان من صدق التوحيد، وسلامة الإعتقاد، بقدر ما يحصل له من سلامة الصدر، وصلاح القلب. فالقلب إنما خلق لمعرفة فاطره، ومحبته وتوحيده، وأن يكون أحب إليه مما سواه، فصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له، من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وفساده في ضد ذلك.

## الآفة الثانية: البدعة ومخالفة السُنَّة:

إعلم أن البدعة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعدًا، وهي تفسد القلوب، وتعطلها عما ينفعها ويزكيها، فخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.. فإذا إمتلاء القلب بالبدع، أظلم وفسد تصوره، فأنى تحصل له السلامه ؟!

**قال الفضل بن عياض -رحمه الله-:** " من جلس مع صاحب بدعة، أورثه الله العمى" يعني في قلبه نعوذ بالله من ذلك. وقد جعل النَّبي ﷺ من أسباب طهارة القلب من الغل والهوى، لزوم جماعة المسلمين، وذلك بعدم الخروج عنهم ببدعة أو ضلالة.

## الآفة الثالثة: إتباع الشهوات ومواقعة السيئات:

الشهوات والسيئات من أعظم أسباب فساد القلب وهلاكه، قال تعالى مبينًا أثر محبة الشهوات وإتباعها: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

---

(٢) سورة آل عمران آية ١٥١.

(٢)سورة الجاثية آية ٢٣ .

انظر كيف أن إتباع الشهوات يسبب الختم على القلب، ثم أنظر وتأمل وتدبر كيف سرى أثر هذا الختم والغطاء على القلب إلى سائر أعضاء الجسد ؟! وجعل على بصره غشاوة! فمن يهديه من بعد الله ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ! فاحذر يا من ترجو سلامة قلبك.. احذر مرض القلب بالشهوة واعلم أن الشهوات هي كل ما تميل إليه النفس من غير تعقل، ولا تبصر، ولا مراعاة لدين، ولا مراعاة لمرؤة، ذلك المرض يورد المهالك والمعاطب.. قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

فالذنوب تعمى القلوب، ولذلك فمن أنفع أدوية القلب الصبر عن معصية الله، فالحذر الحذر من معصيه الله، فإنها سيئة العواقب.

رأيت الذنوب تميت القلوب ∴ وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ∴ وخير لنفسك عصيانها

روى الإمام مسلم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوْب كَالْحِصْن عُوْدا عُوْدا، فَأَيُّ قَلْب أُشْرِبَهَا نُكتَتْ فِيْه نُكْتَهُ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْب أَنْكرَهَا نُكتَ فِيْه نُكْتَهُ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيْرَ عَلَى قَلْبَيْن، عَلَى أَبْيَض مِثْل الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ، مَا دَامَت السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادا كَالْوَزّ مُجَخِّيا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوْفا، وَلَا يُنْكرُ مُنْكَرا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**"[2].

فالمعاصي تحيط بالقلب من كل جانب فإذا إتبع الإنسان هواه، وارتكب المعاصي، دخل قلبه بكل معصية ظلمة، فإذا أصر ولم يقف توالت عليه الظلمات وزادت فتزداد بذلك حيرته، وتزيد شقوته، ويقع في الهلكات وهو لا يشعر، وتقوى ظلمة القلب حتى تعلو وجه صاحبها، وتصير سوادًا يراه كل أحد.

---

(١) سورة المطففين آية ١٤.

(٢) رواه مسلم.

*قال ابن عباس رضي الله عنهما " إِنْ لِلْحَسَنَةِ نُوْرا فِى الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِى الْوَجْه، وَقُوَّةً فِى الْبَدَن، وَسَعَةً فِى الرِّزْق، وَمَحَبَّةً فِى قُلُوْب الْخَلْق ، وَإِنْ لِلسَّيِّئَة لَظُلْمَةً فِى الْقَلْب، وَسَوَادا فِى الْوَجْهِ، وَوَهْنا فِى الْبَدَنِ، وَبُغْضا فِى قُلُوْب الْخَلْق "[1] .

وهذه الأمور. هذا البياض وذاك السواد - اللذان ذكرهما الرسول ﷺ في الحديث قد يدركهما ذو البصائر في الدنيا، إلا أنها تظهر في وجوه أصحابها ظهورًا تامًا بينًا لا لبس فيه، ولا غبش فيه يوم القيامة، يوم تبلى السرائر، ويظهر مكنون الضمائر، كما قال جل وعلا: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2].

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[3]. إن الذنوب كلها، دقيقيها وجليلها تفسد القلوب. وتعكر صفوها لذلك أمر الله تعالى بتركها قال : ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ ﴾[4].

فواجب كل مؤمن أن يترك الذنوب الظاهرة والباطنة ، من ذلك: الرياء والعجب والحسد وإطلاق البصر في المحرمات، ذلك الذي يفسد القلب، ويطفيء نورها، لذلك أمر الله بحفظ البصر فقال ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[5].

---

(١) مرفوعًا عن ابن عباس دون سند .
(٢)سورة الزمر آية ٦٠-٦١ .
(٣)سورة آل عمران ١٠٦:١٠٨ .
(٤)سورة الأنعام آية ١٢٠ .
(٥)سورة النور آية ١٣٠ .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (١) ، فمن حفظ بصره أن يقع على محرم، عوضه الله بصيرة نافذة، وقلبًا سليمًا قويًا. وسماع الأغاني والمعازف، فإنه يفسد القلب، يقول ابن مسعود " إن الغناء ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل " فالغناء والمعازف يثقل على القلب التفكر في آيات الله تعالى، ويثقل على الأذن سماع القرآن، ويثقل على البدن الطاعة والإحسان. قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾(٢)، فسر العلماء لهو الحديث بالغناء. فالحذر الحذر من سماع المعازف والألحان، وإياك والإغترار بحال أكثر الناس، فإنه يصدق عليهم قول الله تعالى ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٣) ، وعليك بالدعاء " اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد " فإن الخطايا صغيرها وكبيرها توجب للقلب قذرًا وكدرًا يحتاج معها إلى التطهير..

### الآفة الرابعة: الشبهات:

التي تعمى عن الحق، وتضل الخلق، فهي داء خطير، يذهب لذة الإيمان، ويزكي وساوس الشيطان، وتمنع صاحبها الإنتفاع بالقرآن والسُنَّة. قال جلا وعلا ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ (٤) .

فهم لا ينتفعون من كتاب الله، ولا ينتفعون من سُنَّة رسول الله، لأن نظرهم في الكتاب والسُنَّة لا لطلب الهدى، بل التشكيك والتضليل والتشبيه ، فيجب الحذر من الشبهة وأهللها، فإنها تتوارد على القلب حتى توردة المهالك، فمآلها إما

---

(١)سورة الأحزاب آية ٥٣ .

(٢)سورة لقمان آية ٦ .

(٣) سورة الأنعام آية ١١٦ .

(٤)سورة آل عمران آية ٧ .

إلى كفر أو إلى نفاق، ولا تزال الشبهات تغزو بالقلب حتى يشحط بينهن قتيلا. فإحذر السمع للشبهه وأهلها، ولا تجلس إليهم بل معاملتهم بما أمر الله ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ (١).

فأهل الشبهات أعظم الخائضين في آيات الله بالباطل، فإياك أن تجلس مع من يفسد عليك قلبك، ولا تجلس مع صاحب هوى، فإني أخاف عليك مقت الله، ولا عجب فإن أهل الشبهة يشككون المؤمن في دينه، وفيما أخبر الله به ورسوله، يردون المحكم إلى المتشابه، وهذا ضلال، فسروا المتشابه بهواهم والمحكم لم يقدروا عليه. مثل ما أحتج النصارى بـأن القرآن نطق بأن عيس روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم ورح منه، وتركوا قول الله ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (٢). وقوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ (٣).

وغير ذلك من الآيات المحكمة بأنه عبد ومخلوق، وهم الخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية، وتلك الفرق الضالة، وغيرهم ممن يحاولن التشكيك في القرآن من المستشرقين.

## الآفة الخامسة: الغفلة:

هي سهو يعتري القلب، يعميه عن أخذ ما ينفعه وترك ما يضره، وهي أصل الكثير من الشرور، مع ذلك هي من أكثر الخصال إنتشارًا في الناس . نسأل الله العفو والعافية .

---

(١) سورة النساء آية ١٤٠ .
(٢) سورة الزخرف آية ٥٩
(٣)سورة آل عمران آية ٥٩

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[١] .

وهي داء حظر الله منه، ونهى عن صحبة أهلها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[٣] ، فالغفلة تذهل القلب عما يزكيه، وعما ينفعه، وعما يحيه وينميه وعما يصلحه.

ها هي الأمراض بين يديك، فالله الله في العزم على توقِّيها، والأخذ بالأسباب للسلامة منها. فإن صلاح القلب واستقامته، لا يأتي إلا بأسباب لابد من الأخذ بها، وأبواب لابد من طرقها ودخولها، فالنتائج مربوطة بمقدماتها. فمن رجا النجاة من هذه الآفات الكبرى شمَّر لها ، فإن السفينة لا تجري على اليابس، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[٤]. فاحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك.

روى البخاري في صحيحة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **" قَالَ اللَّهُ إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَىَّ شِبْرا تقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلا "**[٥]، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٦]، فالعزم العزم، والبدار البدار في طلب النجاة من هذه الآفات، قال ﷺ : **"وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً"**[٧].

ووالله من أهمّه أمر دينه، وأنتبه من رقدة الغَفلة، ورجا أن يكون يوم القيامة من الناجين، حرص على معرفة سلامة القلب، وطرق علاجه بعد توقي أسباب هلاكه.

---

(١)سورة يونس آية ٩٢ .
(٢)سورة الأعراف آية ٢٠٥ .
(٣)سورة الكهف آية ٢٨ .
(٤)سورة الطلاق آيه ٤ .
(٥) رواه البخاري ومسلم .
(٦) سورة العنكبوت آيه ٦٩ .
(٧) رواه البخاري .



**ما هي طرق علاج أمراض القلب ؟ أو كيف يكون صلاح القلب ؟**

أولًا : القرآن. ثانيًا : التوبة.

**الدواء الأول : القرآن العظيم والكتاب الحكيم :**

إن الوسيلة الأولى لإصلاح النفس، وتزكية القلب، والوقاية من المشكلات وعلاجها هو العلم، ووسيلته الأولى القراءة والكتاب، لذلك نجد أن الله تعالى لما أراد هداية الخلق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، أنزل إليهم كتابًا يُقرأ، وفي أول سورة نزلت فيه بدأت بكلمة عظيمة، هي مفتاح الإصلاح لكل الناس، مهما أختلفت الأزمان، وتباينت البلدان، إنها (إقرأ)، وعليه فمن أراد النجاح وتزكية النفس، والإصلاح فلا طريق سوى الوحيين القرآن [ ٦٠٠ صفحة ] والسُنَّة [ ٦٠٠٠٠٠ حديث في البخاري ] قراءة وحفظًا وتعلمًا وتدبرًا...

ولو تأملنا في حال السلف بدأً من النَّبي ﷺ، وإنتهاءً بالمعاصرين من الصالحين، لوجدنا أن القاسم المشترك بينهم، هو القيام بالقرآن، وفي صلاة الليل خاصة... والعمل المتفق عليه عندهم الذي لا يرون التهاون به في أي حال، هو الحزب اليومي من القرآن.

عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : **" مَنْ نَامَ حِزْبَهُ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرأَهُ مِنَ اللَّيْلِ "**(٨).

إنه الحرص على عدم فواته، مهما حالت دونة الحوائل، لأنهم يعلمون يقينًا أن هذا هو غذاء القلب الذي لايحيا بدونه، فهم يحرصون على غذاء القلب قبل غذاء البدن، ويعلمون يقينًا أن هذا هو دواء أمراض القلب فهم يحرصون على دواءالقلب قبل دواء البدن، ويشعرون بالنقص متى حصل شيء من ذلك، بعكس المفرطين

---

(٨) رواه مسلم .

الذين لا يشعرون إلا بجوع أبدانهم وعطشها ومرضها وألمها، أما ألم القلوب[١]، وعطشها وجوعها فلا سبيل لهم للإحساس به، الشاهد أن: قراءة القرآن في صلاة الليل هي أقوى وسيلة لبقاء التوحيد والإيمان غضًا نديًا في القلب.

وأنها المنطلق لكل عمل صالح آخر من صيام وصدقة وجهاد وبر وصلة، والدليل لما أراد ربنا تبارك وتعالى تكليف نبيه محمد ﷺ، بواجب التبليغ والدعوة، وهو حمل ثقيل جدًا، وجهه إلى ما يعينه عليه، وهو القرآن بالقرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ ﴾[٢].

لقد كثر في زماننا هذا، الحديث عن النجاح والسعادة والتفوق والإصلاح، كثرت فيه (المولفات) وكل يدعي أن في كتابه أو برنامجه الدواء الشافي، والعلاج الكافي، وأنه الكتاب الذي لا تحتاج معه إلى غيره، والحق أن هذا الوصف لا يجوز به إلا كتاب واحد وهو القرآن العظيم.

إعلم أنه إذا تعلق العبد قلبه بكتاب ربه، فتيقن أن نجاحه و نجاته وسعادته وقوته وصلاح قلبه في قراءته وتدبره، وتكون هذه البداية في سلم الفلاح في الدنيا والآخرة، ولكن كيف أنتفع بالقرآن؟! .

إن سلفنا الصالح سلكوا مسلكهم في التعامل مع القرآن العظيم، والتي بسبب غفلة الكثيرين عن ذلك المسلك أصبحوا لا يتأثرون ولاينتفعون بما فيه من الآيات والعظات والأمثال والحكم. ففهم القرآن وتدبره، والقدرة على الإنتفاع به، مواهب من الكريم الوهاب، يعطيها لمن صدق في طلبها، وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد. أما المتكيء على أريكته، المنشغل بشهوات الدنيا، ويريد فهم القرآن،

(١) رواه مسلم ٧٤٧ .
(٢)سورة المزمل آية ١: ٧ .

وتدبره والإنتفاع به، هيهات هيهات، ولو تمنى على الله الأماني.

*عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبيه قال " أتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن، علمني كلمات جوامع نوافع، فقال له عبد الله :لاتشرك به شيئًا وزُل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فأقبل منه، وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه، وإن كان حبيبًا قريبًا" . فالقرآن أبلغ موعظة ، لمن؟! لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، كما يقول الله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] ، فإن من الناس من يكون حيِّ القلب، واعيه تام الفطرة، فإذا فكر بقلبه، وجال بفكره، دله قلبه وعقله على منافع القرآن، فهذا نور الوحي على نور الفطرة إجتمعا، فتم الإنتفاع بالقرآن، يقول: ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ إشارة إلى شرط التأثير، ووجه سمعه لما يقال. يقول : ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ إشارة إلى إنتفاء ما يمنع التأثير (عدم وجود الغفلة) أي شاهد القلب حاضر غير غائب هنا يحصل الأثر والإنتفاع بالقرآن، إعلم رحمك الله أن الوسائل التي سلكها السلف للإنتفاع بالقرآن ليست مجموعة نظريات أو فرضيات، وإنما خواطر عمليه تحتاج إلى تدرج وتكرار وتنفيذ حتى تصل فيها إلى نتائج وثمرات.

* قال ثابت البناني ( كابدت القرآن عشرين سَنَة، ثم تنعمت فيه عشرين سَنَة) وهذا حق، فقف عند الباب حتى يفتح لك إن كنت تدرك عظمة ما تطلب. فإنه متى فتح لك ستدخل إلى عالم لا تستطيع الكلمات أن تصفه، ولا العبارات أن تصور حقيقته، أما أن إستعجلت وأنصرفت فستحرم نفسك من كنز عظيم، وفرصة قد لا تدركها فيما تبقى من العمر..ما هو محور المشكلة والبحث ؟! .

نحن نؤمن ونصدق بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

---

(١)سورة ق آية ٣٧ .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١] .

ونقرأ قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٣] .

* هذا هو القرآن ونحن نقرأه ، ولكن ما أخبر الله عنه من تأثير فإننا لا نجده ! فلماذا ؟!.

* القرآن هو القرآن، وقد وصل الينا والحمد لله محفوظًا تمامًا، مصونًا من الزيادة والنقص.

* أين الخلل وأين المشكلة ؟! في كل تأثير عندنا ثلاثة أركان: المؤثر والمتأثر والموصل.

المؤثر: هو القرآن وأثره ثابت لا شك فيه، بقى الإحتمالين في الموصل، والمتأثر. الموصل هو القراءة والتدبر، والمتأثر هو القلب قلب المتلقي والمتأثر.

فالبحث يحاول إستكشاف الخلل في الجهتين، ويقترح الحلول المبنية على تجارب الناجحين من تحصيل التأثير والأثر.

أيضًا الفتح والفهم في وقت، وإغلاقه في وقت أخر. أحيانًا تقرأ الآيه فتتأثر بها، وفي وقت أخر تعود إليها لا تحس ولا تنتفع ولا تشعر بنفس المعاني التي تدفقت قبل ذلك ما السبب؟!، وما السر؟! ،وما معنى التدبر ؟ ،وعلاماته ؟، وبيان الخطأ

(١) سورة الحشر آية ٢١ .
(٢) سورة الزمر آية ٢٣ .
(٣) سورة التوبة آية ١٢٤ .

في مفهومه؟، وما مفاتحه؟ .

التدبر هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم، ومراميه البعيدة، فمعنى تدبر القرآن العظيم أن تتفكر وتتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدارك معانيه، وحكمته والمراد منه، والتدبر يولد الأفكار لا مجرد تلاوته، بلا فهم ولا تدبر.

قال الله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٤]... فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع منه الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغايتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتريه أيام الله في الأمم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله، وفضله وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطة الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصل إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه سته أمور

(١) سورة ص آية ٢٩.
(٢) سورة محمد آية ٢٤ .
(٣) سورة المؤمنون آية ٦٨.
(٤) سورة الزخرف آية ٣.

ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها، فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبة عن الدنيا حتى كأنه ليس منها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما أختلفت فيه العالم، فتريه الحق حقًا، والباطل باطلًا، وتعطيه فرقانًا أو نورًا يفرق به بين الهدى والضلال، وتعطيه قوةً في قلبه، وحياةً واسعةً، وإنشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن، والناس في شأن أخر، هذه هي الحياة الطيبة...

## علامات التدبر:

ذكر ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم علامات،، وصفات تصف حقيقة تدبر القرآن منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[4].

وقوله تعالى ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة المائدة آية ٨٣ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢ .
(٣) سورة التوبة آية ١٢٤ .
(٤) سورة الإسراء ١٠٩ .
(٥)سورة مريم آية ٥٨ .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢).

**نحصل من الآيات السابقة سبع علامات للتدبر:**

* إجتماع القلب والفكر حين القراءة، ودليله التوقف تعجبًا وتعظيماً.
* البكاء من خشية الله.
* زيادة الخشوع.
* زيادة الإيمان ودليله التكرار العفوي للآيات.
* الفرح والإستبشار.
* القشعريرة خوفًا من الله ثم غلبَةَ الرجاء والسكينة.
* السجود تعظيماً لله عز وجل أثناء القراءة للقرآن العظيم.

فمن وجد واحدة من هذه الصفات أو أكثر فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكر.

أما من لم يحصل له أي من هذه العلامات، فهو محروم من تدبر القرآن، ولم يصل بعد إلى شيء من كنوزه وزخائره. واعلم أنه من أوتى من العلم ما لا يبكيه، لخليق الأ يكون أوتى علمًا، لأن الله نعت العلماء فقال: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٣).

(١) سورة الفرقآن آية ٧٣ .
(٢) سورة الزمر آية ٢٣ .
(٣) سورة الإسراء آية ١٠٧:١٠٩ .

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن، كما نعتهم الله تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، هكذا أخبرت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، فإعلم أن كل يوم يمر بنا، ولا يكون لنا نصيب ورزق من هذه العلامات، فقد فاتنا ربح عظيم، وهو يوم حري أن يُبكى على خسارته، فمن لم يبك خشوعًا وتأثرًا بآيات القرآن العظيم، سيبكي ندمًا على فوات الإنتفاع به...نسأل الله العفو والعافية وللأسف كثير من المسلمين ينصرفون عن تدبر القرآن، والتفكر فيه، اعتقاد منهم صعوبة فهمه، وقد قال الله ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

**يقول ابن القيم -رحمه الله-:** من قال أن له إي القرآن تأويلًا لا نفهمه ولا نعلمه، وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه، ففي قلبه منه حرج .. فالصحيح والحق أن القرآن معظمه واضح وبيِّن وظاهر لكل الناس.

**كما قال ابن عباس رضي الله عنه مترجم القرآن التفسير على أربعة أوجه :**

* وجه تعرفه العرب من كلامها.
* وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.
* وتفسير يعلمه العلماء.
* وتفسير لا يعلمه إلا الله.

ومعظم القرآن من القسمين الأولين، فعدد الأحكام في القرآن خمسمائة آية، وعدد آيات القرآن ٦٢٣٦ آية. إن فهم الوعد والوعيد الترغيب والترهيب والعلم بالله وباليوم الآخر، لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة النحوية والبلاغية والفقهية، فمعظم القرآن بين واضح ظاهر، يدرك معناه الصغير والكبير، والعالم والأمي، فحينما سمع الإعرابي قول الله ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ

(١)سورة القمر آية ١٧ .

مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] ، قال من ذا الذي أغضب الرب الجليل حتى أقسم؟! وحينما أخطأ إمام في قراءة ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] ، قرأها من تحتهم صوب له خطأه إمراة عجوز لا تقرأ ولا تكتب!

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسيره، والإكتفاء بقراءة ألفاظه، من مداخل الشيطان على العبد،ليصرفه عن الإهتداء به، وإذا سلمنا بهذة الحجة فإن العقل والمنطق والحكمة أنك إذا أشكل عليك معنى آية،أن تبادر وتسارع البحث عن معناها، والمراد بها، لا أن تغلق عقلك، وتقرأ دون تدبر، أو تترك القراءة فهما منك أن القرآن له مقرئين من الدعاة وغيرهم. والآن كيف تنتفع بالقرآن؟!.

**وكيف يكون القرآن دواء للقلب ؟!**

أولاً : حب القرآن

ثانيًا: تحديد هدفك منه.

ثالثًا: القيام به.

رابعًا: قراءته ليلاً .

خامسًا: تحزيبه إسبوعيًا.

سادسًا: حفظه.

سابعًا : تكرار الآيات في القراءة.

ثامنًا: ربط اللفظ بالمعني.

تاسعًا: ترتيله.

(١) سورة الذاريات آية ٢٤ .

(٢) سورة النحل آية ٢٦.

عاشرًا: الجهر به .

**أولا حب القرآن :**

نعلم أن القلب آله الفهم والعقل، وهناك نصوص قرآنية كثيرة، تزيد على مائة آية، تدلنا على أن القلب هو آله الفهم للقرآن، وإقرأ منها:

قول الله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ (١) .

وقوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

المقصود إن القلب آله الفهم للقرآن وتدبره، وهو بيد الله عز وجل يفتحه متى شاء، ويغلقه متى يشاء، والله يحول بين المرء وقلبه، وأنه يصرف عن آياته الذين يتكبرون، فالعبرة أن الفتح من الله بداية، وما يحصل من التدبر فهو نعمة عظيمة من الله تستوجب الشكر لا الفخر، فمتى أعطاك الله فهم القرآن، وفتح لك معانيه فاحمد الله واسأله المزيد، وانسب هذا الفتح له وحده.

**والسؤال ما علاقة حب القرآن بالتدبر ؟!** من المعلوم أن القلب إذا أحب شيئًا تعلق به، وأشتاق إليه وأنقطع عما سواه.والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، واجتمع على فهمه ووعيه، فيحصل بذلك التدبر، والفهم العميق، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعبًا، وإنقياده إليه يكون شاقًا لا يحصل إلا بمجاهدة.. وعليه فإن حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر.. والآن كيف لي أن أقيم قلبي هل هو من المحبين للقرآن أم لا ؟.

---

(١) سورة الكهف آية ٥٧ .

(٢) سورة الحج آية ٤٦ .

**ماهي علامات حب القرآن؟!**

* الفرح بلقائه.

* الجلوس معه دون ملل لأوقات طويلة.

* الشوق إليه متى بعدت عنه، وحال دون ذلك بعض الموانع، وتتمنى لقاءه ومحاولة إزالة العقبات التي تحول دونه.

* كثرة مشاورته.

* الثقة بتوجيهاته.

* الرجوع إليه فيما يشكل من أمور الحياة صغيرها وكبيرها.

* طاعته أمرًا ونهيًا.

متى وجدت هذه العلامات فإن الحب موجود، ومتى تخلفت فحب القرآن مفقود، ومتى تخلف شيئًا منها نقص حب القرآن بقدر ذلك التخلف.

فينبغي لك أن تسأل نفسك هل أنا أحب القرآن؟! .

أنه سؤال مهم وخطير، وإجابته أشد خطرًا، وإنها إجابة تحمل معان كبيرة. قبل أن تجيب أرجع إلى العلامات لتقيس بها إجابتك، وتعرف منها الصواب من الخطأ .. البعض لو سُئِلَ هل تحب القرآن؟!.

يجيب مسرعًا نعم أحب القرآن. وكيف لا أحبه ؟!.

لكن هل هو صادق في هذا الجواب ؟!.

كيف يحب القرآن، وهو لايطيق الجلوس معه دقائق، بينما تراه يجلس الساعات مع ما تهواه نفسه وتحبه من متع الحياة؟! ، فلا تسأل عبد عن نفسه إلا بالقرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله، ينبغي أن نعترف بالتقصير إذا لم يوجد فينا

العلامات السابقة، ثم نسعى في التغيير.

**كيف أحقق ذلك ؟! من خلال أمرين:**

**أولهما:** التوكل على الله والإستعانه به: أستعن بالله تعالى، وإسأله سبحانه أن يرزقك حب القرآن، ومن ذلك الدعاء العظيم عن بن منعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا صَاحِبُهُ هَمٌّ أَوْ حُزْن: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ بْنُ عَبْدِكَ، بْن أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ أَسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ إِسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورُ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحا ، قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللهِ يَنْبَغِيْ لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ؟! قَالَ أَجَلْ يَنْبَغِيْ لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ** " (١).

فيكرره كل يوم ثلاثًا وخمسًا وسبعًا، ويتحرى مواطن الإجابة، ويجتهد أن يكون سؤاله بصدق، وإلحاح، وحرص أن يجاب.

نجد بعض الناس لا يعرف الإلحاح في المسألة إلا في المطالب الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها باردًا باهتًا، هذا إن دعا وسأل! ومن الإستعانة بالله في حصول تدبر وحب القرآن ما شرع لقارئ القرآن من الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم،ومن البسملة في أوائل السور، ففيها طلب العون من الله تعالى.

**ثانيهما:** فعل الأسباب وخير الأسباب وأنفعها في هذا المقام العلم، ووسيلته القراءة عن عظمة القرآن، مما ورد في القرآن والسُنَّة وأحوال السلف، في تعظيمهم للقرآن، وحبهم له.

أقترح على كل راغب في تحصيل حب القرآن، أن يضع برنامجًا يتضمن نصوصًا

---

(١) صحيح ابن حبان .

من القرآن والسُنَّة وأقوال السلف، فيها بيان عظمة القرآن ومكانته، ويرتبها على مستويين متن وشرح. فالمتن يحفظ ويكرر، والشرح يقرأ ويفهم، ويتم ربط المعاني التي تضمنها الشرح بألفاظ المتن، وهذا أمر لايستهان به، لأن عدم حبنا للقرآن، ناتج عن الجهل بقيمته، مثل الطفل تعطيه ٥٠٠ جنيه، يرفضها ويطلب جنيهًا واحدًا، فكذلك من لا يعرف قيمة القرآن، يزهد فيه ويهجرة بما هو أدنى منه..فلو أُعلِنَ عن كتاب، من يختبر فيه، وينجح يمنح عشر مليارات، فكيف يكون حرص الناس، وتعلقهم بهذا الكتاب؟! وكيف يكون الطلب عليه ؟! والإشتغال به؟! إن القرآن كتابًا، من ينجح فيه يمنح ملكًا لا حدود له.

إن كثير من المسلمين تعظيمهم للقرآن تعظيم مجمل، فحد علمهم أنه كتاب منزل من عند الله، يتعبدون بتلاوته في الصلاة،ويقرأ على المريض للشفاء. أما العلم التفصيلي بعظمة القرآن، ومكانته وما يحققه من نجاح للإنسان في هذه الحياة الدنيا، فهو محل جهل الكثير. سأضرب مثلًا: عندما تسمع عن شخص عظيم، له أثر في التاريخ، وتكون لديك صورة إجمالية عنه، ويصبح له مكانة في نفسك، وعندما تقرأ كتاب من ٦٠٠٠ صفحة عن بطولاته وتضحياته، وقصص كرمه وبره للناس، وما حققه من إنجازات، وما قام به من مروءات، تعيش مع هذا الكتاب، لمدة شهر حرفًا حرفًا، فبكل تأكيد أن صورة هذا القائد أو المصلح ستزداد عمقًا. ويزداد حبك وتعظيمك له. وهذا التأثير أمر مشاهد لا ينكره أحد.. فلم لا نوظفه لزيادة حبنا، وتعظيمنا للقرآن العظيم، وتعلقنا به؟!.

فإذا فعلنا ذلك، فإن هذا الكتاب العظيم سيزيد حبنا وتعظيمنا لله عز وجل، وبهذا نصل إلى مرتبة ودرجة الأولياء. نعم، أولياء الله المتقين الذين لا خوف عليهم ولا يحزنون.. الذين لو أقسم الواحد منهم على الله لأبره، وحقق له أمنيته. فإقرأ باستمرار عن القرآن وعظمته، وأسرار الإعجاز فيه، وعن حال السلف مع القرآن،

وقصصهم في ذلك، وأخبارهم واقتف أثرهم....

**نعود إلى السؤال المهم كيف يكون القرآن دواءُ للقلب؟**

**ثانيًا : حدد أهداف قراءتك القرآن!.**

معظم الناس إذا سألته لماذا تقرأ القرآن؟ ، يجيب لأن تلاوته أفضل الأعمال، يجيب لأن الحرف بعشر حسنات والحسَنَة بعشر أمثالها، فيقصر نفسه على هدف ومقصد الثواب فحسب.

أما المقاصد والأهداف الأخرى فيغفل عنها. والمشتغل بحفظ القرآن تجده يقرأ القرآن ليثبت الحفظ، الهدف تثبيت الحروف وصور الكلمات. فتجده تمر به المعاني العظيمة المؤثرة فلا ينتبه لها ولا يشعر بها لأنه قصر همه وركز ذهنه على الحروف، وإنصرف عن المعاني الجليلة في القرآن، ولهذا السبب تجده حافظًا للقرآن العظيم كاملًا غير عامل، ولا متخلق به، وكثير ما هم إلا من رحم ربي.

إعلم أن جمع الذهن بين نيات ومقاصد متعددة في وقت واحد، عملية تحتاج إلى إنتباه وقصد وتركيز، وفي أي عمل تعمله، كلما تعددت النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجرًا، وأكبر تأثيرًا على العامل..

كيف ذلك؟! قراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد، ونيات كلها عظيمة، وكل واحدة منها كافية لأن تدفعك، لتسارع إلى قراءة القرآن، وتكثر الإشتغال به، وبصحبته مصاحبة عمر وحياة.

وأهداف قراءة القرآن مجموعة في قول (ثَمَّ شعَّ) هذا من باب عدم نسيانها ورسوخها في ذهنك.

(ث) ثواب – (مَّ) مناجاة ومسألة – (ش) شفاء – (عَّ) علم وعمل.

فمتى قرأت القرآن إستحضر هذه المقاصد الخمس معًا. ثواب، ومناجاة ومسألة،

وشفاء، وعلم، وعمل. كان إنتفاعك بالقرآن أعظيم، وأجره أكبر، والدليل قول النَّبي ﷺ " لِكُلِّ إمْرِئٍ مَانَوَىَ " [١] ، فمن قرأ القرآن بنية الثواب رزقه الله الثواب، ومن قرأ القرآن بنية مناجاة الله وسؤاله منحه الله الأنس به والإجابه، ومن قرأ القرآن بنية الشفاء عافاه الله في قلبه وفي بدنه، ومن قرأ القرآن بنيه العلم رزقه الله علما، ومن قرأ القرآن بنية العمل به رزقه الله حياة طيبة في الدنيا وأجرا كريما موفورا في الآخرة، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [٢].

**فاعلم أخي:** إذا قرأت كتاب الله، وسُنَّة نبيه، بنية صادقة، كما يحب ربنا ويرضى، أفهمك كما يجب، وجعل في قلبك نورًا.

**الهدف الأول: العلم** وهو أن تقرأ القرآن بهدف تدبره والعلم بما فيه وبما يقصده، وهذا مقصد مهم، والمقصود الأعظم من إنزال القرآن، والأمر بقراءته، بل ومن ترتيب الثواب على القراءة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٣].

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٤].

قال ابن مسعود رضي الله عنه "إذا أردتم العلم فأنثروا هذا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين".

وقال الحسن بن على رضي الله عنهما " إن من كان قبلكم، رأوا القرآن رسائل من ربهم،

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة النحل آية ٩٧ .
(٢) سورة ص آية ٢٩ .
(٤) سورة النساء آية ٨٢ .

فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار".

قال مسروق بن الأجدع -رحمه الله- وهو من كبار تابعي الكوفة، وأجمعهم لعلم الصحابة، "ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء، إلا وعلمه في القرآن، ولكن قصر علمنا عنه".

قال الحسن البصري -رحمه الله- "والله ماأنزل الله آية، إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت، وما أراد بها" وقال " قراء القرآن ثلاثة أصناف :

* صنف أتخذوه بضاعه يأكلون به.

* صنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدارو به الولاة، كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثَّرهم الله.

* صنف عمدوا إلى دواء القرآن، فوضعوه على داء قلوبهم، فركدوا به في محاربهم، واستشعروا الخوف، فارتدوا الحزن. فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ووالله لهؤلاء الصنف في حملة القرآن، أعز من الذهب الخالص...

**ما هو العلم الذي تريده من القرآن؟!**

وللعلم أقسام ثلاثة مالها ∴ من رابع والحق ذو تبيان

علم بأوصاف الإله وفعله ∴ وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهى الذي هو دينه ∴ وجزاءه يوم الميعاد الثاني

والكل في القرآن والسُنَّة التي ∴ جاءت عن المبعوث بالقرآن

أخي القارئ نريد العلم الذي يحقق لك النجاح في الحياة، السعادة في الحياة، الحياة الطيبة، والنفس المطمئنة، والرزق الحلال الواسع، الأمن في الدنيا والآخرة. العلم

الذي يولد الإرادة والعزيمة، العلم الذي يقضي على كل مظاهر الفشل، والإخفاق في جميع مجالات الحياة، إنه العلم بالله والعلم باليوم الآخر. لابد أن نتعرف على الله، العلم بالله تعالى أوله العلم المقتضي للإستغفار كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[1].

فالعلم الذي يورث الإستغفار ويدفع إليه هو العلم المؤدي للنجاح.. بعض الناس قصر العلم من القرآن على العلم بالحلال والحرام فيه، وهذا خطأ شائع، فيقصرون كل فضل وارد في العلم في القرآن والسُّنَّة على علم الفقة، أما المسائل الأخلاقية من علم الإعتقاد، أما أصول المتفق عليها، فيصرف النظر عنها، في حين أن العالم الحق الذي يعظم الله ويخشاه. وإن كان لا يعرف كتابة إسمه.

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه "كفى بخشية الله علماً، وكفى بالإغترار بالله جهلًا ".

**لكن كيف أحقق العلم المقصود من القرآن؟! :**

أن تقرأ القرآن قراءة الطالب لكتابه ليلة الإمتحان، قراءة مركزة واعية، قراءة من يستعد للإختبار فيه.

أن تقرأ القرآن قراءة الإداري للائحة النظام التي تنظم عمله، وتحدد الإجابة عن كل معاملة.

فالقرآن هو الذي يجب الرجوع إليه في كل موقف من مواقف حياتنا، فعليك حفظه وفهم نصوصه ليمكن الحصول على الإجابات الفورية السريعة والصحيحة في كل حالة تمر بك في الحياة، ، وأن تضع في ذهنك معاني، وأسئلة محددة ، تريد البحث عن جوابها في القرآن أثناء القراءة.

كل موقف وحدث وحالة تمر، إسأل نفسك أين ذكرت في القرآن؟ هل وردت في كتاب الله؟ وما موقف القرآن منها؟ نعم إن قراءة معاني القرآن أمر يختلف عن قراءة

---

(١) سورة محمد آية ١٩.

الألفاظ، إذا إستشعرنا عظمة القرآن، وتعايشنا معه، وجعلناه حوارنا في الدعوة، ومن آياته بالنص وعظنا، لكان أبلغ في النفع بالقرآن، ولا نرضى بدلًا منه عوضًا من القصص والمؤلفات. نعم رحمك الله فالإنشغال به يحمي القلوب، كما يحمي الماء الأرض، ومن المشاهد التي نراها من زكاة القلوب ورقتها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته، ترى هذه الحياة التي حصلت للقلوب في رمضان، وتبدأ بالتلاشي بالتدرج بعد رمضان، حين تنقطع عن القرآن الكريم ذاك ري القلوب.

فإذا أردت حياة قلبك، فعليك بسقية بربيع القلوب، وبكميات وبكيفيات مناسبه، لإحداث الحياة كما سنوضح فيما بعد.

**الهدف الثاني قراءة القرآن بقصد العمل به** يقول عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه "ياحملة القرآن أو ياحملة العلم يقصد العلم بالقرآن، إعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه .. أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى .. " اللهم سلم سلم. صدقت يا خليفة المسلمين، أمر الناس أن يعملوا بالقرآن، فأتخذوا تلاوته عملًا.

وكان بن مسعود رضي الله عنه يقول عن النبي ﷺ أنه كان يقرؤهم العشر فلا يجاوزنها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا.

نعم تصفح القرآن لتؤدب به نفسك، همك: متى أكون من المتقين؟! متى أكون من الخاشعين؟! متى أكون من الصابرين؟ ، متى أكون من الصادقين ؟! ، متى أزهد في الدنيا؟! ،متى أنهي نفسي عن الهوي؟!، لابد أن يكون للقرآن تأثيرًا في حياتك ، اقرأ القرآن ما نهاك ، فإذا لم ينهك فليست بقراءة .

سئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1] **مَا كَانَ خُلُقُ رَسُوْلُ اللهِ؟، فَقَالَتْ : "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ، وَيَرْضَى لِرِضَاهُ، كَانَ قُرْآنا يَمْشِيَ عَلَىَ الْأَرْضِ** [2] " - صلوات ربي وسلامه عليه- " .

جاء رجل بإبنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال " إن إبني هذا قد جمع القرآن، فقال: اللهم غفرًا إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع... " .

**كيف أعمل به ؟** أن تقرأ القرآن بنية العمل. بنيه البحث عن علم لتعمل به. قف عند آياته، أنظر ماذا تطلب منك ؟! هل أمرا نؤمر به؟! أو شيء ننتهي عنه؟! أو فضيله يدعوني للتحلي بها؟! أو خطر يحيق بي يحذرني منه؟! .

هذا القرآن يجب أن يكون قريبًا من كل مسلم، يربي نفسه ويهذبها، أما أن نبحث عن علاج لمشكلاتنا التربوية في كتب فلان أو علان أو مجلات وصحف وفضائيات، فإننا بهذ قد عطلنا هذا المقصد المهم من مقاصد القرآن ، واعلم أن كل تربية لاتبني مباشرة على القرآن، فهى تربية قاصرة، ولو أثمرت بعض الثمار مؤقتًا إستدراجًا وإبتلاءً .، إن تربية الشباب والناشئة لابد أن تبني مباشرًا من القرآن بأساليب ووسائل مناسبة.

**الهدف الثالث قراءة القرآن بقصد المناجاة والمسألة** عليك عند قراءة القرآن أن تستحضر هذا المقصد لكي تشعر بلذة القرآن، وتحقق منه النفع المرجو.

تعلم على ماذا كان يتحسر الصحابة في لحظات إحتضارهم ؟! على فوات تلك اللذة. حينما تستحضر أن الله يراك، ويسمع قراءتك، ويمدحك ويثني عليك، ويباهي بك ملائكته المقربين. إن احدانا لو ظن أن رئيسه أو والده أو أمير ينظر إلى قراءته ويمدحه لاجتهد في ذلك، فكيف والذي يستمع إليه ويثني عليه، ملك

---

(١)سورة القلم آية ٤.

(٢)رواه مسلم .

الملوك الذي له ما في السموات وما في الأرض. وما بينهما وما تحت الثري...

إقرأ واستشعر أن الله يخاطبك أنت ، فما آيات القرآن إلا رسائل الله لكل عبد منا، إذا مررت بأيه فيها تسبيح سبح، وإذا مررت بأيه فيها وعيد استعيذ، وإذا مررت بآيه فيها سؤال إسأل الله، فهذا معنى المناجاة، قراءة حية تعني فيها ماذا تقرأ؟ ولماذا تقرأ؟ ومن تخاطب بقراءتك. وماذا تحتاج منه؟ وما يجب له من التعظيم والتقديس؟ تذكر دائماً إذا مررت بصفة من صفات النجاح والسعادة والفلاح إسأل الله إياها، وإذا مررت بصفة من صفات الشقاء والفشل والنكد والضيق أن تستعيذ بالله من شرها.

ثم أن تربيه النفس على هذا المقصد، يقوي فيها مراقبة الله تعالى في حال النشاط وهي مقبلة فيكون حاجزًا لها عند الفتور والإدبار.

تذكر أنه يجتمع لك في المناجاة إذا حققتها خمس معان مجموعة في قول (حرس مع) (ح) إن الله يحبك حين تقرأ القرآن (ر) يراك (س) يسمعك (م) يمدحك (ع) يعطيك. إستحضر هذه المعاني، وأنت تقرأ ولا تدعها تفوتك...

**الهدف الرابع قراءة القرآن بقصد أو بهدف الثواب** ورد في ترتيب الثواب على قراءة القرآن نصوص كثيرة منها .

*قال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ **" مَنْ قَرَأَ حَرْفا مِنْ كِتَاب الله فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ أَلَمْ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيْمٌ حَرْفٌ "**[1].

وقال ﷺ عن ابن مسعود رضي الله عنه **" إقْرَؤُا الْقُرْآنَ فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُوْنَ عَلَيْه أَمَّا أَنَّى لَا أَقُوْلُ (الَمْ) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ عَشَرَ وَلَامٌ عَشَرَ وَمِيْمٌ عَشَرَ فَتِلْكَ ثَلَاثُوْنَ "**[2].

---

(١) رواه البخاري .

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع ١١٧٤ .

*عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ" (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت "قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ " (٢) .

وعن جابر رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال " الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَعَاجِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ نَجَا، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ "(٣)، وقال ﷺ : " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ " (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ " (٥).

*وقال ابن عباس رضي الله عنه " لو أن حمله القرآن أخذوه بحق وما ينبغي له، لأحبهم الله، ولكن طلبوا الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس ".

*وقال أبو هريرة رضي الله عنه " البيت الذي يتلى فيه كتاب الله، كثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، والبيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله، وقل خيره، وحضرته الشايطين، وخرجت منه الملائكة " والأحاديث كثيرة.

**الهدف الخامس : قراءة القرآن بقصد الإستشفاء به :** قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) صحيح البخاري .
(٢)رواه البخاري ومسلم .
(٣) اسناد حسن عن أنس بن مالك .
(٤) رواه مسلم
(٥)رواه مسلم .

﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٢].

القرآن شفاء القلوب من أمراض الشبهات، والشهوات والوساوس بأنواعها، وشفاء للأبدان من الأسقام، فمتى استحضرت هذا المقصد فإنه يحصل لك الشفاءان: الشفاء النفسي، والشفاء البدني، بإذن الله تعالى والدليل قول الرسول ﷺ " **خَيْرُ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ** "[٣]، ويحصل الشفاء بالقرآن بأمرين

الأول : القيام به في جوف الليل مع إستحضار نية الشفاء.

الثاني الرقية به ، فالريق الناتج عن تلاوة آيات القرآن له أثر عظيم في الصحة والعافية بعد النفث. فوراء كل تلاوة أنفث في كفيك وأمسح على جسدك بنية الشفاء، ولا يفوتك ذلك الأثر العظيم، والنفع الجسيم. . .

**ثالثا : القيام بالقرآن**

هذا المفتاح من أهم مفاتح التدبر والإنتفاع بالقرآن.

أقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[٤].

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[٥].

---

(١)سورة يونس آية ٥٧ .
(٢)سورة الإسراء ٨٢ .
(٣)رواه البخاري .
(٤) سورة الإسراء ٧٩ .
(٥) سورة المزمل ١:٥ .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١).

وقال رسول الله ﷺ " **لَا حَسَدَ إِلَا فِى اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ إِنَاءِ اللَّيْلِ، وَأَنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلا آتَاهُ اللهُ مَالا، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ وَإِنَاءِ النَّهَارِ** "(٢). النفع يشمل القيام به بالليل والنهار ... تأمل في قوله (ينفق) مع قوله (يقوم به) فيؤخذ منه أن من أتاه الله القرآن ولم يقم به أي لم يقرأه في صلاته فهو مثل من أتاه الله مالًا ولم ينفق. ويؤكد ذلك حديث رسول الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَأَقْرَأوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكا، يَفُوحُ رِيحُهُ فِى كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَرَقَدَ وَهُوَ فِى جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكَى عَلَى مِسْكٍ** " (٣) ، أي مثله كالذي اشترى مسكًا وتركه مغلقًا ولم يستخدمه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبِي ﷺ " إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره ، وإن لم يقم نسيه" (٤).

فهذا هو المقصود في تدبر القرآن والإنتفاع به، أنه تذكر آيات القرآن الكريم، وكونها حاضرة في القلب في كل حين، وخاصة في المواقف الصعبة في الحياة، ومواقف الشدة، المواقف التي يفتن فيها المرء ويمتحن، فمن كان يقوم به أناء الليل وأناء النهار فتجد أجابته حاضره وسريعة ، تجده وقَّافًا عند كتاب الله، وتجده آمنًا مطمئنًا في جميع المواقف متماسكًا، أما من كان مفرطًا في استخدام هذا المفتاح، فما أسرع ما يسقط ويهوي. والدليل قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ

(١) سورة الزمر ٩ .
(٢)رواه البخاري ومسلم .
(٣) حديث حسن ، ولفظ آخر ذكره ابن حبان .
(٤) رواه مسلم .

بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (١).

فالصبر ثمرة العلم، والعلم وسيلته القرأة بتدبر، وهو حاصل لمن قرأ القرآن في صلاة ولذلك قرن الله تعالى بينهما في أكثر المواضع، وكان النَّبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويطيل فيها القراءة، فإذا تربيت على هذا المفتاح، وخاصةً في الصغر، يسهل عليه الإنتفاع بهِ في الحياة، أما من لم يتربى عليه فإنه يضيق بالحياة في حال الشدة، وتضيع عليه الحياة حال الرخاء... فاجتماع القرآن مع الصلاة ممكن أن تشبهه باجتماع الأكسجين مع الهيدروجين حيث ينتج عنهما الماء الذي هو حياة الأبدان، فكذلك إجتماع القرآن مع الصلاة ينتج عنهما ماء حياة القلوب وصحتها وقوتها.

*وقال بن عمرو عن النَّبي ﷺ **"مَنْ قَامَ بعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِيْنَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِيْنَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ"** (٢).

من تبارك حتى الناس ١٠٠٢ آيه. ماذا لو قام الإنسان بها كل ليلة ؟! والمعنى أن من لم يقم بـ عشر آيات كتب من الغافلين، بالإضافة فإن العبد إذا دخل في الصلاة فإنه يزداد قربًا من الله تعالى وأن الله يقبل عليه بوجهه. فلو لم يكن في القراءة داخل الصلاة إلا الإنقطاع عن الشواغل والملهيات لكفى، فإن المصلى إذا دخل في الصلاة حرم عليه الكلام والإلتفات والحركة عن غير حاجة ، فهذا أعون على التدبر والتفكر، وأجمع للقلب، ومن حوله لا يقاطعه ولا يشغله ما دام في صلاته.

**رابعًا : أن تكون القراءة في الليل**

الليل وخاصة وقت السحر من أفضل الأوقات للتذكر، فالذاكرة تكون في أعلى مستوى بسبب الهدوء والصفاء، وبسبب بركة الوقت حيث النزول الإلهي، وفتح أبواب السماء، فأي أمر تريد تثبيته في الذاكرة بحيث تتذكره خلال النهار فقم

(١) سورة البقرة آية ١٥٣ .

(٢)رواه أبو داوود في سُننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

بمراجعته في هذا الوقت.

مما يدل على كون القراءة في ليل أحد مفاتيح التدبر قول الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [1].

وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ ﴾ [2].

وقال تعالى ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ ﴾ [3].

ويقول ابن حجر عن مدارسة جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في كل ليلة في رمضان "المقصود من التلاوة الحضور والفهم لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدينوية والدينية ".

قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : " أن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار.

*وقيل عن الشيخ الشنقيطي أنه قال: " لايثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه، ويتيسر فهمه، إلا في جوف الليل " وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات، واصون للرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء بالرسول ﷺ كان ليلًا.

أن القراءة للقلب مثل السقي للنبات. فالسقي لا يكون في حر الشمس فإن هذا يضعف أثره خاصة مع قلة الماء فإنه يتبخر. وكذلك قراءة القرآن إذا كانت قليلة وكانت في النهار وقت الضجيج، فإن ما يرد على القلب من المعاني تتبخر ولا يؤثر

---

(١)سورة الإسراء آية ٧٩ .
(٢)سورة المزمل٦ .
(٣)سورة آل عمران آية ١١٣ .

فيه. وهذا هو جواب السائل " إني أقرأ القرآن ولكن لا أتأثر به ؟، فإذا سألته وجد قراءته كلها نهارًا.

إعلم أن القراءة في ليل يحصل معها الصفاء والهدوء حيث لا أصوات تشغل الأذن، ولا صور تشغل العين، فيحصل التركيز التام، وهو يؤدي إلى قوة التدبر والتفكر، وقوة الحفظ، والرسوخ لألفاظ القرآن ومعانية، ويحصل من هنا النفع العظيم من القرآن.

**خامسًا : التكرار الإسبوعي للقرآن:**

إعلم أنه لابد من تحزيب القرآن والمحافظه عليه. القرآن انزل يعمل به، ووسيلة العمل به العلم به أولًا، وهو يحصل بقراءته وتدبره .. وكلما تقاربت أوقات القراءة وكلما كثر التكرار كان أقوى في رسوخ المعاني القرآنية العظيمة.

من أجل ذلك كان السلف يواظبون على قراءة القرآن، ويحرصون على كثرة تلاوته وتكرارها، ومن ظن أنهم يقرأونه من أجل الثواب فحسب فقد قصر فهمه في هذا الباب..

**دليل لزوم تحزيب القرآن والمحافظة عليه لمن أراد تدبر القرآن:**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " **مَنَ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ لَيْلٍ** " [١].

وعن القاسم -رحمه الله- قال " كنا نأتي عائشة رضي الله عنها بعد صلاة الفجر، فأتيناها ذات ليلة فإذا هي تصلي، فقالت نمت عن حزبي في هذه الليلة فلم أكن لأدعه ". فينبغي الحرص التام عليه وأن تقدم على كل عمل والأ يهدأ لك بال حتى تقوم به، وتؤديه في وقته، أو تقضيه أن فات أداؤه في وقته.. ذلك أن كنت تريد الإنتفاع بالقرآن العظيم. فمتى وجد هذا الحرص فهو مفتاح النجاح في الحياة.

---

(١) رواه مسلم ٧٤٧ .

أنه مفتاح لا تحتاج إلى إثبات بالتجربة فهو ثابت بالخبر عن الله تعالى وعن رسوله كما قال تعالى ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [1] . ومتى علم الله منك صدق الرغبة على هذا الغذاء، فإنه يفتح لك أبوابه، ويبارك لك فيه، ويمتد أثره ليشمل جميع جوانب حياتك.

**والسؤال كيف أحزب القرآن ومدة ختمه ؟ :**

اعلم أن قراءة القرآن مثل العلاج، لابد أن يحدد بزمن معين لا يزيد عليه، ولا ينقص حتى يحدث أثره. والمدة التي أقرها النَّبِي ﷺ لأمته لمن يرغب في الخير من سبعة إلى شهر، وينهى عن أقل من ثلاث، ونهى عن هجره أكثر من أربعين يومًا.

قال أوسى بن حذيفة سألت أصحاب الرسول كيف يحزبون القرآن؟ قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشر وثلاث عشر وحزب المفصل، فالختم في سبع ليالي فعله الأكثرين من السلف.، الأولى أن يكون تحزيب القرآن وتقسيمه على السور، بمعنى أن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة، وعليه يكون التقسيم موافق لنهايات السور، وهو عمل الصحابة والتابعين، أما الأحزاب والأجزاء والإربع المعروفة اليوم، فلم تأت إلا متأخرًا، علاوة على ما فيها من بتر للمعاني، وتقطيع للسور...كيف أطبق التحزيب ؟! .

القيام بالقرآن كله كاملًا في كل أسبوع يحتاج الوصول إليه تدرج وتدريب (أطبق قاعدة أدومه وإن قل) في البداية.، ممكن تكون البداية من سورة التكوير إلى الناس تقسمه سبع أقسام، وكل ليلة تقرأ قسم، وتكرر هذا كل أسبوع، أو البداية بالمفصل، وتحزبه سبعة أحزاب، لكل يوم من ايام الأسبوع حزب يكرر هذا كل أسبوع.

---

(١)سورة طه آية ١٢٣.

وعندما ترى الأثر والفائدة، فإن هذا سيدفعك للزيادة، ولتكن بالتدرج فيزداد المقدار، فيتم توزيع المقدار الجديد إلى سبعة أقسام، كل قسم يقرأ في ليلة، بحيث تختم المقدار كل أسبوع حتى يرسخ وحتى تثبيت الآيات في القلب بصورة قوية يسهل استدعاؤها في مواقف الحياة اليومية.

**سادسًا أن تكون القراءة حفظًا:**

مثل حافظ القرآن وغير الحافظ مثل أثنين في سفر، الأول زاده التمر، والثاني زاده الدقيق، فالأول يأكل متى شاء وهو على راحته، والثاني لابد له من نزول، وعجن وإيقاد نار وخبز وإنتظار نضج..

عن ابن عباس ﵄ قال قال رسول الله ﷺ **" إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ "** [(١)].

**قال ابن تيمية -رحمه الله-** " أنا جنتي وبستاني في صدري، أنَّى رحت فهي معي " وهو يريد بذلك القرآن والسُنَّة التي في صدره تثبته وتزيده يقينًا ..حفظ القرآن يصير لصاحبه كأن آي القرآن بين عينيه، لينتزع منها ما شاء حسب مواقف الحياة، والإ إن لم يكن محظوظًا فكيف لنا تطبيقه في الحياة،، واعلم أن للحفظ أثر عظيم على الفهم والتدبر، فأي مشكلة لها ثلاث صور:

الأول: معالجة شفهية من غير ترتيب للحلول.

الثانية: معالجة مكتوبة مرتبة .

الثالثة: حفظ ما تم التوصل إليه من حلول. والصورة الثالثة هي أقواها، فحفظ القرآن وتكرار قراءته، هو من النوع الثالث، فترديد الآية، والتفكر فيها وهي محفوظة، أفضل من تكرارها نظرًا لأن مفعول الطريقة الثالثة يستمر بينما

(١) رواه الترمذي .



الثانية يقف عند إغلاق المصحف.

**لماذا نحفظ القرآن؟!**

كما سبق أن أتضح أن الهدف الأول لحفظ القرآن هو القيام به أناء الليل وأناء النهار، والهدف من القيام به حفظ ما تضمنه من العلم بالله واليوم الآخر. ذلك العلم الذي يحقق السعادة والحياة الطيبة، ويحقق الثبات في الأزمات، والقوة للأمة في مواجه أعدائها، هذا هو الهدف الأهم لحفظ القرآن والذي، ينبغي أن تركز عليه أنت ويركز عليه القائمون بالتربيه.

حفظ الألفاظ وسيلة وليس غاية. وسيلة إلى حفظ المعاني، الإنتفاع بها في الحياة، أما الإقتصار على حفظ الألفاظ فهذا قصور في حق القرآن العظيم وهو إنحراف عن الطريق المستقيم في رعايته، والإنتفاع به في الحياة الدنيا والآخرة.

**كيف تحفظ القرآن العظيم (الحفظ التربوي)؟**

* التحزيب بالسور بدأ من سورة الناس إلى البقرة.

* الحفظ يقسم إلى حفظ جديد والقيام بالقرآن بالمراجعة.

* الوقت يقسم إلى نهار للجديد والليل للقيام مع تطبيق المفاتح العشرة.

* الجديد يقسم إلى حفظ بعد الفجر والعصر والتكرار صلاة النافلة أو الفريضة.

* تقليل مقدار الحفظ الجديد والتركيز أكثر على التكرار لما حفظ.

* ما تم حفظه يقسم سبع أقسام تقوم كل ليلة بقسم، وهذا هو القيام بالقرآن وهو ما يعرف بالمراجعة.

* كلما زاد المقدار المحفوظ يتم إعادة التقسيم الإسبوعي مع ملاحظة أن أيام الأسبوع الأولى يكون مقدارها أقل لأنه لم يرسخ بعد.

* الحفظ سورة سورة وحفظ السورة لأول مرة بالتقسيط ولا يكون التقسيم عشوائيًا ولا حسب الأوجه ولا حسب الإربع بل يكون حسب موضوعات السورة والموضوع الطويل يقسم إلى مقطعين أو أكثر ، يمكن جمع أكثر من موضوع في مقطع واحد إن كانت قصيرة فبعض الموضوعات تكون في آية واحدة.

* لا يصلح تجاوز السورة حتى تحفظها جملة مهما كانت طويلة وتكررها بعد حفظها جملة. عددًا من المرات وفي أكثر من يوم.

* من المفيد جدًا تسميع ما تقوم به الليلة على شخص آخر.

* إذا تبين ضعف حفظ بعض السور أثناء (القيام بالقرآن) ليلًا فيتم مراجعته وضبطه في نهار اليوم التالي له و لاتصلح أبدًا أن تبدأ بحفظ جديد والحالة هذه. وغالبًا ما يكون هذا في أيام الأسبوع الأولى التي تتضمن ما تم حفظه أخيرا.

* من يقرأ ما يحفظه (ولو كان سورة واحدة) كل أسبوع خير من أن يقرأ ١٠٠ سورة كل شهر.

* فالأول يقرأ السورة كل سبعة أيام، والثاني يقرأ السورة كل ثلاثين يوم، فأيها سيكون حفظه للمعاني أثبت، وأقوى وأقرب للذكر والعمل؟!.

لا عبرة لكثرة مقابل القوة، فقليل قويٌّ خير من كثير ضعيف، وهذا يذكرني بما جاء في سُنن أبي داوود من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **يُوْشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَتَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟! قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيْرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُوْرِ عَدُوِّكُمْ الْوَهَنِ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَارَسُوْلَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟! ، قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا**

وَكَرَاهَتُهُ المَوْتِ "[١] .

وعليه فليس الهدف حفظ ألفاظ كثيرة من القرآن بل الهدف تكرار المحفوظ من القرآن كل سبعة أيام في صلاة بنية التدبر ليتم الشفاء من الوهن، أيا كان هذا المحفوظ حتى لو سورة واحدة فهو خير ألف مرة من حفظ كثير لا يتصف بما ذكر فإن وجد حفظ كثير أو القرآن كاملًا بحسب ما ذكر فهو أولى وأقوى من القليل.. المهم القاعدة السابقة ومتى رأيت أن الوقت يضيق فعليك بتقليل المقدار مع بقاء التكرار .

**سابعًا : تكرار الآيات:**

الهدف من التكرار هو التوقف لإستحضار المعاني، وكلما كثر التكرار كلما زادت المعاني. والتكرار قد يحصل لا إراديًا تعظيمًا أو إعجابًا بما تقرأ ، فالتكرار نتيجة وثمرة للفهم والتدبر وهو وسيلة أيضًا إليه حينما لا يوجد.

* قال ابن مسعود رضي الله عنه : " لاتهزوه هز الشعر ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن همَّ أحدكم آخر السورة ".

قال أبو ذر رضي الله عنه :قام النَّبي ﷺ بآيه حتى أصبح يرددها ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[٢] .

قال عباد بن حمزة رضي الله عنها : دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣]. قال فوقفت عليها، فجعلت تستعيذ وتدعو، يقول فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو".

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه .
(٢) سورة المائدة ١١٨ .
(٣)سورة الطور آية ٢٧ .

* وكان سعيد بن جبير -رحمه الله- يردد هذه الآية ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(١) بضعًا وعشرين مرة في قيام ليله.

وكان محمد بن كعب القرظي -رحمه الله- يقول: لأن أقرأ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ و﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ ﴾ أرددها وأتفكر فيها، أحب إليَّ من أن أبيت أهذ القرآن.

وردد الحسن البصري -رحمه الله- ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾(٢). حتى أصبح. فقيل له في ذلك قال معتبرًا: ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة ومالا نعلمه من نعم الله أكثر.

قام تميم الداري رضي الله عنه بآيه حتى أصبح ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٣).

هذه عادة السلف، يردد الآية حتى يصبح، ويستشعروا أن ما يقرأون ليس كلام بشر، ويستحضروا عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبروا كلامه، فإن التدبرهو المقصود من القراءة وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها، رحم الله السلف قرءوا القرآن حركوا به القلوب، بداؤا به وهم لايتدبرونه فرددوه حتى انتهوا به وهم يبكون به .. قال عليه الصلاة والسلام: من لم يبكي فليتباكى .

**ثامنًا : ربط الألفاظ بالمعاني والأحداث:**

أي حفظ المعنى للفظ، وربط الآيه بالواقع، وتنزيل الآيه على المواقف والأحوال اليومية، بحيث يبقى القرآن حيًا في القلب، تؤخذ منه الإجابات والتفسيرات للحياة، وتؤخذ منه التوجيهات والأنظمة في كل صغيرة وكبيرة، وهذا الربط

(١)سورة القرة آية ٢٨١ .
(٢) سورة النحل آية ١٨ .
(٣)سورة الجاثية آية ٢١ .

يعرف بالإقران الشرطي عند علماء النفس، وهو ما يعرف في القرآن والسُنَّة بالذكر أو التذكر وهو يعني تداعي المعاني. كما قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (١).

والربط نوعان عفوي وقصدي: العفوي الهامات، وفتوحات يفتحها الله تعالى على من يشاء من عباده. وقصدي أن تقوم بالربط بين اللفظ والمعاني ثم التكرار حتى ترسخ وتثبت والربط يكون بتكرار اللفظ مع استحضار معنى جديد في كل مرة حتى تمر على كل من المعاني التي يمكن أن تتذكرها من النص أو اللفظ. كما كان الحسن البصري يردد﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ إن إدراك ووعي الناس لآيات القرآن تتفاوت تفاوت كبيرًا مع أن الآية هي الآية يقرؤها هذا ويقرؤها هذا وما بينهما في عمق التفكير والفهم للآية ما بين المشرقين.

**تاسعا : الترتيل:**

الترتيل يعني الترسل والتمهل، ومن ذلك مراعاة المقاطع والمبادئ، وتمام المعنى بحيث يكون القارئ متفكرًا فيما يقرأ ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾.

قال ابن كثير-رحمه الله-: فيها " أي إقراء على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبرة، وكذلك كان يقرأ صلوت الله وسلامه عليه، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: **" صَلَّيْتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَفْتَتَحُ الْبَقَرَةِ فَقَرَأَهَا ثُمَّ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلا. إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ "** (٢).

قال الحسن البصري -رحمه الله-: يا بن آدم كيف يرق قلبك وإنما همَّك آخر السورة؟!

(١)سورة الأعراف :٢٠١ .

(٢) رواه مسلم.

**عاشرًا : الجهر بالقراءة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ وَيَجْهَرُ بِهِ** " [١].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه : " **أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ لَيْلَةً، فَإِذَا بِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يُصَلِّي يُخَفِّضُ صَوْتَهُ، وَمَرَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعا صَوْتَهُ، قَالَ فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تُخَفِّضُ مِنْ صَوْتِكَ؟ قَالَ قَدْ اسْمَعْتُ مَنَ نَاجَيْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ، وَقَالَ لِعُمَرَ رضي الله عنه مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تُرْفَعُ صَوْتَكَ؟ فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللهِ أُوْقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ يا أَبَا بَكْرٍ أَرْفَعْ صَوْتِكَ شَيْئا، وَقَالَ لِعُمَرَ رضي الله عنه أَخْفَضَ صَوْتِكَ شَيْئا** " [٢] .

*وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن جهر النَّبي ﷺ بالقراءة بالليل فقال "كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل ".

*وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل ذكر له أنه سريع القراءة :" إن كنت فاعلًا فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويعيها قلبك" ..

**و ماهي فوائد الجهر؟!...** إن الجهر بما يدور في القلب عون على التركيز والإنتباه، البعض عند قراءته للقرآن يسر بقراءته طلبًا للسرعة، وقراءة أكبر قدر ممكن، وهذا خطأ ومن الواضح غياب قصد التدبر. أن الجهر درجات أدناها أن يسمع المرء أذنه، وتحريك أداوات النطق من لسان وشفتين، وأعلاها أن يسمع من قرب منه، فما دونه ليس بجهر، وما فوقه يعيق التدبر، ويرهق القارئ، ويؤذي السامع، ومن فوائد الجهر أيضًا إستماع الملائكة الموكلة بسماع الذكر لقراءة القارئ، وهروب وفرار الشيطان عن القارئ، وعن المكان الذي يقرأ فيه، وفي ذلك تطهير للبيت، وتعطير له وجعله بيئه صالحة للتربية والتعليم للنشأ..

(١) رواه البخاري .
(٢) صححه الألباني .

إن البعض منا يريد تدبر القرآن والتأثر به، وهو لم يهئ الأسباب والوسائل المساعدة على فهمه وفقهه ، حتى أدنى درجات التركيز والهدوء لا يُوجدها حين قراءته للقرآن لماذا ؟!.

لأنه قصر همته على نطق الألفاظ، وما يحصل من حسنات مقابل ذلك، إنك أن واظبت على قراءة القرآن كما تم بيانه ووصفه من حال السلف فإن هذا يؤدي إلى حياة قلبك وقوة ذاكرتك وصحة نفسك وعلو همتك وقوة إرادتك وهذه هي مرتكزات النجاح الحقيقية. ذلكم النجاح الشامل المتكامل الثابت في حال الشدة كما هو حاصل في حال الرخاء.ووالله عندما قرأت هذه المفاتح ودتت لو أن العالم كله، مسلمه وكافره، يقرئها ويعقلها، جزى الله صاحبها عنا خير الجزاء، الحمد لله الذي جعل من أمة الحبيب محمد ﷺ من يحيي سُنَّته، ويشحذ الهمم للسير إلى الله في زمن كثرت فيه العوائق والحواجز، حقا إن السير سير الأرواح لا الأبدان...إنَّ من يطبق هذه النصائح يسري بأم عينه نور القرآن ويصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين مدحهم الله بقوله : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ﴾ (١).

أقول إلى كل راغب في صلاح قلبه، إن طريق الإستشفاء بالقرآن لا يحصل بتلاوة، بل لابد من تدبره، والإعتبار بما فيه من الأخبار، والإنقياد لما فيه من أحكام...

والأن أنتهينا من الدواء الأول لصلاح القلب وهو (القرآن).

## الدواء الثاني : التوبة النصوح :

إعلم أن التوبة الصادقة المستوفية للشروط تجلو القلب، وتزيل عنه آثار المعاصي والسيئات، والإصرار على العاصي يسود القلب، فتجد قلب المصرِّ على المعصية في ظلمة ، وقسوة لاصفاء فيه، ولا لذة لعبادة، بل عذاب وشقوة، والتوبة سعي

(١) سورة مريم آية ٥٨

من مساعي القلب لابد له منها، ليصلح ويستقيم، فلذة التوبة وتجديدها، ودوام الإستغفار، مما يصلح القلب ويطهره، ويدفع لعمل صالح ، ويرقى بالبعد من منزلة إلى منزلة حتى يصير من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

في الصحيح يقول الرسول ﷺ " **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِيْ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرِ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ** " [١].

فاخبر أنه يزيل هذا الغين عن قلبه بالإستغفار، مع أنه ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بغيره ممن أثقلت كهولهم الذنوب، واستكثروا من الذنوب والمعاصي؟! أليسوا في حاجة إلى استغفار كثير يصلحوا به فساد قلوبهم ؟!، ولي وقفة مع قول: " **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِيْ** " ، حتى لا يشرد ذهننا بعيدًا ، اختلف فيها العلماء فمعنى الغين قيل قد يكون هذا الغين السكينة التي تغشى القلب ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [٢] ، أي الوقار ويكون الإستغفار إظهار للعبودية والإفتقار.

قيل: الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرًا .

قيل : كان عليه السلام في ترق من مقام إلى مقام فإذا ارتقى من المقام الذي كان فيه إلى مقام أعلى استغفر من المقام الذي كان فيه .

وقيل هو همَّه بسبب أمته وما اطَّلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم ، قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عن ذلك عدَّ ذلك ذنبًا فاستغفر . **والسؤال ما علاقة التوبة بصلاح القلب؟!.**

إن العبد إذا تاب من الذنوب استفرغ من قلبه تخليطاته، حيث خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإرادته للأعمال الصالحة،

---

(١)رواه مسلم ٤٨٧٠

(٢) التوبة آية ٢٦ .

واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه وإقرأ قول الله ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١)، فهذا مثل ضربه الله لمن كان ميت القلب بالجهل والكفر، والإصرار على المعاصي، فهداه الله بالتوبة من ذلك، وأحياه بالإيمان، وأتاه نورًا يستضيء ويمشي به في الناس.

فاعلم رحمك الله أن من أعظم نِعم الله عز وجل أن فتح باب التوبة، وجعله فجرًا تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة ، ودموع منسكبة ، وحياة خاضعة، فلا يأخذك الهوى وملهيات النفس، فإن الرسول ﷺ يقول " **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ، قَالُوا ؛ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟، قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى** " (٢).

فجدَّ في التوبة، وهِبَّ من الغفلة، فليس لك مستراح إلا تحت شجرة طوبي، ولا لك قرار إلا يوم المزيد، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله.. إصدق في السير وليهنك حديث رسول الله ﷺ " **لله أَشَدُّ فَرَحا بتَوْبَة عَبْده حيْنَ يَتُوبُ إلَيْه منْ أَحَدكُمْ كَانَ عَلَى رَاحلَته بأَرْض فَلَاة، فَانْفَلَتَتْ منْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَآيس منْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْجَعْ فى ظلِّهَا، وَقَدْ آيَسَ منْ رَاحلَته، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلكَ أَذْ هُوَ بهَا قَائمَةً عنْدَهُ، فَأَخَذَ بخطَامهَا، ثُمَّ قَالَ منْ شدَّة الْفَرَح اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ منْ شدَّة الْفَرَح** " (٣).

واعلم أن من أعظم الإغترار: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة.

وطلب دار المطيعين بعمل المسيئين. وإنتظار الجزاء بغير عمل.

والتمني على الله عز وجل مع الإفراط .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم .

من أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات.

فكثير من الخلق ألهتهم أماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل..

أيها السائر في طريق النجاة، جهاد النفس جهاد طويل، وطريق محفوف بالمكاره، مذاقه مر، وملمسة خشن، فعليك بالسير في ركاب التائبين حتى تحط رحالك في جنات عدن.

كلنا أصحاب ذنوب وخطايا، وليس منا من هو معصوم من الذلل والخطأ، ولكن خيرنا من يسارع إلى التوبة، ويبادر إلى العودة، تحثه الخطي، وتسرع به الدمعة، ويعينه أهل الخير رفقاء الدنيا والآخرة، فإن من واجب الإخوة في الله عدم ترك العاصي مستمر في معصيته، بل يحاط بإخوانه ويذكر وينبه. ولا يُهمل ويُترك فيضل ويشقي. أرأيت إن نزل به مرض أو شأن من أمور الدنيا كيف تقف معه وتعينه؟! فالآخرة أولى وأبقي...

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:** "الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبه، فأما ماحصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة، ولا تظن أن التوبة في ترك المنكرات والمعاصي فحسب، بل إحرص على التوبة من ترك النوافل والمداومة على الخير. فتب عن تفريطك في السنن الرواتب، وتب عن إضاعتك للتراويح والقيام، وتب عن بخلك وشحك، وتب إلى الله من إضاعة وقتك الثمين، وتب إلى الله من الغفلة عن صلاة الفجر مع المسلمين.."

إعلم أن الله تعالى أمر المؤمنين جميعًا بالتوبة فقال ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (٢). قسّم الله

(١) سورة النور آية ٣١.
(٢)سورة التحريم آية ٨.

تعالى العباد إلى تائب وظالم، وليس هناك قسم ثالث البته، قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(١)] ونحن في هذا الزمان زمن الفتن، بعد كثير من الناس عن دين الله، فعمت المعاصي، وأنتشر الفساد، حتى لم يبق أحد لم يلوث بشيء من الخبائث إلا من رحم الله، والسبب أنهم لا يرجون لله وقارًا، فيعصونه بأنواع الذنوب ليلًا ونهارًا، ومنهم طائفة ابتلوا بإستصغار الذنوب، فترى أحدهم يحتقر في نفسه بعض الصغائر، فيقول ماذا يضر لو فعلت كذا أو كذا؟! نظرة أو مصافحة أجنبية أو نظرة في مجلة أو مسلسل، انظر إلى هذا الواقع وواقع الصحابة.

كما في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال:" **إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُوْنَ أَعْمالا هِيَ أَدَقُّ فِيْ أَعْيُنِكُمْ مِنَ الْشَّعَرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ اللهِ مِنَ الْمُوبِقَاتِ أَيْ الْمُهْلِكَاتُ** " [(٢)]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ : هَكَذَ ، أَيْ بِيَدِهِ فَذَبَّهُ عَنْهُ** " [(٣)].

هل نقدر خطورة الأمر إذا قرأنا حديث رسول الله ﷺ " **إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوْا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُوْدٍ وَذَا بِعُوْدٍ، حَتَّى حَمَلُوْا مَا نَضِجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يَأْخُذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**"[(٤)].

هكذا حالنا ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، فانبعث الكثيرون من غفلتهم ورقادهم، واحسو بالتقصير في حق الله وندموا على التفريط والعصيان، فتوجهوا بفضل الله ومنه وكرمه إلى طريق النور، طريق التوبة لكن ...

---

(١)سورة الحجرات ١١ .

(٢)رواه البخاري .

(٣)رواه البخاري

(٤) صحيح الألباني في الجامع ٢٦٨٦ .

يعترض هذا الطريق عوائق يظنونها تحول بينهم وبين التوبة. منها ما هو في النفس، وما هو في الواقع المحيط، لأجل ذلك أنقل اليكم هذه الكلمات أسأل الله أن ينفعني وأياكم بها وحسبي منها دعوة صالحة أو نصيحة صادقة والله يتوب علينا جميعًا وسينتفع بهذه الكلمات من يؤمن بقوله الله عز وجل : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1]. قبل أن نتكلم في شروط التوبة وفضائلها وأخطائها ، والأمور التي تعين عليها ، والأمور التي تعين على الثبات عليها ، نفهم آيتين في سورة النساء :

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [2].

عمل السوء المقصود به جميع السيئات صغيرها وكبيرها، والجهالة: الإقدام على السوء وإن علم صاحبه أنه سوء. فإن كل من عصى الله فهو جاهل، وكل من أطاع الله فهو عالم، وذلك من وجهين:

**الأول :** إن من كان عالمًا بالله تعالى وعظمته وكبريائه وجلاله وجماله، فإنه يخافه ويهابه ويخشاه ويحبه، فلا يقع منه عصيان. فلو تفكرت في عظمة الله ما عصيته، فكفى بخشية الله علمًا وكفى بالإغترار به جهلًا.

**الثاني :** إن من آثر المعصية على الطاعة فإنما حمله على ذلك جهله وظنه أنها تنفعه عاجلًا باستعجال لذتها، وإن كان عنده إيمان فهو يرجو التخلص من سوء عاقبتها، والتوبة في آخر عمره، وهذا جهل محض لسببين فإنه تعجل الإثم والخزي، ويفوته

(١) سورة الحجر آية ٤٩ – ٥٠ .
(٢) سورة النساء آية ١٧ –١٨ .

عز التقوى، ولذة الطاعة، وقد يتمكن من التوبة بعد ذلك وقد يعالجه الموت بغتة. فمثله كالجائع الذي أكل طعامًا مسمومًا لدفع جوع حاضر، ورجا تخلص من ضرره بشرب الديرقان بعده، وهذا لا يفعله إلا جاهل.

أما " التوبة من قريب " يقول ابن عباس قبل المرض والموت، وهذه إشارة إلى أفضل أوقات التوبة، وهو أن تبادر التوبة في صحتك قبل نزول المرض بك حتى تتمكن حينئذ من العمل الصالح، لذلك قرن الله تعالى التوبة بالعمل الصالح في مواضع كثيرة في القرآن. والتوبة في الصحة ورجاء الحياة تشبه الصدقة في الصحة ورجاء البقاء، والتوبة في المرض عند حضور إمارات الموت تشبه الصدقة بالمال عند الموت. فكأن من لا يتوب إلا في مرضه قد استفرغ صحته وقوته في شهوات نفسه وهواه ولذة دنياه فإذا آيس من الدنيا ومن الحياة تاب، فأين توبة هذا من توبة من يتوب من قريب وهو صحيح قادر على عمل المعاصي فيتركها خوفًا من الله تعالى ورجاء ثوابه، ما حال هؤلاء؟! ﴿ فَأُولَـٰئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.[1] ثم سوى من تاب عند الموت ومن مات من غير توبه.

والمراد بالتوبة عند الموت أي عند اكتشاف الغطا ومعاينة المحتضر أمور الآخرة ومشاهدة الملائكة.

هنا الإيمان والتوبة والأعمال الصالحة لاتنفع، لأن هذه الأمور لا تنفع إلا بالغيب... لكن هنا صار الغيب شهادة. بالإضافة أن عند الموت تنقطع المعرفة، ويذهب العقل، ولم يتصور منه ندم ولا عزم، فالندم والعزم يصح مع حضور العقل، فما يزال العبد في مهل من التوبة ما لم يأت ملك الموت يقبض روحه، فإذا نزل ملك الموت فلا توبة حينئذ ...

لكن ما هي شروط التوبة ومكملاتها ؟!، يظن الكثير أن التوبة ألفاظ باللسان

(١) سورة النساء آية ١٧ .

وإستغفار فحسب مع الإستمرار على الذنب، بل رب استغفارة واحدة مع الإقلاع عن الذنب خير من ألف إستغفارة مع الإستمرار على الذنب، واقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾[(١)] فالتوبة أمر زائد على الإستغفار، ولأن الأمر عظيم لابد له من شروط.

**فاعلم أن للتوبة شروط مأخوذة من الكتاب والسُنّة :**

**الشرط الأول : الإقلاع عن الذنب فورًا ...**

فعلى العبد أن يبادر إلى التوبة لأن تأخير التوبة في حد ذاته يحتاج إلى توبة، فيجب أن نصبح تائبين ونمسي تائبين. فالمؤمن لا ينبغي أن يصبح ولا يمسي إلا على التوبة، فإنه لا يدري متى يفاجئه الموت، فمن أصبح وأمسى وهو ليست على توبه فهو على خطر، لأنه يخشى أنه لقى الله غير تائب قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[(٢)] ، وهذا في سيد الإستغفار (**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَّاإِسْتَطَعَت، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوْءُ لَكَ بِذَنْبِىْ وَأَبُوْءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، فَإغْفِرْ لِى فَإِنَّهُ لَايَغْفِرُ الذُّنُوْبَ الإ أَنْتَ** ...) فمن الآن نتقي الله، ولا نسوف ولا نجمع على أنفسنا عند موتنا حسرتان، حسرة فوات التوبة، وحسرة سكرات الموت، نستغفر ونلحُّ على الله، ولا نركن أن توبتنا قبلت، ولا نأمن مكر الله... فتش عن ذنوبك وأقلع عنها قبل فوات الأوان!.

شرع رسول الله ﷺ من أذكار الصباح والمساء التوبة، إن لم نعمل به نحن من يعمل به؟! الغرب؟! الكافرون ؟!أم نحن أهل القرآن؟!.

**الشرط الثاني : العزم على عدم العودة ...**

ويعينك على ذلك ترك موضع المعصية ، ومفارقة من أعانك، يقول الله عز وجل

---

(١) سورة هود آية ٣ .
(٢)سورة الحجرات ١١ .

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]، فقرناء السوء سيلعن بعضهم بعض يوم القيامة، فعلى التائب مفارقتهم، والتحذير منهم إنْ عجز عن دعوتهم، وهناك حالات كثيرة رجع فيها أشخاص إلى المعصية بإعادة العلاقات مع قرناء الماضي، ويعينك على ذلك إختيار رفقاء صالحين، وإتلاف المحرمات الموجودة من آلات لهو وصور وأفلام محرمة وقصص وتماثيل يجب تكسيرها حتى لايزين الشيطان العودة إليها، ويكون سبب في الإنتكاس .. نسأل الله الثبات.

واعلم أن من مكملات التوبة عنصر مهم جدًا وهو الإخلاص. أي أن يكون ترك الذنب لله لا لشيء آخر، كعدم القدرة على معاودته، أو خوف كلام الناس مثلًا، أو لأنها تؤثر على جاهه، وسمعته بين الناس، أو ربما طرد من وظيفته أو ترك الذنب لحفظ صحته.

**الشرط الثالث : الندم على ما فات...**

أن نستغفر قبح الذنب وضرره فلا يصح مع التوبة الشعور باللذة والسرور حين تتذكر الذنوب الماضية. نعم كما قال ﷺ : " **إنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ ، فَقَالَ بِهِ : هَكَذَ** "[2].

ويقول ابن القيم ضع أضرار الذنوب أمام عينك، وهي كثيرة منها حرمان العلم، قلة التوفيق، تعسير الأمور، وهن البدن، حرمان الطاعة، ضيق الصدر، تولد السيئات، إعتياد الذنوب، هوان المذنب على الله، وهوانه على الناس، لعنة البهائم له، الطبع على القلب، الدخول تحت اللعنة، منع إجابة الدعاء، إنعدام الغيرة، ذهاب الحياء، زوال النعم، نزول النقم، الوقوع في أسر الشيطان، سوء الخاتمة، عذاب الآخرة.

(١)سورة الزخرف آية ٦٧ .
(٢)رواه البخاري

**الشرط الرابع: إرجاع الحقوق لمن ظلمهم أو طلب البراءة منهم...**

واستدراك مافات من حق الله كإخراج الزكاة التي تركها في الماضي يعد من مكملات التوبة.

**يقول ابن القيم -رحمه الله-** : لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف تطهيرهم، طهروا في نهر جهنم، إذا لم يشأ الله أن يغفر لهم يوم القيامة، نهر التوبة النصوح، نهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، نهر المصائب العظيمة المكفرة، فإذا أراد الله بعبده خيرًا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة، فورد يوم القيامة طاهرًا.. وأن مما يحثك على التوبة معرفة فضائلها. هل عملت فضائل التوبة وأسرارها؟! .

**اعلم أن للتوبة فضائل عظيمة وأسرار بديعة وفوائد متعددة فمن ذلك:**

التوبة سبب للفلاح والفوز بسعادة الدارين، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يتلذذ ولا يُسر ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابه إليه.

التوبة تكفر السيئات. فإذا تاب العبد توبه نصوحه، كفر الله بها جميع ذنوبه وخطاياه، أي يمسحها كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[1].

التوبة تبدل السيئات حسنات. إعلم أنه إذا حسنت التوبة، فإن الله يبدل السيئات حسنات، إقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[2]، وهذه من أعظم البشائر للتائبين إذا أقتربت توبتهم بإيمان وعمل صالح.

---

(١)سورة التحريم آية ٨ .
(٢)سورة الفرقان آية ٧٠ .

*يقول ابن عباس ما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء فرحه بهذه الآية لما نزلت، فمن أصر على العصيان بعد هذه البشري فقد أوجب لنفسه جهنم.

التوبة سبب للمتاع الحسن، وزيادة القوة والإمداد بالأموال والبنين، إقرأ قول الله تعالى ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾[1]، وقال تعالى على لسان هود عليه السلام ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[2]، فمن أراد الرزق من أراد الولد، من أراد الفلاح، من أراد تكفير الذنوب، فعليه بالتوبة والاستغفار، أقرأ قول الله على لسان نوح عليه السلام ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[3].

التوبة يحبها الله ويحب صاحبها لأن عبودية التوبة من أحب العبوديات إلى الله وأكرمها فللتائبين عند الله محبة خاصة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[4].

الله يفرح بتوبه التأبين. نعم الله جلَّ في علاه يفرح بتوبتك حين تتوب إليه... عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **"قَدِمَ عَلَى رَسُوْلِ الله ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا إِمْرَاءَةٌ مِنْ السَّبْيِ يَتَحَلَّبُ ثَدْيَهَا كُلَّمَا وَجَدَتْ صَبِيا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قَالُوْا: لَا وَالله وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَاتَطْرَحَهُ فَقَالَ: وَالله لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِوَلَدِهَا"**[5].

(١) سورة هود آية ٣.
(٢) سورة هود آية ٥٢ .
(٣)سورة نوح آية ١٠:١٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٢٢ .
(٥)اسناد حسن .

## أخطاء في التوبة :

هناك أخطاء في التوبة يقع فيها كثير من الناس ، وذلك نتيجة الجهل بمفهوم التوبة، أو نتيجة اللامبالاة. من هذه الأخطاء :

**تأجيل التوبة:** فمن الناس من يدرك خطأه، ويدرك حرمة ما يقع فيه، لكنه يؤجل التوبة ويسوف فيها، فمنهم من يؤخرها إلى بعد الزواج، ومنهم إلى بعد التخرج، ومنهم يؤجلها ريثما يتقدم به السن، إلى غير ذلك من دواعي التأجيل، وعلى العبد أن يتوب من الذنب. بل تأخير التوبة في حد ذاته ذنب يحتاج إلى توبة.

واعلم أن العبد ما دام يأمل الحياة لذاتها، فإنه لا يقطع أمله في الدنيا، وقد لا تسمح نفسه بالإقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصي، وغيرها ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره، فإذا يتقن الموت وآيس من الحياة أفاق من غفلته، فندم ندمًا يكاد يقتل نفسه على ما فرط، وطلب حينها الرجعة إلى الدنيا، ليتوب وليعمل صالحًا كما قال ربنا تبارك وتعالى في كتابه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1].

وقد حذر الله في كتابه فقال ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

ثم أن ترك المبادرة بالتوبة مدعاة لصعوبتها، وسبب لفعل ذنوب أخرى ، قال ﷺ " **إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِذَا تَابَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ**

---

(١)سورة المؤمنون آية ٩٩ - ١٠٠ .

(٢)سورة الزمر آية ٥٤ - ٥٧ .

قَلْبُهُ منها، وَإِذَا زَادَ زَادَتْ حَتَّى يُغَلِّفَ قَلْبه. فَذَاكَ الرَّانُ الَّذِىْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِى كِتَابِه ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[١].

**الغفلة عن التوبة مما لا يعلمه العبد من ذنوبه :**

فكثير من الناس لا تخطر في باله هذه التوبة، فتراه يتوب من الذنوب التي يعلم أنه قد وقع فيها، ولا يظن بعد ذلك أنه عليه ذنوب غيرها، وهذه من الأخطاء، فهناك ذنوب خفية وهناك ذنوب يجهل العبد أنها ذنوب ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة من ذنوبه التي يعلم، ومن ذنوبه التي لا يعلم، فإن مما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر من ذنوبه التي يعلم. ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكنًا من العلم.

قال رسول الله ﷺ : " **الشِّرْكُ فِيْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيْبِ النَّمْلِ** " **فَقَالَ أَبُوْ بَكْرٍ** رضي الله عنه **فَكَيْفَ الْخَلَاصِ يَا رَسُوْلَ الله ؟! قَالَ أَنْ تَقُوْلَ " اَللَّهُمَّ إِنِّيَ أَعُوْذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا اعْلَمُ وَاسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ "** [٢] فهذا دعاء يجب الحرص عليه، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقوله بعد التشهد وقبل التسليم.

وجاء عنه ﷺ أنه كان يدعو في صلاته "**اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَاأَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِه مِنِّيْ. إِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**"[٣]،وفي حديث آخر " **اَللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِىَ كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهِ** " فهذا التعميم وهذا الشمول توبة مما يعلمه العبد ومما لايعلمه من ذنوبه.

**ترك التوبة مخافه الرجوع في الذنب:**

فمن الناس من يرغب في التوبة، ولكنه لا يبادر إليها مخافة أن يعاود للذنب مرة أخرى ، وهذا خطأ، فعلى العبد أن يبادر بالتوبة إلى الله فلربما أدركه الأجل وهو لم

---

(١) سورة المطففين آية ١٤ .
(٢) البخاري في الأدب المفرد ٧٣٨ .
(٣)صحيح البخاري (٦٣٩٨)

ينقض التوبة. وعليه أن يحسن الظن بربه جل وعلا ويستحضر أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه. وأنه تعالى عند ظن عبده به قال النَّبي ﷺ قال الله عز وجل : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي " (١). وهذا خبر عن الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٢).

## ترك التوبة خوفًا من لمز الناس:

من الناس من تحدثه نفسه بالتوبة ولزوم الإستقامة، ولكنه يخشى لمز بعض الناس، ووصفهم له بالمشيخة والتشدد. فبعض الجهلة يقصر عن التوبة خوفًا من اللمز والعيب. وهذا خطأ فادح، فكيف يقدم خوف الناس على خوف رب الناس، ثم أن ما يرمى به إذا هو تاب إنما إبتلاء وإمتحان ليمتحن هل هو صادق أم كاذب في توبته فإذا صبر في البداية هان عليه ما يلقاه، وربما يقتدي به غيره مما كانوا يلمزونه، وهل الإنسان يذهب إلى ربه كيف ؟! يذهب وحيدا، ويحشر وحيدا، ويقف أمام ربه وحيدًا، لا ينفعه فلان ولا فلان مما يلمزونه.

## ترك التوبة خشية سقوط المنزله وذهاب الجاه والشهرة:

قد يكون الشخص ذو منصب وشهرة لا تطاوعه نفسه على إفساد ذلك بالتوبة، فذلك نقص في ديانة المسلم وشجاعته ومرؤته وعمله، ثم إن الشهرة والجاه عرض زائل، ومنتهى بنهاية الإنسان، ولن ينفعه إذ هو قدم على الله إلا ما قدم من عمل صالح.

ثم أنه إذا ترك الشيء لله يعوضه الله خيرًا منه في الدنيا والآخرة، والعوض من الله أنواع مختلفة، وأجّلَّ ما يعوض به أنه يأنس بالله، وأن يرزق محبته، وطمأنينه القلب بذكره تعالى .

---

(١)رواه البخاري ومسلم .
(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

**التمادي في الذنوب اعتمادا على سعة -رحمه الله-:**

فمن الناس من يسرف في المعاصي، فإذا ليم في ذلك قال إن الله غفور رحيم، لاشك أن هذا سفه وجهل وغرور. - فرحمة الله- قريب ممن؟! من المحسنين لا من المسيئين المفرطين المعاندين إن الله غفور رحيم لمن ؟! ، لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]، لُعِنَ إبليس وأهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أُمِرَ بها، أُخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، حُجِبَ القاتل عن الجنة بعد أن رآها عيانًا بملئ كف من دم، وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطًا بكلمة قذف أو بقطرة من سكر، وأبان عضو من أعضائك ثلاثة دراهم ، ( ودخلت إمرأه في هرة، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب ) .

فمن كان هذا صفته فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة، فالله مع عفوه ورحمته شديد العقاب كما قال عن نفسه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ∴ درك الجنان بها وفوز العابد

نسيت أن الله أخرج آدما ∴ منها إلى الدنيا بذنب واحد

ثم أين تعظيم الله في قلب هذا التمادي؟! وأين محبته والحياء منه عز وجل ؟! .

فحسن الظن ورجاء الرحمة إنما يكون مع الأخذ بأسباب النجاة، ولا يصح إلا مع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسَنَة، واستقبل بقية عمره بالطاعة، ثم حسن الظن بعدها، فهذا حسن الظن، والأول غرور وسفه وجهل.

---

(١) سورة طه آية ٨٢ .

(٢) سورة الحجر آية ٤٩، ٥٠ .



## الإغترار بإمهال الله للمسيئين:

فمن الناس من يسرف على نفسه بالمعاصي، فإذا حذر من عاقبتها قال ما بالنا نرى أقوامًا قد إمتلأت فجاج الأرض بمفاسدهم وظلمهم، وقتلهم للنفس بغير الحق، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأكلهم الربا وقد نهو عنه، ومع ذلك تراهم وقد درت عليهم الأرزاق، ويعيشون في رغد ونعيم؟! لا شك أن هذا القول لا يصدر إلا من جاهل بالله وسُنَّته عز وجل في كونه. نقول لهذا وأمثاله رويدك رويدك، فإن الله يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب، وهؤلاء المذكورون متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم.. فما هذا النعيم الذي هم فيه إلا استدراج وإمهال وإملاء من الله حتى إذا أخذهم. أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

قال الله عز وجل، أسمع قو الله تعالى فيهم ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (٢) هذه هي سُنَّة الله في كونه ، فكل ظالم معاقب في العاجل قبل الآجل، وكذلك كل مذنب ذنبًا وهو معنى قول الله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (٣) وربما رأى العاصي سلامة بدنه فظن أن لاعقوبة وغفلته مما عوقب به عقوبة.

## اليأس من رحمة الله :

من الناس من إذا أسرف على نفسه بالمعاصي، أو تاب مرة أو أكثر ثم عاد إلى الذنب آيس من التوبة، وظن أنه ممن كتب عليه الشقاوة، فاستمر في الذنوب، وترك التوبة إلى غير رجعة ، فهذا ذنب عظيم، وربما كان أعظم من الذنب الأول الذي

(١) سورة الأنعام آية ٤٤، ٤٥.
(٢) سورة يونس آية ٩٢ .
(٣) سورة النساء آية ١٢٣ .

أرتكبه لأنه ﴿ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

**ثم اسمع هذا الحديث وأبشر:**

قال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ **" أَنَّ رَجُلَا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّي إِنِّيَ أَذْنَبْتُ ذَنْبا فَاَغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدِىَ عَملَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِيَ، ثُمَّ عَملَ ذَنْبا آخَرَ فَقَالَ رَبِ إِنِّيَ عَملْتُ ذَنْبا فَأَغْفِرْهُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ عَبْدِىَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِيَ. ثُمَّ عَملَ ذَنْبا آخَرَ فَقَالَ رَبِّيّ إِنِّيَ عَملْتُ ذَنْبا فَأَغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ عَبْدِىَ أَنَّ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِيَ، ثُمَّ عَملَ ذَنْبا آخَرَ فَقَالَ رَبِي إِنِّيَ عَملْتُ ذَنْبًا فَاَغْفِرْهُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : عَلِمَ عَبْدِىَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذ بِهِ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّيَ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا يَشَاءُ "** [2].

فجدد التوبة وأكثر الإستغفار، ولا تيأس من روح الله، ولتجاهد نفسك في -رحمة الله-.

## الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي :

هناك من يحتج بالقدر على فعل معاصيه وعلى ترك الطاعات فإذا قيل له مثلًا: لماذا لا تصلي قال أراد الله ذلك. ومتى ستتوب قال إذا أراد الله ذلك. وهذا خطأ وضلال وإنحراف.

فالاحتجاج بالقدر على هذا النحو مخاصمة لله، واحتجاج من العبد على الرب، وحمل للذنب على الأقدار ، فلا عذر لأحد البتّه في معصية الله، ولو كان له عذرًا لما استحق العقوبة لا في الدنيا ولا في الآخرة. ونفس المحتج بالقدر لو اعتدى عليه، واحتج المعتدي بالقدر، لم يقبل منه ذلك، فتناقض القول دليل فساده وبالجملة

(١) سورة يوسف آية ٨٧ .
(٢) رواه البخاري .

فالإحتجاج بالقدر يصوغ عند المصائب.

## توبة الكاذبين:

الذين يهجرون الذنوب هجرًا مؤقتًا لمرض أو مناسبة أو رجاء جاه أو خوف سقوطه فإذا وافتهم الفرصة رجعوا إلى ذنوبهم فهذه ليست التوبة. ولايدخل في ذلك من تاب فحدثته نفسه بالمعصية أو أغواه الشيطان بفعلها ثم فعلها فندم وتاب فهذه توبة صادقة .

**إليك أمور تعين على التوبة الصادقة:**

**(١) الإخلاص:**

إعلم رحمك الله أن الإخلاص لله من أنفع الأدوية، فإذا أخلصت لربك، وأقبلت عليه، وصدقت في طلب التوبة، أعانك الله عليها، وأمدك بالطاف لا تخطر بالبال، وصرف عنك الآفات التي تعترض طريقك وتصدك عن التوبة، ذاك أن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص والمحبة له لم يكن شيء عنده أحلى ولا ألذ ولا أطيب من ذلك. ولهذا تجد الإنسان يغلب عليه هواه قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله، والإخلاص له فإذا ذاق طعم الإخلاص، قوي قلبه، وانقهر هواه بغير علاج. فهذه فائدة جليلة أنه إذا كنت مخلص لله إجتباك ربك، فأحيا قلبك، وأجتذبه إليه، فيصرف عنك ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء. ويخاف من ضدد ذلك، بخلاف القلب الذي يخلص لله، فإن فيه طلبًا وإرادة وحبًا مطلقًا، فيهوى كل ما يسنح له، فتارة تجتذبه الصور المحرمه وغير المحرمه، فيبقى أسيرًا لمن لو أتخذه هو عبدًا لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًا، وتاره تجتذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمة، ويستعبده من ثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق، وتاره يستعبده الدرهم والدينار. وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فتجد إلهه هواه، ويتبع بغير هدى من الله.

فإن كنت خالصًا لله عبدًا له، فقد صار قلبك معبدًا لربك، بحيث يكون الله أحب إليك مما سواه. وتكون ذليلًا خاضعًا لربك، وإلا إستعبدتك الكائنات، وأستولت على قلبك الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله..

**(٢) إمتلاء القلب من محبة الله:**

المحبة أعظم محركات القلوب، وهو الباعث الأول للأفعال والتروك.

واعلم أن قلبك إذا خلا من محبة الله، تناوشته الأخطار، وسلطت عليه سائر الرغبات والمحبوبات، فشتته ومزقته وذهبت به كل مذهب، أما إذا امتلأ قلبك من محبة الله، بسبب العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، كمل أنسه، وطاب نعيمه، وسلم من التعلق بسائر الشهوات، وهان عليه فعل سائر القربات..

فبالحب وحده تقع جماجم المحاربين على الأرض، كأنها الدنانير لأنهم أحبوا مبدأهم، وتسيل نفوسهم على شفرات السيوف لأنهم أحبوا رسالتهم. أحب الصحابة المنهج وصاحبه والرسالة وحاملها والوحي ومنزِّله. فتقطعوا على رؤوس الرماح طلبًا للرضا في بدر وأحد وحنين، وهجروا الطعام والشراب والشهوات في هواجر مكة والمدينة، وتجافوا عن المضاجع في ثلث الليل الغابر، وانفقوا النفائس طلبًا لمرضاه الرب جلا وعلا، بالحب صاح حرام بن ملحان مقتولًا: فزت ورب الكعبة[١]، بالحب نادى عمير بن الحمام إلى الجنة مستعجلًا: إنها حياة طويلة إذا بقيت حتى آكل هذه الثمرات[٢]، بالحب صرخ عبد الله بن عمرو الأنصاري: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضي[٣]، لما أحب الخليل عليه الصلاة والسلام صارت له النار بردًا وسلامًا، ولما أحب الكليم موسى عليه السلام ، انفلق له البحر، ولما أحب

(١) أخرجه البخاري ومسلم برقم (٦٧٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٠١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧١).

خاتمهم حن له الجذع[١]، وانشق له القمر[٢].

المحب عذابه عذب، واستشهاده شهد، لأنه محب، بالحب يثور النائم من لحافه الدافئ، لصلاة الفجر.

فبالحب يتقدم المبارز إلى الموت مستثقلاً الحياة، وبالحب تدمع العين، ويحزن القلب، ولا يقال إلا ما يرضى الرب. فأجدر بك أن أردت إلانابة إلى الله أن تملأ قلبك من محبته تعالى، ففى ذلك سروره ونعيمه ، لأنها من أقوى الأسباب في الصبر على فعل الطاعات وترك المحرمات، فإن المحب لمن يحب مُطيع وكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان فعلك للطاعات وتركك للمحرمات أيسر.

فالمحب الصادق عليه رقيب من محبوبه يرعي جوارحه، وعلامة صدق هذه المحبة شهود هذا المراقب ودوامه.

كان عبد الله ذو البجادين يتمًا في الصغر، فكفله عمه، فنازعته نفسه إلى متابعة الرسول ﷺ فهمَّ بالنهوض، فإذا به يحدث نفسه أنتظر عمى يُسلم ونذهب معًا لرسول الله ﷺ، فلما طال إنتظاره لإسلام عمه، نفذ صبره، وناداه ضمير الوجد، فقام إلى عمه قائلًا له يا عم طال إنتظاري لإسلامك، ولا أرى منك نشاطًا، فقال والله لئن أسلمت لانتزعن كل ما أعطيتك، فصاح لسان الشوق منه: نظرة من محمد ﷺ أحب إلى من الدنيا وما فيها، فلما تجرد السير إلى رسول الله ﷺ جرده عمه من ملابسه، فناولته أمه بجادًا (لباسًا) فقطعه نصفين، رداءً وإزارًا، وفي طريقه لرسول الله نادى صاح الجهاد، وما هي إلا ساعات حتى كان في الصف الأول للجهاد، ولقى مصرعه، ولما قضي، نزل الرسول يمهد له لحده، وجعل يقول اللهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه، فصاح ابن مسعود ياليتني كنت صاحب القبر"[٣].

(١) البخاري (٩١٨).
(٢) البخاري (٣٦٣٦) ومسلم (٢٨٠٠).
(٣) حلية الأولياء وطبقات الإصطفاء ص١٢٢ .

فالمحبة أنفع ما يعالج القلب، وهي أصل العبودية، وهي جنة القلب وقوته وحياته، وهي أعظم واجبات الدين، والله إن القلب لا يفلح ولا يصلح ولا يستقيم ولا ينعم ولا يطمئن إلا بمحبته تعالى .

روى البخاري حديث أنس رضي الله عنه **"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الرَّجُلَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ"** (١).

كل الحديث محوره أن محبة الله هم أعظم وجبات الدين، و أكثر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، واعلم أنك لا تزال منقطعًا عن الله حتى تتصل إرادتك ومحبتك بوجهه الأعلي، فتتعلق به وحده، وتتصل المعرفة لك باسمائه وصفاته وأفعاله، ويتصل ذكرك بذكره سبحانه، فتزول بين الذاكر والمذكور حجب الغفلة.

عندها سيتصل العمل بأوامره ونواهيه، فتفعل الطاعة لأنه تعالى أمرك بها وأحبها، وتترك النهي لأنه تعالى نهاك عنه وأبغضه.

ويتصل التوكل والحب به حيث تصير واثقًا به سبحانه، مطمئنًا إليه، راضيًا بحسن تدبيره لك، غير متهم له في حال من الأحوال.

ويتصل فقرك وفاقتك به سبحانه دون سواه، ويتصل خوفك ورجاءك وفرحك وسرورك به وحده، فلا تخاف غيره، ولا ترجو غيره، ولا تفرح إلا به، وإن نالك بالمخلوق بعض الفرح والسرور فليس الفرح التام والسرور الكامل.

فإن أتصلت لك هذه الأمور بالله سبحانه، فقد وصلت، وإلا فأنت مقطوع عن ربك، متصل بحظك ونفسك وملبَّس عليك في معرفته وإرادته وسلوكه .

ومعيار المحبة آية البينة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

(١) رواه البخاري ومسلم .

﴿ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾[1].

فبقدر ما معك من متابعه لمحمد ﷺ باطنًا وظاهرًا، بقدر ما يكون معك من محبة لله تعالى التي تصلح القلوب وتعين على التوبة الصادقة.

تعصي الإلــه وأنــت تـزعـم حبه .·. هــذا محــال في الـقـيــاس بديع

لــو كــان حبك صــادقًــا لأطعته .·. إنَّ المــحــب لمــن يحــب مطيع

نقطة لطيفة يجب التنبيه إليها، وهي أن تلك المحبة لابد وأن تقرن بإجلال الله وتعظيمه ، فذلك يوجب الحياء والطاعة، ذلك أن المحبة الخالية عنهما، لا تحمل على ترك المعاصي، وإن أوجبت نوع أنس واشتياق، فما عُمِّر القلب بشيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه.

**(٣) المجاهدة :**

فهي عظيمة النفع، كثيرة الجدوى، معينة على الإقتصار على الشر، دافعة إلى المبادرة إلى الخير، ذلك أن النفوس طلعة إلى الشرور، ومؤثرة للكسل والبطالة، فإذا قدت نفسك وجاهدتها في ذات الله، فأبشر بالخير والإعانة والهدايه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[2]، و"من صدَّق الله صدَّقه الله " .

وتأمل الحديث القدسي يقول الله تعالى : **" مَنْ عَادَ لِى وَليا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب، وَلَا يَزَالُ عَبْدِىَ يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىَ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِىْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِىْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدِهِ الَّتِىْ تَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِىْ يَمْشِىَ بِهَا "**[3]، أي أن الله يسدده في هذه الأعضاء، ويوفقه لإستعمالها في طاعته. السمع يسدده فيه،

(١)سورة آل عمران آية ٣١ .
(٢)سورة العنكبوت آية ٦٩ .
(٢) رواه البخاري

فلا يسمع إلا ما يرضي الله، وما فيه الخير والصلاح، ويعرض مما يغضب الله فلا يستمع إليه، ويكون ممن إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه. البصر يسدده فيه، فلا ينظر إلا إلى ما يجب الله النظر إليه، ولا ينظر إلى المحرم، ولا ينظر نظرًا محرمًا. ويده فلا يعمل بيده إلا ما يرضى الله، لأنه مسدده فيها، ورجله فلا يمشي إلا إلى ما يرضي الله، ولا يسعى إلا لما فيه الخير، فبالتقرب إلى الله بالنوافل، يسهل عليك الطاعات، وإجتناب المحرمات تسديدًا وتسيرًا.

فجاهد نفسك على النوافل حتى توجب لك محبه الله، فيسددك ويعينك، ولا تعني المجاهدة مرة ولا مرات ولكن المجاهدة حتى المهات...

**( ٤ ) قصر الأمل وتذكر الآخرة:**

دائمًا وأبدًا أيها الحبيب تذكر قصر الدنيا، وسرعة إنقضائها وزوالها، وأدركت أنها مزرعة للآخرة، وأنها فرصة لكسب الأعمال الصالحة، واستحضرت ما في الجنة من نعيم، وما في النار من النكال، والعذاب الأليم، كففت عن الإسترسال في المعصية والشهوات، وأنبعثت إلى التوبة النصوح، وتداركت حاجات من الأعمال الصالحات، فالتوبة ليست فقط عن فعل المحلامات، بل أيضًا عن ترك الطاعات.

*ولا تنسى قول ابن عمر رضي الله عنهما " **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ** "، فتيقن رحمك الله أنه ما تصفوا الأعمال ولا الأحوال إلا بتقصير الآمال، فإن كل من عد ساعته الذي هو فيها كمرض الموت حسنت أعماله، فصار كل عمره صافيًا، ووالله ما الوهن والضعف الذي تعيشه أمتنا الإسلامية الحبيبة اليوم إلا حب الدنيا، وكراهية الموت، واقرأ حديث ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ يقول: "**يُوْشِكُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَتَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ قُلْنَا أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئذٍ؟ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئذٍ كَثِيْرٌ، وَلَكِنْ تَكُوْنُوْنَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوْبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوْبِكُمُ الْوَهْنَ، قَالَ:**

قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ؟ ، قَالَ : حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ "[١] .

**(٥) الإشتغال بما ينفع وتجنب الفراغ:**

لأن الفراغ يأتي على رأس الأسباب المباشرة إلى الإنحراف، والشذوذ وإدمان المخدرات، ويقود إلى رفقة السوء، ويتسبب في تدهور الخلاق، فإذا اشتغلت بما ينفع في دينك ودنياك، قلّت بطالتك، ولم تجد فرصة للفساد ولا للإفساد. فالنفس إن لم تشغلها بالطاعات أشغلتك بالمعاصي،وخير ما تنشغل به معرفة الله -عز وجل- أسماءه ، وصفاته ، وأفعاله ، وحفظ كلامه وتدبره .

**(٦) البعد عن المثيرات وما يذكر بالمعصية:**

إبتعد عن كل ما يثر دواعي المعصية ويثر الشهوة، ويحرك الغريزة من مشاهدة الأفلام، وسماع الأغاني وقراءة الكتب السيئة، والمجلات الخليعة الساقطة.

واعلم أنه لا مشقة في ترك المألوف إرضاءً لله عز وجل إنما تجد المشقة في ترك المألوف من تركها لغير الله. فاترك ما ألفته من المعاصي صادقًا مخلصًا من قلبك لله فلن تجد في تركها مشقة إلا في أول وهله ليمتحن الله صدقك في تركها فإن صبرت على تلك المشقة قليلًا استحالت لذة ووالله من ترك شيء لله عوضه الله خير منه في الدنيا والآخرة والعوض أنواع مختلفة وأجلَّ ما يعوض به والعبد الأنس بالله ومحبته وطمانينة القلب ونشاطه وفرحة ورضاه عن ربه.

**(٧) مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار:**

إن الأخيار هم قوم لا يشقي جليسهم، مصاحبة الأخيار تحي قلبك وتعينك على الخير، وتبعثك على الإقتداء بأهل الصلاح، وتكفك عن الفساد، وهي سبب للمغفرة، قال : " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرٍ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ إِلَّا قِيلَ لَهُمْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ "[٢].

بعكس رفقة السوء، فإنها تحسن القبيح، وتقبح الحسن، وتقودك إلى الإقتداء

---

(١) حديث حسن عن ثوبان (٥/ ٣٦٥) وقد جاء بسند آخر عند احمد فيه ضعف.

(٢) رواه البخاري .

بأهل السوء، فالصاحب ساحب، والطبع إستراق، يحكي أخ قصته مع صديق له، يقول أحبه في الله، يقول قبل أعوام كنا صديقين لا نفترق ، تربينا معًا على عقيدة صادقة، صالحة فأحببته في الله، وأحبني فيه، رافقته من الدهر أيامًا ورافقني، كنا نجتمع على ذكر الله، وحفظ كتاب الله ، إلى أن جاءت تلك اللحظات التي جعلت من أيام الدهر خناجرًا تخترق القلوب، إنها ساعات الفراق الصعبة فرحلت عنه، وأنا أحمل له في قلبي صورة لن تنسى مهما مر عليها الدهر، مرت الأيام والساعات لأجد نفسي قضيت ثلاث سنوات في الغربة، وحان موعد العودة، فوقفت في المطار أتذكر لحظات من ذلك الماضي، وتذكرت ذلك الصديق الذي كان ينتظرني، ومن حبي له نزلت عليه شوقًا لرؤيته، ولكن شعرت بشيء غريب يتسلل إلى نفسي، ليست ملامح وجهه التي عرفتها، ليست محياه الذي كان يشع إيمانًا، فعلمت أن الدهر قد أختاره ليكون واحدًا من أشقياء هذه الدنيا، فشعرت بالحزن يشق أعماقي. حاولت أن أعيده إلى الطريق، أذكره بالماضي، صرخت فيه قائلًا أنسيت القرآن ؟! أنسيت البقرة وآل عمران؟! أنسيت النور والأنفال؟! أنسيت التوبة؟! أنسيت صيام الإثنين والخميس ؟! أنسيت ... أتسمعني؟! أين القيام ؟! أين السجدات والركعات ؟! تذكر كيف كنت مع ربك، ولكن هيهات ... لم يستجيب لي قد أغلق قلبه قبل سمعه، وعدت إلى البيت وفوق رأسي سحابة سوداء، واستلقيت على سريري، ولكن أين النوم ؟! أرى من يحدثني، ويحك أتنام وتترك خير أصدقائك في يد الأشرار من أصدقائه؟! فلم أجد إلا البكاء يملكني ... وبعد ثلاث أيام ذهبت أسأله. مالذي رسى عليه، فلم أجده، ولكن أخاه أخبرني أنه خرج في رحلة مع أصدقائه وصديقاته. حاولت مرات ومرات معه ولم أستطع الوصول إلى قلبه. فتركته ونسيت السنوات الماضية، يقول المهم بلغت من العمر ٢٦ عامًا وتزوجت بإمرأة أعانتني على الاستمرار في الطريق، وفي ذات يوم دق الهاتف أنت محمد ؟ نعم، أنا زوجة صديقك أحمد، وأنا في حاجة إليك، يقول أول الأمر تجاهلتها،

ولكنها ألحتّ فذهبت إليها، قالت صديقك أحمد، لم أراه في الشهر مرة أو مرتين، صار مدمن مخدرات، والآن لا أعرف أين هو، وإبنه مصاب بمرض خطير، يريد المستشفى فابحث عنه. يقول خرجت في كل مكان هائمًا أبحث عنه فلم أجده، وفي الأخير تذكرت أحد البارات التي اعتاد أولئك البؤساء أمثال أحمد أن يدخلوها، فوجدتهم يجتمعون حول شيء، فنظرت فإذا به أحمد ملقى صريعًا بينهم، فرميت نفس أُقبِّلَه وأطلب منه أن يسامحني، لأني أهملت نصحه، ووصيتي أكتبها بعبراتي أوصيكم بأصدقائكم خيرًا أن كنتم سواءً على خير.

فاعلم أنه ما بعد تقوى الله من كنز أغلى من الأخ الصالح، وإنك إن تنقل الأحجار مع الإبراء خير لك من أن تأكل الثمار مع الأشرار الفجار.

فيكفيك من محبة الأخيار مجالستهم، أنها تؤدي إلى محبة الله، وأعظم ثمار هذه المحبة الإستظلال في عرش الرحمن يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم يناديهم ربهم أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، ويكفيك أنك تصل إلى درجتهم وإن لم تعمل بعملهم، لأن المرء مع من أحب، كما قال أحدهم إني أحب أبا بكر وعمر ولم أبلغ عملهم، قال عليه الصلاة والسلام " **المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** " (١).

**(٨) النظر في العواقب:**

فذلك يوقفك على حقائق الأشياء، ويريك الأمور كما هي، وما أتى أكثر الناس إلا من قبل غفلتهم وجهلهم بالعواقب، ولو نظرت وتفحصت أثار اللذة العاجلة الفانية، وما تؤديه من حرمان اللذات الآجله الباقية لما استرسلت في المعاصي.

**(٩) استحضار فوائد ترك المعاصي:**

ففي الدنيا تجد المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصلاح المعاش، ومحبة

---

(١) حسن صحيح.

الخلق، وطيب النفس، وإنشراح الصدر، وقلة الهمَّ والغمّ والحزن، وعز النفس عن إحتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وتسهيل الطاعات، وزوال الوحشة بينك وبين ربك، وعدم الخوف من الموت، فأن مت تلقتك الملائكة بالبشرى من ربك بالجنة، وبإنه لا خوف عليك ولا حزن، وتنتقل من سجن الدنيا إلى روضة من رياض الجنة، تنعم فيها إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق وأنت في ظل عرش الرحمن، فإذا انصرفوا بين يدي الله، أخذ بك ذات اليمين مع أوليائه المتقين و ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[1]. نسأل الله من فضله.

**(١٠) إستحضار أضرار الذنوب والمعاصي:**

منها حرمان العلم والرزق، والوحشة التي يجدها العاصي بينه وبين ربه، وبينه وبين الناس، تعسير الأمور، وظلمة القلب، ووهن البدن، وحرمان الطاعة، وتقصير العمر، ومحق البركة. ثم أن المعاصي تزرع أمثالها، وتقوى في القلب إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ إرادة التوبة من القلب، فعندها يستحسن المعصية ويستقبح الحسنَة، ثم إن المعاصي سبب لهوان العبد على ربه، وتورث الذل، وتفسد العقل، وتدخل العبد تحت اللعنة، وتحرمه من دعوة الرسول والملائكة والمؤمنين، ثم إنها تذهب الحياء، وتضعف في القلب تعظيم الرب، وتستدعي نسيان العبد لربه، وتخليته بينه وبين نفسه والشيطان.

إذا استحضر مرتكب المعصية هذه الأضرار كان حري به أن يقلع عنها ويحذر منها.

---

(١) سورة الجمعة آية ٤ .

**(١١) الدعاء:**

فهو والله الذي لا إله إلا هو لمن أعظم الأسباب، وأنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، بل ويمنع نزوله، ويرفعه ويخففه إذا نزل .. ومن أعظم ما سأل ويدعي به سؤال الله التوبة الصادقة، وذلك بأن تدعو ربك أن يمن عليك بتوبة نصوح، مهما كان حالك، فكما قلت وأكرر إن التوبة لا تكون فقط عند فعل المعاصي، بل عند التفريط في الطاعات، وبأن تتحرى الأوقات والأحوال والأوضاع التي هي مكان الإجابة، كالدعاء في السجود كما قال ﷺ **"أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوْا الْدُّعَاءَ "**(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي آخر الليل وبين الأذان والإقامة وفي حال إقبال القلب على الله واشتداد الإخلاص، وأن تتجنب موانع الإجابة، ولا تمل الدعاء ولا تستعجل الإجابة ، فمن يطرق باب الرحمن ويشتد في الطرق فإنه يوشك أن يلج.

**(١٢) النظر في حال العصاة :**

فإن ذلك يقصر في التمادي في الذنوب، ويقود العاقل إلى التوبة النصوح.

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية " - انظر في حال المسرفين على أنفسهم بالمعاصي، تجدهم أكثر الناس فجورًا وفسادًا وطلبًا لما يروِّحون به عن أنفسهم من مسموع ومنظور ومشموم وملبوس ومأكول ومشروب ، ومع هذا لا تطمئن قلوبهم، ولا تهدأ نفوسهم بشيء من ذلك. وهم أعظم الناس خوفًا، وتجد العاجز منهم في عذاب عظيم، لا يزال في أسف على ما فاته، وعلى ما أصابه، وأما المؤمن فهو مع قدرته، له من الأعمال الصالحة، والعلوم النافعة وما يوجب الطمانينة وقرة العين ما لا يمكن

(١) صحيح الجامع ١١٧٥ .

وصفه، وهو مع عجزه له من أنواع الإرادات الصالحة، والعلوم النافعة التي يتنعم بها، ما لايمكن وصفة، ولقد عبَّر كثير من المشاهير، سواء الأغنياء أو الفنانين ممن ابنعدوا عن الله، عن ما يلاقونه من الضنك والشدة مع أن الناظر في أحوالهم بادي الرأي يظن أن السعادة لا تفارقهم، ولا تتعداهم إلى غيرهم.

**(١٣) الصبر والمصابرة خصوصًا في بداية الأمر:**

لا ريب أن للشهوات سلطان على النفوس، وإنها تتمكن في القلوب، فتركها عزيز، والخلاص منها شاق وعسير ولكن...

إعلم أن من إتق الله كفاه، ومن أستعان به أعانه، ومن توكل عليه فهو حسبه، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا، والله لن تجد نصيحة أعظم من هذه، وأعلم أنه كلما زادت الرغبة في المحرم، وتاقت النفس إلى فعله، وكثرت الدواعي للوقوع فيه، عظم الأجر في تركه وتضاعفت المجاهدة على الخلاص منه.

وإعلم أن النفس إذا وجدت لذه العبادة، وذاقت طعم الإيمان، وبرد اليقين، واستشعرت روح قرب الله وجميل نظره ولطفه، لم تحن إلى تلك الشهوات، وكل هذا مجرب ومحسوس.

وإلا مالذي يحمل أصحاب الطاعة على مواصلة السير في الطريق؟ ، إنه حب الله وتعظيمه والأنس به.

**(١٤) عرض الحال على من يعين:**

سواء داعية أو صديق صالح أو معلم صادق، مما يعين على التوبة، والإقبال على الله، حيث الإرشاد إلى الطريق الصحيح، وتوضيح الأمور التي تشكل على التائب. نسأل الله أن يمنَّ علينا بتوبة صادقة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**لاأريد أن أعود إلى ما قبل التوبة، كيف السبيل؟**

## وسائل الثبات على التوبة :

**(١) الإقبال على القرآن:**

هو الوسيلة الأولى للثبات، فهو الكتاب المبين الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وهو حبل الله المتين، والصراط المستقيم، والنور الهادي إلى الحق إلى الطريق المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبر ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن تكلم به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم.

## لماذا القرآن مصدر للثبات ؟!

لأنه يزرع الإيمان في القلب، ويزكي النفس بالصلة بالله، لأن تلك الآيات بردًا وسلامًا على قلب المؤمن، فلا تعصف به رياح الفتنة، ويطمئن قلبه بذكر الله، بالقرآن يطمئن قلب المؤمن كما قال الإمام جعفر الصادق: عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[١]، فإني سمعت الله بعدها يقول: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾[٢]، وعجبت لمن اغتمّ ولم يفزع إلى قول الله -عز وجل- : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]، فإني سمعت الله بعدها يقول : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤]، وعجبت لمن مُكر به ولم يفزع إلى

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٤ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٨٧ .
(٤) سورة الأنبياء آية ٨٨ .

قول الله تعالى : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[١]،فإني سمعت الله بعدها يقول : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾[٢]،وعجبت لمن طلب زينة الدنيا ولم يقل: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[٣]، فإني سمعت الله بعدها يقول : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾[٤]، لماذا القرآن مصدر للثبات؟ ، ولأنه يزود المسلم بتصورات صحيحة، وقيم صحيحة، يحكم بها على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تتناقض أقواله، لماذا القرآن مصدر للثبات؟، ولأنه يرد على الشبهات التي يثرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين، كالأمثلة الحية التي عاشها الصحابة والرسول ﷺ .

ما هو أثر قول الله عز وجل ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾[٥] في نفوس المؤمنين لما قال المشركون أن رب محمد قلاه؟! .

ما هو أثر قول الله ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾[٦] في نفوس المؤمنين لما ادعى المشركون أن محمد يعلمه بشر، وأنه يأخذ القرآن على يد نجار رومي بمكة ؟! .

ما هو أثر قول الله عز وجل ﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾[٧]. في نفوس المؤمنين لما قال المنافقين ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾[٨] ؟! أليس تثبيت على تثبيت، وربطا على قلوب المؤمنين؟ وفي غزوة الحديبية وعد الله المؤمنين في رجوعهم منها غنائم كثيرة يأخذونها، وأنه سيعجلها لهم، وأنهم سينطلقون إليها

(١) سورة غافر آية ٤٤ .
(٢) سورة غافر آية ٤٤ .
(٣) سورة الكهف آية ٣٩ .
(٤) سورة الكهف آية ٤٠ .
(٥) سورة الضحى آية ٣ .
(٦) سورة النحل آية ١٠٣ .
(٧) سورة التوبة آية ٤٩ .
(٨) سورة التوبة آية ٤٩ .

دون غيرهم، وأن المنافقين سيطلبون مرافقتهم، وأن المسلمين سيقولون لن تتبعونا، وأنهم سيصرّون يريدون أن يبدلوا كلام الله، وأنهم سيقولون للمؤمنين بل تحسدوننا، وأن الله أجابهم بقوله ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[1] انظر .. ثم يحدث هذا كله أمام المؤمنين، مرحلة بمرحلة، وخطوة بخطوة، وكلمة بكلمة!! ، والآيات في سورة الفتح ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ ﴾[2] ، ويقول ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[3].

من هنا نستطيع أن ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن، وأقبلوا عليه تلاوة وحفظًا وتفسيرًا وتدبرًا، منه ينطلقون، وإليه يرجعون، وبين من جعلوا كلام البشر جُلَّ همهم وشغلهم الشاغل.. فياليت الذين يطلبون العلم يجعلون للقرآن تفسيرًا وحفظًا نصيبًا كبيرًا في طلبهم.

**(٢) إلتزام شرع الله والعمل الصالح :**

قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[4]. قال قتادة في تفسير الآية : في الحياة الدنيا يثبتهم الله بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

قال الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[5] أي على الحق ، وهذا بيِّن وإلا هل تتوقع ثباتًا للفسادين القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلَت الفتنة برأسها وإدلهمت الخطوب؟ ، لكن الذين أمنوا يهديهم ربهم بإيمانهم

---

(١) سورة الفتح آية ١٥.
(٢) سورة الفتح آية ٢٠ .
(٣) سورة الفتح آية ١٥.
(٤) سورة ابراهيم آية ٢٧.
(٥) سورة النساء ٦٦ .

صراطًا مستقيمًا، لذلك كان ﷺ يثابر على الأعمال الصالحة، وكان أحب الأعمال إليه أدومه وإن قل، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت عملًا ألزمته، وكان ﷺ يقول: " مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْ السُّنَّةِ ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ " (١)، وهي السُّنن الرواتب وحديث: " لَا يَزَالُ عَبْدِي........" والأحاديث كثيرة .

**( ٣ ) تدبر قصص الأنبياء :**

ودراستها للتأسي بها، والدليل قول الله ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(٢)، فما نزلت للتسلي والفكاهة وإنما لتعرض أمرًا عظيمًا ، وهو تثبيت فؤاد النَّبي ﷺ والذين أمنوا معه ومن بعده إلى يوم القيامة.

مثلًا: أقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾(٣)، قال ابن عباس كان آخر كلام إبراهيم عليه السلام " حسبي الله ونعم الوكيل " حين أُلقي في النار، ألا تشعر بمعنى من معان الثبات واليقين يدخل في نفسك أمام الطغيان والعذاب وأنت تتأمل القصة . قال الخليل : "حسبي الله ونِعْم الوكيل " فصارت له النار بردًا وسلامًا .

وقول الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾(٤)، معنى للثبات واليقين بوعد الله في لحظات الشدة.

لما ثبت موسى- عليه السلام - والقلة المؤمنة انفلق له البحر ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ

---

(١) صححه الألباني .
(٢)سورة هود آية ١٢٠ .
(٣)سورة الأنبياء آية٦٨: ٧٠ .
(٤) سورة الشعراء آية ٦١- ٦٢ .

﴿ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ ﴾[١] وقول الله في قصة فرعون مع السحرة ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾[٢]، انظر إلى ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾[٣]. لما ثبت هؤلاء القلة كانوا في أول النهار سحرة فجرة ، وفي آخر النهار شهداء بررة، لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقول الله : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ ﴾[٤] .

في غزوة الأحزاب، إجتمع على حرب رسول الله ﷺ وأصحابه حوالي ١٠ آلاف من طوائف متعددة، وحصل في هذه الغزوة أزمة عظيمة للرسول وأصحابه وصفها الله بقوله ﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾[٥]، فانقسم الناس قسمين، الأول قال الله عنهم ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ ﴾[٦] عندهم نقص في اليقين وعدم الثبات، قالوا كيف يقول محمد أنه سيفتح كسرى وقيصر وصنعاء وهو الآن محاصر من هؤلاء الناس؟! والثاني: المؤمنون قال الله عنهم ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ ﴾[٧] .

---

(١) سورة الشعراء آية ٦٣ .
(٢) سورة طه آية ٧١ .
(٣) سورة طه آية ٧٢ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٢٢.
(٥) سورة الأحزاب آية ١٠.
(٦) سورة الأحزاب آية ١٢.
(٧) سورة الأحزاب آية ٢٢.

انظر الفرق هؤلاء لما رأوا الأحزاب ورأوا هذه الشدة علموا أنه سيعقبها نصر وفرج، وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فسيكون نصر وسنفتح ممالك قيصر وكسرى واليمن، وهذا ما كان، فهو ثبات وغاية اليقين أن يكون الإنسان عند الشدائد وعن الكروب ثابتًا مؤمنًا، عكس من كان توكله ضعيف عند المصائب والكروب، ربما ينقلب على وجهه يخسر الدنيا والآخرة .

وقصة أصحاب الأخدود، ومؤمن آل فرعون وغيرها....

**(٤) الدعاء:**

في صحيح الأحاديث القدسية: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : **"يَتَنَزَّلُ رَبّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُل لَيْلَة إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِيْنَ يَبْقَى ثُلُث اللَّيْل الآخر يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيْبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيْهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُ فَأَغْفِرُ لَهُ ؟ "**[١].

إسأل الله في دعائك الثبات " **اللَّهُمَّ يَامُقَلِّبُ القُلُوب ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِيْنك** "، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[٢]، وأكثر سؤاله تعالى أن يصلح قلبك ويهديك وزريتك، فإن الدعاء باب عظيم من أبواب إصلاح القلب، يقول ابن القيم تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم في سورة الفاتحة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[٣] لابد أن تستحضر أن تستعين بالله في توبة نصوح وكان ﷺ يكثر سؤال الله التوبة وصلاح قلبه وثباته على الحق والهدى..

**(٥) ذكر الله :**

ذكر الله من أعظم أسباب الثبات. وقد جعله الله وسيلة للثبات في الجهاد، فما بالك في ماهو أخف منه قال الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥ .
(٢) آل عمران آية ٨ .
(٣) سورة الفاتحة آية ٥.

وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [١] ، واستعان به يوسف في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال حين دعته لنفسها، قال معاذ الله فكسرت جنود شهوته. فهو من أعظم أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، وحصول الفضل والرحمه من رب العالمين، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [٣] فبذكره تعالى تطمئن القلوب من خوفها، فتسكن إلى موعود ربها، مع الثقة به، وحُسن التوكل عليه، وصدق اللجوء إليه، وتطمئن من حزنها، فتجد الأمن من كل غم وهم وحزن، فتعيش راضية مرضية لأنها بربها ومولاها راضية.

وتطمئن من الشتات، فيجتمع شملها، ويتحد توجهها، وتنجو من شتات أمرها، وتطمئن من كيد شيطانها، وغلبة هواها، وتحرش أعدائها، وكيد خصومها، فليس للقلب دواء أنفع من ذكر الله؛ فمهما حصل القلب على مطلوبة ورغباته بدون ذكر الله، فإن مصيره القلق والخوف والغم والهم والحزن والكدر والإضطراب.

أبى الله أن يؤمِّن من عصاه، وأن يؤنس من خالفه وإتبع هواه، وكيف يطمئن من بينه وبين خالقه وحشة و قطيعة، وكيف يأنس من نسي مولاه، وأعرض عن كتابه، وأهمل أوامره، وتعدى حدوده .

إن طمأنينة القلب هي السعادة التي تسعى لها البشرية ، وهي الحياة الطيبة التي يبحث عنها الجميع، فمنهم من خطبها عن طريق المال فجمع وأوعى، وحصل

---

(١)سورة الأنفال آية ٤٥ .
(٢)سورة الأحزاب آية ٤٣.
(٣)سورة الرعد آية ٢٨.

وكنز، فإذا المال بلا إيمان شقاء، ومنهم من طلب السعادة عن طريق المنصب، فصب من أجله دمعه وعرقه، فلما تولاه بلا إيمان كان فيه حتفه وهلاكه وخيبته، ومنهم من طلبها عن طريق اللهو من غناء وشعر وهواية، فما حصل عليها ولا نالها، لأنه عزلها عن عبودية ربه عز وجل.

فيا من تكاثفت سحب همومه أذكر الله لتحيا حياة طيبة، وتسعد سعادة أبدية..

ويا من أحاط به حزنه وأقلقه همه أذكر الله لتأنس..

ويا من طوقه كربه وزلزله خطبه أذكر الله لتأمن..

ويا من تشتت قلبه وذهب لبه أذكر الله لتهدأ..

ذكر الله دواء وشفاء وهناء، وذكر غيره داء ووباء وشقاء. ويكفي الذكر فضلًا أن الله يذكر من ذكره، ويكفي الذكر شرفًا أنه العلم الوحيد الذي يبقى مع أهل الجنة، ويكفي الذكر أجرًا أنه أفضل عمل.

والذكر سعادة ولكن المعرض مخذول، والناسي خائب، والمضجع خاسر.

وفي حديث أنس رضي الله عنه **" مَثَلُ الَّذِي يَذْكُر رَبَّهُ وَالَّذِى لَاَ يَذْكُر رَبَّهُ كَمَثَل الحَي وَالَميت"** [1]. والقلب إذا خلا من ذكر الله قسا وأظلم قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [2].

**قال ابن القيم -رحمه الله-** : لكل شيئ جلاء، وجلاء القلوب ذكر الله تعالى، قال رجل للحسن البصرى: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي، فقال أبو سعيد -رحمه الله- : أذبه بالذكر فما أذيبت قسوة القلب بمثل ذكر الله.

وكان عليه الصلاة والسلم يذكر ربه في كل أحيانه... ووصف الله أولو الأباب بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) سورة الزمر آية ٢٢.
(٣) سورة آل عمران آية ١٩١.

والذِّكر يكون بتواطئ القلب مع اللسان، فمن الذاكرين من يتبدئ بذكر اللسان، وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه، فتواطأ على الذكر، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة، بل يسكن حتى يحضر قلبه ، فينشر في الذكر بقلبه، فإذا قوى استتبع لسانه متوطأ جميعًا. فالأول ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، والثاني ينتقل الذكر من قلبه إلى لسانه، وأفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان، لأن هناك ذكر باللسان فقط، وهناك ذكر بالقلب فقط.

وأعظم ما يمكن أن تداوم عليه من الذكر، أذكار الصباح والمساء المأثورة، وأن تستشهد معانيها حال ذكرك.

وبقدر أكثارك من ذكره تعالى، ينبسط خاطرك، ويهدًا قلبك، وتسعد نفسك، ويرتاح ضميرك، لأن في ذكره تعالى معاني التوكل عليه، والثقة به، والاعتماد عليه، والرجوع إليه، وحسن الظن فيه، وإنتظار الفرج منه فهو قريب إذا دُعِي ، سميع إذا نودي، مجيب إذا سُئِلَ .. فزد من ذكر الله توحيدًا وثناءً ومدحًا ودعاءً وسؤالًا واستغفارًا، وسوف تجد بحوله وقوته السعادة والأمن والسرور والنور والحبور ﴿ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1] .

فالمرء حقيق أن يكون له مجالس، يخلو فيها، فيتذكر ذنوبه، فيستغفر الله..

قال سعيد بن جبير : الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن..

**سئل شيخ الإسلام ابن تيمية، أي الذكر أنفع للذاكر، التسبيح أم الاستغفار؟**

قال : إن كان الثواب نقيًا، فالبخور وماء الورد أنفع، وإن كان الثوب دنسًا، فالصابون والماء الحار أنفع.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥ .

### ( ٦ ) التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة:

إن التربية الإيمانية العلمية الواعية عامل أساس للثبات.

**التربية الإيمانية:** التي تحيي القلب والضمير والخوف والرجاء والمحبة، المنافية للجفاف الناتج عن البعد عن القرآن والسُنَّة.

**التربية العلمية:** القائمة على الدليل الصحيح المنافية للتقليد والإمعية.

**التربية الواعية:** التي تعرف سبيل المجرمين، وتدرس خطط أعداء الإسلام، وتحيط بالواقع علمًا، وبالأحداث فهمًا، المنافية للإنغلاق.

**التربية المتدرجة:** التي تسير بالمسلم شيئًا فشيئًا، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون، منافي للقفزات المحطمة.

لكي ندرك أهمية ذلك العنصر نعد إلى سيرة الرسول ﷺ في مكة ، ونسأل ما هو مصدر ثبات صحابة النَّبِي ﷺ في مكة أثناء فترة الاضطهاد؟! كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر وغيرهم؟! من المستضعفين ومن كبار الصحابة في الشعب؟! هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة، ومن مشكاة النبوة ثقلت شخصياتهم؟!، لابد للمسلم من تربية صحيحة تحميه من الفتن والإبتلاء والأعداء، تربيه تعصمه من الشهوات، فالمنهج التربوي الإسلامي منهج ينبثق من نصوص القرآن والسُنَّة، وعنايته موجهه بالدرجة الأولى إلى تزكيه النفس، وتهذيبها من نزغات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها.

ويمكن التعبير عن عملية تربية النفس بأنها: عملية النهوض بالنفس إلى المستوى الرفيع من التكوين العقدي والسلوكي الشرعي، وقد ربط القرآن العظيم النجاح والفلاح بتزكية النفس بالإيمان والتقوي، وربط الخيبة بتدنيس النفس بالكفر والعصيان قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ

مَن زَكَّنهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا ﴿١٠﴾ ﴾[١].

وللتربية أثر عظيم في تزكية النفس، ولذلك كانت من مهمات الرسول ﷺ تزكية نفوس الناس. قال تعالى:﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[٢] ، والنفس قابلة للتوجيه والتعديل، والخير المركوز فيها قابل للتنمية بالتدريب والتعليم وتكرار المحاولات.

**ولكي تنجح عملية التربية للنفس أو لغيرها لابد من أسس:**

**أولا:** أن تتوفر في عملية التربية النية الصالحة، وأن يكون الغاية في التغير الإيجابي مرضاة الله عز وجل، ونيل الثواب الأخروي، فالأعمال تتحدد قيمتها، وتتحقق أثارها المباركة، بحسب ما وقر في القلب من نيات ومقاصد يعلمها الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافيه قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٣] .

**ثانيا:** مراعاة التدرج في البناء التربوي لأن عملية التربية ليست عملية تحويل فجائي دفعة واحدة ، والرغبة في الإنجاز السريع على خلاف سُنَّة الله تعالى ، في كونه إذ مع قدرته على الإيجاد بقوله كن فيكون ، لكنه تبارك وتعالى اختار لنفسه سُنَّة الإنشاء المتدرج ومن صفات الله تعالى أنه رب العالمين والتربية هي إنشاء متدرج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله .

**ثالثا:** إعطاء النفس فرصة للتعود وتصبيرها ومكابدتها، فبين الحق والهوى باب إبتلاء تمحيص، من صدق الله نجا ودخل إلى الحق، ومن ضل هلك ودخل إلى الهوى. قال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ

(١)سورة الشمس آية ٧: ١٠ .
(٢) سورة البقرة آية١٥١ .
(٣)سورة العنكبوت آية ٦٩ .

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (١)، وقول النَّبي ﷺ : " إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ " (٢).

تتلخص هذه الخطة التربوية في ممارسة السلوك الإيجابي المزاحم للطبع السلبي، وبتكرار السلوك المزاحم وتنميته يضمر الطبع السلبي، وذلك لأن في الإنسان استعدادًا فطريًا لإيلاف ما يتكرر عليه مرة بعد مرة، من ألف شيئًا أحبه وشعر بالحاجة النفسية إلى ماعودته.

ومما يحكى عن البِشر الحافي أنه سار ومعه رجل في طريق فعطش صاحبه، فقال له نشرب من هذه البئر، فقال بشر أصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصلا إليها قال له البئر الأخرى .. فما زال يعلله. ثم ألتفت إليه قائلًا: هكذا تنقطع الدنيا..

وروى الأوزاعي عن التابعي الجليل عبد الله الخزاعي قوله " عالجت لساني عشرين سَنَة قبل أن يستقيم لي ".

روى عن أب المعمر أنه قال " أمر أنا أطلبه منذ عشرين سَنَة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه أبدًا، قالوا وما هو يا أبا المعتمر؟ قال (الصمت مما لا يعنيني) ".

**ويقول ابن المبارك:** أن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوًا، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره، فينبغي لنا أن نكرهها. إذا كان هذا قول ابن المبارك فنحن بلا شك نعيش أشد المعاناة مع نفوسنا، ونلاقي منها معاندة عن قبول الحق، وتحتاج إلى مكابدة من نوع خاص.

وكما ذكرت إحدى الصالحات نصيحتها لبنيها (تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقيين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة، فهم لها منكرون).

---

(١)سورة الكهف آية ٢٨ .

(٢)رواه ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٦١ .

يانفس توبي فإن الوقت قد حان .·. وأعصي الهوى فإن الهوى مازال فتانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا .·. لقطنا وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه .·. نرى بمصرعه أثار موتانا
يا نفس مالي وللأموال أتركها .·. خلفي وأخرج من دنياي عريانا
أبعد أربعين قد قضيتها لعبًا .·. قد آن أن تقصري قد آن قد آن
مابالنا نتعامى عن مصائرنا .·. ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصا وهذا الدهر يزجرنا .·. كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وابناء الملوك ومن .·. كانت تخر لهم الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر .·. فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا
خلو مدائن كان العز مفرشها .·. واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا
ياراكضا في ميادين الهوى مرحا .·. ورافلا في ثياب ألغى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب .·. يكفيك ما قد مضى قد كان ما كان

**رابعًا:** تذكر أن التربية للنفس ليس معناها إلغاء طبائع النفس الفطرية. وإنما تعمد إلى استغلالها وتحويلها وتوجيهها وتهذيبها، فالإسلام ما جاء ليحجز الفطرة، وإنما جاء ليقومها ويصحح مسارها.

**خامسًا:** إيجاد الحافز الذاتي الذي يشكل القوة الداخلية لدى الإنسان، والموجهه لإرادته، والدافعة له، والحافز لدى المؤمن وهو الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وبقضائه وقدره، وبالتأمل في الجزاء الذي وعد به، فهذا الحافز قوة فوق كل القوى، فمتى بنيت هذه القاعدة الإيمانية في أعماق قلب الإنسان فإنها ستهيمن على فكره وقلبه وعواطفه، بحيث تعمل على ربط إرادته بما يرضى الله تعالى، وتتحكم في أنواع

سلوكه الداخلي والخارجي وفق ما أمر الله تعالى به رغبة ورهبة كما يقول تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1] .

فنهى النفس عن الشر، وتزكيتها لا يتم إلا بالخوف من العظيم الجليل، الرقيب الحسيب، وهذا من أهم روافد البناء التربوي الذاتي الذي يورث الإيمان بالله تعالى بإلوهيته وأسمائه وصفاته، وهو الذي يشعل جذوة الخوف في القلب ونجاحه في وقت الحياة والصحة، ثم هناك الخوف من اللحظة الأخيرة وسوء الخاتمة، وهذا بمثابة المحرك نحو عملية التربية والإصلاح على الدوام، وكذلك الخوف من حدوث العقوبات الربانية العاجلة والآجلة.

ثم إن المؤمن بالله تعالى وبقدرته وحكمته يقابل مقادير الله بالرضا والتسليم، فيصبر ولا يضجر ولا يسخط ولا يحسد لأنه يعلم إنها من تدبير الحكيم العليم الرحيم. وتكوين هذه القاعدة يكون عن طريق إكتساب العلم والتعرف على ما أخبر به من أصول الإيمان وأمور الغيب في كتابه وسُنَّة نبيه محمد ﷺ، وهذا الحافز في مستواه الأعلى يوصل الإنسان إلى مرتبة الإحسان في معظم أعماله، ويجعله من السابقين إلى الخيرات بإذن الله تعالى .

**سادسًا:** التركيز على عملية التحويل والتصعيد، وتكون بتحويل وغياب النفس إلى جانب من جوانب الخير، ومن ثم توجيهها إلى معالي الأمور، ولما فيه السعادة الخالدة، أو مجد حقيقي ولما فيه كمال ورفعة في الدنيا والآخرة. وهذه القاعدة متعلقة بسابقتها من حيث أنها مرتبطة بالإيمان بالغيب، مثال ذلك من يرى في نفسه طمعًا مفرطًا في متاع الحياة الدنيا وزينتها، فيشتغل بملئ قلبه بالإيمان بالله تعالى ، والإيمان باليوم الآخر، ومعرفة أحواله وما فيه من جنة ونعيم مقيم وأجر عند الله عظيم، ثم التأمل في تفصيلات ذلك النعيم الواردة في صحيح الأخبار، ثم تعمل على توجيه طمعها وتحويله إلى ما عند الله، ثم تجري عمليات تصعيد مالديها من حرص وطمع

(١) سورة النازعات آية ٤٠-٤١ .

وحب لمتاع النفس إلى تحصيل ذلك المأمول الأخروي، وبذلك تنفك شيئًا فشيئًا عن التعلق بمطامع الحياة الدنيا طلبًا لما هو أجل وأعلى وأدوم، فعندها تجد نفسك قنوع راضي غير مفرط في الطمع الدينوي، ومن هذا الأصل التربوي ما جاء في قوله الله ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [1]،والآن بعد معرفة هذه **الأسس كيف أربي نفسي؟!.**

( أ ) **شد الرحال إلى تنقية القلوب وإصلاحها:** ومراقبة أخلاق الباطن، إذ سينتج عنه استقامة السلوك الخارجي، كما يقول النبي ﷺ : **" أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ "** [2] .

ولتعلم أن العناية بتقويم السلوك الظاهر فقط يكون كالبناء على غير أساس، وكل بناء على غير أساس عرضة للإنهيار، وإقرأ الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنَّ يَنْظُرِ إِلَىٰ قُلُوْبِكُمْ "** وعلى ذلك فكي يظهر أثر العملية التربوية لابد من تطهير هذه المضغة من كل ما يخالف تعليمات الوحي.

(ب) **الحرص على العلم والتعلم:** وفهم أمور الدين الواجبة، وما من طريقة من طرق التربية ووسائلها إلا وهي متعلقة تعلق وثيق بالعلم واكتسابه والإنتفاع به، وكذلك فهم القرآن، والتواصل معه قراءة وتدبرًا وعلمًا وعملًا، وأخص هذه العلوم هي العلم بالله تعالى الذي يحقق التوحيد الخالص والإيمان الصحيح.

كما يقول ربنا تبارك وتعالى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [3].
وهذه أعظم قضية في العالم وأكبر مسألة في الدنيا، وهي أن تعلم وتقر وتعترف أنه لا إله إلا الله، فلا تعبد غيره،ولا توحد سواه، إن الخلق خلقوا ليعلموا أن لا إله إلا

(١)) سورة طه آية ١٣١ .
(٢)رواه البخاري ٥٠ .
(٣) سورة محمد آية ١٩ .

الله، وأن الكتب نزلت لتثبيت لا إله إلا الله، وأن الرسل بعثت لتدعو إلى لا إله إلا الله، فقبل أن تعلم إعلم أنه لا إله إلا الله، وقبل أن تدعو إلى لا إله إلله، وقبل أن تأمر وتنهى صحح لا إله إلا الله.

إن بداية الطريق لمن أراد الحياة الطيبة، والعيش السعيد، والخاتمة الحسَنَة، والخلود في الجنة، لهي هذه الكلمة الرائدة الخالدة بكل ما تحويه من معنى إرادة الله عز وجل يوم فرض على العباد تحقيقها، ولابد لهذه الكلمة من اعتقاد جازم لا يخالطه شك، وحب صادق لا يكدره سخط، وصدق في قولها لا يمازحه كذب، وعمل بمقتضاها لا يناقضه مخالفة، ودعوة إليها لا يصاحبها فتور، وسلامة من كل ما يضادها أو يعارضها من شرك أو رياء أو بدعة ليكون قائلها أسعد الناس بها في الدنيا والآخرة.

ولأن الله صاحب الكمال والجلال والجمال والعظمة فحقه أن نوحده بلا إله إلا الله، ولأننا أهل الذنب والخطيئة والعيب والتقصير فعلينا بالإستغفار. فالتوحيد حق لله لا ينازعه فيه أحد لأنه واحد في ربوبية وأسمائه وصفاته وأفعاله والإستغفار نجاة للعبد الذي غره الشيطان، وخدعته النفس، وغلبه هواه، وأشغلته دنياه، فوقع في المعصية، والآن لك أن تعرف سر الإقتران بين التوحيد والإستغفار وهذا ورد في عدة مواطن في القرآن مثل ﴿ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾[1]، ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فهذه المعرفة العظمى بالله التي تبوء بك إلى الإستغفار، وهي أعظم العلوم على الإطلاق. علم بالكتاب والسُنَّة الذي يؤدي بك إلى الإذعان لله، والخضوع له، فمنه العز والمجد في الدنيا والآخره.

قال عروة بن الزبير يا بنيَ : تعلموا فأنكم إن تكونوا صغراء قوم، عسى أن تكونوا كبراءهم، وأسوتاه ما أقبح من شيخ جاهل!.

---

(١) سورة فصلت آية ٦ .

فعلى مقدار التدبر والفهم لكتاب الله وسُنَّة نبيه يكون التوفيق والنجاح في تربية النفس وتزكيتها، وقد بينت كيفية الإنتفاع بالقرآن بالتفصيل في صفحات هذا الكتاب، وأسأل الله الإنتفاع من تلك الكلمات.

(جـ) **محاسبة النفس وإتهامها مع الإهتمام بآنية المحاسبة**، بحيث يحاسب الإنسان نفسه على كل خطأ يقوم به في نفس الوقت، وهذا يحتاج إلى يقظة دائمة، وإنتباه للأخطاء وحركات النفس، وإتهامها قبل إتهام الآخرين، والبحث عن عيوبها قبل البحث عن عيوب الآخرين، والحذر من الوقوع في وهم الكمال الذي يجعلنا لا نلتفت إلى نواقص أنفسنا فتتراكم العيوب، ونحيد عن الطريق . إن المحاسبة بمثابة صراع المؤمن مع نفسه الأمارة بالسوء التي تنسيه الآخرة والإستعداد لها.

**قال الحسن البصري -رحمه الله-:** يابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو منك، وحتى تبدأ بعلاج ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبًا إلا وجدت عيبًا آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان كذلك.

ومن مواقف المحاسبه المنقولة عن السلف قول أحدهم (ما عرضت قولي على عملي إلا خفت أن أكون مكذبًا) بمثل هذه المحاسبة يستمر العمل ويزداد وتحفظ النفس من الإنحراف عن الجادة.

( د ) **حدد هدفك**، فمن المعلوم أن الله تعالى لم يخلق الحياة الدنيا عبثًا، ولم يوجد الإنسان هملًا، قال الله ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[1].

فلابد أن تجعل لكل وقت من حياتك عملًا، وأن تجعل لكل عمل هدفًا نافعًا، مع وضع خطة للوصول إليه، بحيث لا يبقي الهدف أفكارًا وأمالًا فقط، وأن تعقد

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥ - ١١٦.

العزم على الوصول إليه بلا أدنى تردد.

*قال الحسن البصري -رحمه الله- عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- : " ما ظننت عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية" ومقولة سليمان الفارس رضي الله عنه تؤكد هذا المعنى " إني لأ حتسب نومتي كما أحتسب قومتي ".

وأكرم هدف وأسمى عناية يسعى لها كل مسلم في حياته هو بلوغ مرضاة رب العاليمن، قد يتساءل البعض هل هذا يعني أن تكون الحياة كلها عبادة وجد، لامكان فيها لإعطاء النفس مطالبها من الترويح والإستجمام مثلًا ؟! .

قبل أن أجيب اقرأ كلام قاله أبو الدرداء " إني لأضحك لأجم روحي، وهذا حق للنفس أن تسرح في المباح ليعود لها نشاطها ونشوتها، وتكون أقدر على العبادة والعمل، فإن الجد المتصل و العمل الدائم يورث الملل والسآمة فتذوب النفس، ويخمد أشراقها، ويضعف أداؤها، والعاقل يتلطف بنفسه وبجسمه ليصل إلى مقصوده ويقطع طريق سفره في راحة " .

**فالجواب:** لا بالطبع، النفس لا تطيق ذلك، ولكن نقول حتى طلبك للترويح في وقته المناسب، وبالكيفية المناسبة من الممكن أن يكون هدفًا مقصودًا أو مشروعًا، وضمن منظومة الأهداف الصغرى الخادمة الموصلة إلى الأهداف الكبري، ولابد عند وضع الأهداف من مراعاة الأولويات والأهم فالمهم، إذ أن بعضنا قد ينشغل بالمباحات، ويستنفذ وقته كله فيها، ويفرط في الواجبات والضروريات والفرائض، فيكون كمن بذل جهده وإستفرغ وسعه في إختيار ألوان منزله وتزيينه، وقصر تقصيرًا كبيرًا في قواعد وأعمدة ذلك المنزل، فآل به الأمر إلى أن إنهدم المنزل على من فيه.

هكذا حياة بعض الناس تجري وراء المظاهر الفارغة، والمجاملات السطحيه التافهة، وخاصة حال النساء إلا من رحم الله، وإذا فتشت في حياتهم أو حياتهن

لتبحث فيها عن علم نافع، أو عمل زاك لأعوزك ذلك، وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى قضية أخرى مهمة وهي أن الحياة محدودة والوقت لا يتكرر.

ومن قضى أوقاته ومضت حياته في الإشتغال بتوافه الحياة وصغارها، عاش في قاعها، ولم يتسن له الرقي إلى ذراها وقممها. فمن الناس من يقضي أوقاته في اللهو والكسل، ولو قضي هذه الأوقات في عبادة ربه من صلاة وقراءة وذكر وصله وبر وسعى على مسكين، أو مزاولة عمل نافع، أو اكتساب رزق، لكان حاله غير حاله لكنه أضاع وقته ورضي بالدون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[1].

وما أصيب العاقل بمثل مصيبة ضياع الوقت، لأن اللحظة التي تمر لن تعود أبدًا، وما فاز من فاز، وسبق من سبق إلا بإدراكه لقيمة الوقت، وكلما تعودت على حفظ أوقاتك وإستغلالها فيما ينفع، دفعك ذلك إلى تنظيم جميع أمور حياتك، والإرتقاء بنفسك إلى معالي الأمور وكبارها، اما أهل البطالة والفوضى فليس في حياتهم أرخص من الأوقات، يقضونها في اللهو والتوافه والكسل، ولا يفكرون في استغلالها، بل يتنادون بقتلها، وما علموا المساكين أنهم يقتلون أنفسهم...

( هـ ) **الإكثار من القربات والطاعات:** فعليك أن ترغب في الوصول إلى القمة، وبلوغ الدرجات العالية عند ربك، وذلك بالإكثار من الطاعات، فالأعمال الصالحة تقوّي الإيمان وتزيده، ووالله ما أكرم العبد نفسه بمثل طاعة الله ، وما أهان نفسه بمثل معصية الله .

ومن الأعمال التي لها خاصية في تزكية النفس الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فالصلاة يقول أبو هريرة رضي الله عنه سمع رسول الله يقول " **أَرَايْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيْهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسا، هَلْ يَبْقَىْ مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوْا : لَا**

---

(١) المؤمنون آية ٩٩-١٠٠ .

**يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا"** (١) .
فوجه التمثيل أن المرء كما يدنس بالأقذار المحسوسة بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبًا إلا أسقطته.

والصدقة يقول الله فيها ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٢) ، أي خذ من أموالهم صدقة تطهرهم من الشر، وتزكيهم بالخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾(٣) .

فأقسم سبحانه أن الإنسان في خسر لولا أن تواصوا فيما بينهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك.

( و ) **حفظ الجوارح**: يعرف علماء السلف الإيمان بإنه تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، فلا يتم الإيمان من غير عمل الجوارح، وبخاصة في الرأس من السمع والبصر واللسان، وصلاح القلب يتعلق بحفظ هذه الجوارح، وفساده أيضًا يتعلق بإهمالها وتضيعيها، فأذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ جوارحك.. حفظ اللسان والسمع والبصر.

فاللسان يعد من أعظم نعم الله على خلقه، وهو عظيم النفع أن استعمل فيما يحب الله من الكلام، عظيم الضرر إن استعمل في ضد ذلك. فالواجب أن نحفظ علينا لساننا إلا عن الخير، كما في قول رسول الله ﷺ **"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ يَصْمُتُ"** (٤) .

---

(١) متفق عليه .
(٢)سورة التوبة آية ١٠٣
(٣)سورة العصر
(٤)رواه البخاري ومسلم .

روى الترمذي: " **كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَمْرَ بِمَعْرُوفٍ، وَالنَّهْيَ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرَ اللهِ** ".

واعلم أن حفظ اللسان هو ملاك أمر الإنسان كما قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه " **أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ " قَالَ بَلَى يَا رَسُوْلَ اللهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا) قَالَ مَعَاذَ يَا رَسُوْلَ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُوْنَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوْهِهِمْ إِلَا حَصَادُ أَلْسِنَتِهِمْ** "[١].

خطر عظيم أن تتهاون في الكلام غافل عن أنه يحصى عليك ما يلتفظ به لسانك قال الله تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٢] **وَقَدْ سُئِلَ الرَّسُوْلُ ﷺ عَنَ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ الْأَجْوَفَانِ ( الْفَرَجِ وَاللِّسَانِ )**[٣]، وحقًا فاللسان لا يكلُّ كما تكل سائر الأعضاء، ثم إن المعاصي التي تأتي بطريق اللسان كثيرة كالغيبة والنميمة، وقول الزور، والسخرية بالمسلمين، والكذب في الحديث، وأعظمه الكذب على الله ورسوله.. وأكثر الذنوب إنتشارًا بيننا الغيبة التي يفسرها النبي ﷺ ( **ذِكْرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**)[٤].

ومع ذلك قد نتعرض لأكثر من شخص في المجلس الواحد ونغتابهم، وإذا نُصِح قال : لم أزد عليهم شيء، فكل ما قلت فهو فهيم، وهذا جهل، فهذه الغيبة بعينها. ومن خطورة الغيبة أن من إغتاب فإنه إثم الغيبة لا يقتصر عليه بل يشمل من سمعه فلم ينكر عليه، فيكون شريك له في الغيبة . **وَفِي قِصَّةِ مَاعِز أَنَّهُ بَعْدَ مَا رُجِمَ سَمِعَ النَّبِيَّ يَقُوْلُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِيْ سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ، ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى مَرَّ بِجِيْفَةِ حِمَارٍ فَقَالَ : أَيْنَ**

(١) رواه الترمذي .
(٢) سورة ق آية ١٨ .
(٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
(٤) رواه مسلم.

فُلانٌ وَفُلانٌ؟، إنْزِلَا فَكُلا مِنْ جِيْفَةِ هَذَا الْحِمَار. قَالَا : غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا رَسُوْلَ الله وَهَل يُؤْكَلُ هَذَا؟ ، قَالَ ﷺ : فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيْكُمَا آنِفا أَشَدُّ أَكْلا مِنْهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ بِيَدِهِ إِنَّهُ الآنَ لَفِي أَنْهَارُ الْجَنَّهِ يَنْغَمِسُ فِيْهَا " (١) .

وقد تجتمع مع الغيبة الشتم، قال رسول الله ﷺ " سِبَابُ الْمُسْلِم فُسُوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " (٢) . هذا كله من مظالم العباد التي إن لم يتب منها، فإن التقاضي يوم القيامة يكون بالحسنات كما قال النَّبي ﷺ : " أَتَدْرُوْنَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوْا الْمُفْلِسُ فِيْنَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِيْنَار، فَقَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِيْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَام وَ زَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ، وَهَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكْلُ مَال هَذَا، وَسَفَكَ دَم هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِيْ النَّار " (٣).

ومن أخطر جنايات اللسان النميمة، وهي نقل الحديث بين الناس على وجهه الإفساد، مما يؤدي إلى إفساد ذات البين، وتفريق القلوب، وزرع العداوات، فكم من كلمة هدمت بيتًا، وكان بعض السلف يبكي بكاء مرير من أجل كلمة يحسب أنها من الزلل الذي لا يليق بمثله، وكانوا رضوان الله عليهم يبتعدون عن كل ما يفسد الجوارح، فإعلم أن لو لم يكن في كثره الكلام إلا أنه قسوة القلب لكان كافيًا .

*عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ " لَا تُكْثِرُوْا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الله الْقَلْبُ الْقَاسِي "(٤).

وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه " من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به " .

---

(١)الأدب المفرد للبخارى.

(٢)متفق عليه .

(٣) الترمذي (٢٤١٨) صححه الألباني .

(٤)رواه الترمذي.

والحمد لله أن الله تجاوز عن خطرات النفس ، كما يقول الحبيب ﷺ : " **إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِيْ مَا حَدَّثَتْ بِهَا أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوْا أَوْ يَعْمَلُوَا بِهِ** " .

فيا رعاك الله لابد أن يكون من ضمن خطواتك تربيه نفسك حفظ جوارحك، ومنها لسانك، فقد تُحرم بسبب كلمة أو نظرة تحصيل علم أو نيل فائدة أو ضبط آية.

وأيضًا من نعم الله على عباده نعمتا السمع والبصر، قال الله ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[1] ، وهما كغيرهما من النعم التي يبتلى الله بها عباده، هل يشكرون أم يكفرون. قال الله ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[2] فمن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد.

والشاكر موعود بالزيادة، ومن كفر نعم الله فهو يتوعد بالعذاب الشديد كما قال الله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[3].

واعلم رحمك الله أركان الشكر حتى تكون على بينه من أمرك.

أولًا : الإعتراف بالنعمة .

ثانيًا : نسبتها إلى المنعم المتفضل سبحانه.

ثالثًا : إستعمالها فيما يحب المنعم.

فمن شكر نعمة السمع والبصر إستعمالهما فيما يحب الله تعالى من سماع القرآن، وسماع الذكر، والنظر في آيات الله ، وحفظهما عما حرم الله من النظر والسماع، وإنك

---

(١) سورة النحل آية ٧٨ .
(٢)سورة الإنسان آية ٢-٣ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٧

مسئول عن ذلك كله، قال الله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[(١)]، أما البصر فقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغضه قال الله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[(٢)].

انظر كيف قدم الله حفظ البصر على حفظ الفرج ، لأن الأول وسيلة للثاني.

ومن فوائد غض البصر مايجعلك حريصًا على غضه، فليس للعبد في دنياه وأخراه أنفع من إمتثال أمر الله، وما سُعِدَ من سعد في الدنيا والآخرة إلا بإمتثال أمر الله، وما شقي من شقي إلا بتضيع أمر الله. وهو يورث القلب محبه الله والأنس به، كما أن إطلاق البصر يوقع الوحشة بين العبد وربه. وهو يُكسب القلب نورًا وإشراقًا، وكلما قوى هذا النور وتم ظهر في العين وفي الوجهه .

ومن أثر هذا النور التميز بين الحق والباطل، والضار والنافع، والعدو والصديق، وهو ما يشير إليه في الآيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[(٣)]

---

(١)سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٢) سورة النور آية٣٠-٣١ .

(٣)سورة الأنفال آية ٢٩ .

، وهو يورث القلب سرورًا وفرحًا وانشراحًا أعظم من اللذة العاجلة الحاصلة بالنظر، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه في الدنيا والآخرة ، ووالله أن لذة العفة أعظم من لذة الذنب، وهو يورث حياة طيبة، إقرأ حديث عبد الله بن عمر، قال كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا رسول الله بوجهه فقال: " **يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِيْنَ خَمْسُ خِصَالٍ أَعُوْذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوْهُنَّ ، مَاظَهَرَتْ الْفَاحِشَةُ فِى قَوْمٍ حَتَّى اعْلَنُوْا بِهَا إِلَا ابْتُلُوا بِالطَّوَاعَيْنَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ فِى أَسْلَافِهُمْ الَّذِيْنَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ مِّنَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِيْنَ وَشِدَّةَ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوْا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْلَا الْبَهَائِمِ لَمْ يُمْطَرُوْا، وَلَا خفر" نَقَضَ" قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِى أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَئِمَّتُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى كِتَابِهِ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**"[(١)] الطواعين مثل السرطان والإيدز.

فهو يسد عن العبد بابا من أبواب العذاب والعناء والقلق، لأنه يقطع الطريق على الشيطان. فالنظر من أخطر الثغرات التي ينفذ منها الشيطان إلى القلب.

فاتق الله وأمتثل وأمتثلي أمر ربك، وغض وغضي بصرك عما حرم الله خاصة من هؤلاء الذين يتيسر الخلطة بهم من الأقارب الغير محارم لك.

فوالله ما هي إلا إفساد العفة والكرامة، وغضب للرب، وسواد للوجه، وليكن لك من الإيمان ما يحول بينك وبين تلك المعاصي التي لا يعلمها إلا الله، فإنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ومن النظر المحرم النظر إلى الرجال من خلال التلفاز، فإحذر وإحذري من إطلاق البصر ..

وأما السمع، من السمع المحرم الغناء، وقد وردت نصوص صريحة في تحريمه، والتحذير منه، وبيان آفاته في القرآن والسُّنَّة وكلام التابعين.

---

(١)صحيح ابن ماجة .

قال الله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [1] لهو الحديث هو الغناء كما ورد عن ابن مسعود وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم .

فقال عليه الصلاة والسلام "**لِيَكُوْنَن مِنَ أُمَّتِيْ أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّوْنَ الْحِرَ وَالْحَرِيْرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ**" [2]، و قال الضحاك " الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب ".

لا تجد أحدًا عُنِيَ بالغناء، وسماع الآله إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى، علمًا وعملًا، وفيه من إعراض إستماع القرآن إلى إستماع الغناء بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن، عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القاري، ويستطيل قراءته ويستزيد المغني ويستقصر وقته ".

ويقول : والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم وفشت فيهم واشتغلوا بها إلا سلط الله عليهم العدو، وبلوا بولاة السوء، والقحط والجدب وهذا ما نلمسه في واقعنا.

*واتفق الأمة الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة مع تحريمه.

*وقال الإمام مالك لما سئل عن الغناء قال " إنما يفعله عندنا الفساق " .

*وقال الإمام أحمد لما سئل عن الغناء، قال الغناء ينبت النفاق في القلب، أي يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل به.

فالقرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا إلا كما يجتمع الماء والنار، فإنهما متضادان، فالقرآن ينهى عن الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة الشهوات وأسباب والغي، وينهى عن إتباع خطوات الشيطان، والغناءيأمر بضد ذلك ويحسنه ويهيج النفوس إلى الشهوات والغي ويحركها إلى كل قبيح.

---

(١)سورة لقمان آية ٦ .

(٢)رواه البخاري .

*قال يزيد بن الوليد " يا بني أميه إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السُّكر ".

فيا أخي هذا كلام الناصحين، والأئمة المتقين، فإحذر أن تكون من قيل فيهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[١].

واعلم أن تقوى الله ليس بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، أداء ما أفترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا فهو خيرًا إلى خير ، ويا من تؤمن بالله واليوم الآخر اتقي الله، وأمتثل لأمر الله، واعلم أن السعادة في تربية وتزكية النفس من الرزائل، والمسارعة إلى أمتثال أوامر الله وتجنب نواهيه.

واعلم أنه كما أن الرزق لا يطلب بمعصية وكذلك السعادة والحياة الطيبة لا تطلب بالأفعال المخرمة، والدليل قلق نفس واكتئاب من أرادوا السعادة فيما يحرم الله. فالسعادة من الله يهبها لمن شاء والسبيل الوحيد لنيلها ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[٢] هذان هما السبيل للسعادة، الإيمان والعمل الصالح.

## نعود إلى وسائل تحقيق التربية:

( ز ) **الإنغماس في بيئة صالحة.** فالرفقة الصالحة من أبرز تربية النفس لأن من طبيعة الإنسان أن يتأثر بالبيئة التي يخالطها بالإندماج والموافقة والإكتساب لأجل ذلك أمر الله نبيه: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[٣].

(١) سورة الأعراف آية ٧٩ .
(٢) سورة النحل آية ٩٧ .
(٣) سورة الكهف آية ٢٨ .

وقول النَّبي ﷺ " **الْمَرْءِ عَلَى دِينِ خَلِيْلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** " (١). فأخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا، فالإخوة عون على الثبات على الطريق حتى الوصول إلى الجنة بإذن الله تعالى .

ليس فقط بل والله لو أننا حققنا في واقعنا أخوة الإيمان كما أمر بها الله سبحانه وتعالى، ورسوله محمد ﷺ لأ نزل الله نصره علينا، ولسُدنا العالم !! ولن تصدق تلك الإخوة إلا إذا كان الولاء الأول لله وحده دون شريك، والحب الأكبر لله دون منازع، ثم المحافظة على مقتضيات ومتطلبات تلك الأخوة.

لذلك كان من واجبات التربية النافعة للنفس، التوجيه والإلزام بمصاحبة الأخيار، والبعد عن مصاحبة السيئين التافهين لأن كل عمل إصلاحي للنفس لا يؤتي أكله ما لم يتم إعتزال صحبة السوء والتواصل مع الصحبة الصالحة.

وآكد ما ينبغي أن تربي نفسك عليه التحرر من التبعيه والتقليد لأهل الباطل ونسعى في تحقيق شعور الإنتماء لهذا الدين والإعتزاز به والسير وفق ما تمليه عقيدة المؤمن من الولاء والبراء محبة وبغضًا وعطاءً ومنعًا .

قال الله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(٢) .

فاحذر أخي المسلم، أختي المسلمه أن تكون أمعه إذ الإمعه هو الذي لا رأي له ولا عزم فهو يتابع غيره على رأيه ولا يثبت على شيء، وهو ماسمى بالتقليد الأعمى، وأقر حديث رسول الله ﷺ : " **لا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةُ، يَقُولُ أَنَا مَعَ النَّاس إن إحْسن النَّاس أَحْسَنْتَ، وَإِنْ أَسَاءُوَا أَسَأْتُ، وَلَكِنْ وَطِّنُوْا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوْا، وَإِنْ أَسَاءُوَا أَنَّ تَجْتَنِبُوْا إِسَاءتَهُمْ** " (٣).

---

(١) رواه أبو داود والترمذي .
(٢) سورة المائدة آية ٥١
(٣) رواه البخاري ومسلم .

الدعاء هو الوسيلة الأولى لإصلاح النفس وتزكيتها، لأن الأمر كله يعود إلى مشيئة الله تعالى وتدبيره وتيسيره.

قال الله : ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) إلى جانب أن الدعاء جزء من الذكر الذي يذكر الإنسان بخالقة جل وعلا، واللجوء إليه بضعفه البشري، والاستغاثة على إعدائه الذين بين جوانحه، ومن بينهم النفس الأمارة بالسوء.

ومن دعاء الرسول ﷺ " **اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِيَ تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا** " (٢).

**(٧) الحرص على أن تسلك طريقًا صحيحا:**

والطريق الوحيد هو طريق أهل السُنَّة والجماعة، طريق الفِرَق الناجية فأهل البدع يتحيرون ويضطربون، فإذا أردتِ الثبات فالزم جماعة السلف الصالح، ولا تحيد عنه، ولا تعش وحيدًا شريدًا ضالاً دون لزوم التمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله.

**(٨) الثقة بالطريق:**

**الثقة بالطريق إحدى وسائل الثبات على التوبة، فكلما ازدات الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم كان ثباته عليه أكبر ولهذا وسائل منها:**

إستشعار أن الطريق الذي تسلكه ليس جديدًا، ولا وليد قرنك وزمانك، وإنما هو طريق عتيق قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون. إذا استشعرت ذلك زالت غربتك وتبدلت وحشتك انسًا لأنك تشعر أن أولئك أخوة لك في الطريق المستقيم.

الشعور بالإصطفاء قال الله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾(٣) قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٤)، فكما

(١)سورة الأنعام آية ٣٩

(٢)رواه مسلم .

(٣) سورة النمل ٥٩ .

(٤) سورة فاطر آية ٣٢

أصطفى الله الأنبياء، فاعلم أن الصالحين لهم نصيب من الإصطفاء بما ورثوه من علوم الأنبياء فإثبت على الطريق.

**(٩) ممارسة الدعوة إلى الله:**

فالنفس أن لم تتحرك وتنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات الإنطلاق الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل ومخلصة النفس من العذاب، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعات شغلتك بالمعاصي. فالدعوة على المناهج الصحيح ولو باليسير كما قال النبي ﷺ " **بلَغوا عَنّي وَلَوْ آيِه**" [1] ، تقطع محاولات الشيطان بالإضلال، (**بلّغو**) تكليف و (**عَنّيِ**) تشريف و ( **وَلَوْ آيِهِ**) تخفيف. بالإضافة إلى أن ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق والمعاندين وأهل الباطل وهو يسير في مشواره الدعوي يرقى إيمانه، ويقوي أركانه . والدعوة بالإضافة إلى الأجر العظيم فهي وسيلة للثبات. والحماية من التراجع والتقهقر لأن الذي يهاجم لا يحتاج للدفاع. واعلم أن أعظم الصدقه الجارية الدعوة إلى الله وتحمل همَّ الدعوة إلى الله.

**(١٠) الإلتفاف حول العناصر المثبتة:**

إلزم وعش في أكناف العلماء والصالحين والدعاة، وإياك والوحدة فيخطفك الشياطين، فإنما يأكل الذئب من الغنم الشاردة.

**(١١) معرفة حقيقة الباطل وعدم الإغترار به:**

كما قال الله : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [2] فيها تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم.

الله تعالى يحذر، لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه، من النعمة والغبطة والسرور، فعما قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة، فإنما

---

(١) رواه البخاري .

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٦ .

نمد لهم فيما هم فيه إستدراجًا، والتقلب هو قدرة و حركة واتساع طموح وحين تقارن بين طالب الدنيا وطالب الآخرة نرى أن الصفقة تستحق أن تناقشها من نواحيها وهي كما يلي :

لاتقس عمر الدنيا بالنسبة لذاتها، فعمر الدنيا بالنسبة لك هو عمرك فيها، وعمرك فيها محدود، بل هو مطنون، لأن الموت يأتي بلا سن، وعمرك في الآخرة متيقن، وهو إلى الخلود، ونعيمك في الدنيا منوط بقدرتك على تصور النعمة وإمكاناتها، ولكن نعيمك في الآخرة على قدر عظمة ربك .

لذلك قال تعالى عنها أنها متاع الغرور ، فالذين يغترون بما يناله الخارجون عن منهج الله من تقلبهم في البلاد عليهم أن يتذكروا أن كل ذلك إلى زوال وضياع.

**(١٢) إستجماع الأخلاق المعنية على الثبات:**

وعلى رأسها الصبر، كما في الصحيحن " **مَا أُعْطِيَ أَحَدا عَطَاءً خَيْرٌ أَوْسَعُ مِنْ الْصَّبْرِ** "

ولي وقفة مع تلك الكلمة الجميل محياها، والعزيز نطقها، المر مزاقها، ما نطق بها اللسان إلا إستشعر القلب تبعاتها وهامت الجوارح في طيَّاتها، وتقلبت الأحداث في صفحاتها.

كلمة ثقيلة الحمل خفيفة الأثر.

كم كرهتها في طفولتي. وكم هي الآن سر سعادتي.

أرى أنه من حرم الصبر فقد حرم الخير كله.

إعلم أن: التحلي بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة صدر، وبقوة إرادة، وإن لم تصبر فماذا تصنع؟! هل عندك حل غير الصبر ؟! واصبر وما صبرك إلا بالله: أصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب، راغب في

تكفر السيئات، أصبر مهما أدلهمت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا، ولما كان الصبر نصف الإيمان، وخلقًا فاضلًا من إخلاق النفس المعينة على الثبات على التوبة. وعلى الطريق المستقيم، وقائدًا للنفس إلى طاعة الله صارفًا لها عن معصيته ..

كان ضروريًا أن نبين حقيقته، وفضله، وأنواعه، ومراتبه، وحال الناس مع الصبر، والأمور التي تقدح فيه وتنافيه في وقت كثرت فيه المصائب، وعمت الفتن، وزادت الشبهات، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، وصارت حالة الناس إلى الصبر لاتقل عن حاجتهم إلى الطعام والشراب، نسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على قضاءه وقدره إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**حقيقة الصبر** هي حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب، وقيل هو تجرع المرارة من غير تعبس، وهو قوي النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها. واعلم أن لله عليك عبودية في عافيتك وفي بلائك، فعليك أن تحسن صحبة العافية بالشكر، وأن تحسن صحبة البلاء بالصبر، والصبر لنفسك بمثابة الزمام لها، فهو الذي يقودها في سيرها إلى الجنة أو النار، فإن لم يكن للمطية زمام شردت في كل مكان، فرحم الله إمرءٍ جعل لنفسه زمام، فقادها بزمامها إلى طاعة الله، وصرفها عن معصية الله، فإن الصبر من محارم الله أيسر من الصبر على عذابه. فإن جعلت قوة إقدامك مصروفة إلى ما ينفعك، وقوة إحجامك إمساكًا عما يغرك، فقد حققت الصبر.

**وللصبر فضائل كثيرة عظيمة منها:** الله يضاعف أجر الصابرين على غيرهم ويوفيهم أجرهم بغير حساب، فكل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا

يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

والصابرون في معيه الله، فهو معهم بهدايته ونصره وفتحه، يقول الله -عز وجل: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

قال أحد السلف فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله المعية.

الصابرون يحبهم الله والدليل قول الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] وفي هذا أعظم ترغيب للراغبين.

والصبر خير لأهله كما يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[4] وقد جمع الله للصابرين أمور ثلاثة لم يجمعها لغيرهم ألا وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، والدليل قول الله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[5]. حقًا لما لا أصبر ! ثلاث خصال كل خصله منها خير من الدنيا وما فيها، وقد علق الفلاح في الدنيا والآخرة بالصبر فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[6].

وحالك في هذه الدنيا بين ثلاث أحوال، بين أمر ونهي وقضاء مقدور عليك. وأنت لا تنفك عن هذه الثلاثة مادمت مكلفًا، وتلك هي الثلاث التي أوصى بها لقمان ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ

---

(١) سورة االزمر آية ١٠

(٢) سورة الأنفال آية ٤٦

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٤) سورة النحل آية ١٢٦

(٥) سورة البقرة آية ١٥٥-١٥٧ .

(٦) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

## هذه هي أنواع الصبر الثلاث:

### صبر على طاعة الله:

فقد جلبت النفس على إيثار الراحة، ومحبة النظر، وعدم الجوع، والشح ..فكره الكثير الصلاة لما فيها من نشاط، وكره الصيام لما فيه من مخالفة للجبله، وكره الصدقة لما فيها من إنفاق يضاد الشح، وعلى هذا فقس ، فالصبر على الطاعات صبر على الشدائد، وأنت في حاجة إلى الصبر على طاعته قبل الشروع في الطاعة، وذلك بتصحيح النية والإخلاص، وعقد العزم على الوفاء بالمأمور به و نحوها، وتجنب دواعي الرياء والسمعة، ولهذا قدم الله عز وجل الصبر على العمل ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[2].

وصبر حال العمل (الطاعة) كي لا تغفل عن مطالعة الله وفضله ومنه وتوفيقه لهذه الطاعة، ولا يدخلك العجب، وهي شرك النفس، وكي لا تتكاسل عن تحقيق آدابه وسُنَّته وأركانه مثال الصلاة إذا تواجد الصبر اثناء أدائها صلحت وخشعت وإطمأنت، ولكيّ تصبر على إصطحاب النية، وحضور القلب بين يدي المعبود، وصبر بعد الفراغ من العمل (الطاعة)، وذلك الصبر عن إفشاءه والتظاهر به للرياء والسمعة، والصبر عن الإتيان بما يبطل عملك، والصبر في مجاهدة الشيطان أن تعجب بعملك، وتنتظر محمدة الناس، فتقع في شرك النفس، وشرك الأخرين من تلك الأمور التي تنافي الإخلاص ومؤداها بطلان العمل. كما يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾[3].

(١)سورة لقمان آية ١٧ .
(٢)سورة هود آية ١١ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٦٤ .

فالطاعة في حاجة إلى مجاهدة وصبر، سواء قبل الشروع فيها أو أثنائها أو بعدها، لذلك قال الرسول ﷺ : " **حَفَّتْ الْجَنَّة بِالْمَكَارِهِ** " [١]، أي بالأمور التي تشق على النفوس، وتحتاج إلى الصبر.

**صبر عن معصية الله:**

وهو حبس النفس عن متابعة الشهوات، وعن الوقوع فيما حرم الله، وهو أعظم ما يعين على ترك المألوف، ومفارقة كل ما يساعد على المعاصي، وقطع العادات، فالعادة طبيعة خاصة إذا أنضمت إلى الشهوة تظاهر جندان من جند الشيطان على جند الله، فلا يقوى باعث الدين على قهرها إلا بالصبر والمجاهدة.

**الصبر على البلاء:**

قضاء الله وقدره ، ويكون بحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، والتضرع إلى الله للخلاص وكان دعاء الحسن البصري عندما أراد الحجاج جلده: ياوليِّ نعمتي، وملاذي عند كربتي، إجعل نقمته بردًا وسلامًا عليَّ كما جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، فأكرمه أشد الكرم، فصبرك عن حدوث البلاء إعتراف منك لله تعالى بما أصاب منه وإحتسابه عنده، ورجاء ثوابه، وعن أم مسلمة قالت قال رسول الله ﷺ "**إذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرٌ مِّنْهَا**"[٢]، فلما حضر أبو سلمة الوفاة قال : اللهم أخلفني في أهلي خيرًا مني فقُبض، فقالت أم سلمه ( **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ اللَّهُمَّ اجِرْنِي فِي مُصِيبَتِيَ وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا** ) فانظر عاقبة الصبر، والاسترجاع ومتابعة هدي محمد ﷺ، والرضا عن الله، إلى ما آلت إليه ونالت الزواج من أكرم الخلق وسيد ولد آدم ﷺ .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

## ماهي مراتب الصبر؟ :

### صبر بالله وصبر لله وصبر مع الله؟ :

**فالصبر بالله** أن نستعين بالله في الصبر، وأن صبرك بربك لا بنفسك كما قال ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [(١)]، أي إن لم يصبرك الله من عنده لم تصبر بدافع من عندك، ليس عندك دوافع تجعلك تصبر.

**والصبر لله** أن يكون الباعث والدافع لك على الصبر موجود عندك، وهو محبة الله تعالى وإرادة وجهه والتقرب إليه.

**والصبر مع الله** هو دورانك مع مراد الله منك ومع أحكامه، صابرًا نفسك معها، سائرًا بسيرها، متوجهًا مع أقدار الله حيث شاء، ونزلت معها حيث نزلت، وجعلت نفسك وقفًا لله على أوامر الله، وهذا أشد أنواع الصبر وأصعبها يقين.

وحال الناس مع الصبر تختلف، فمنهم ما يكون قوة صبره على فعل الطاعات أقوى من قوة صبره عن البعد من المحرمات، فيصبر على مشقة الطاعة ولا صبر له عن دواعي الهوى وارتكاب ما نهى الله عنه، مثال يصبر على الصيام والقيام ولا يصبر على نظرة محرمة من فضائيات وغيره. ومنهم من صبره على المعاصي أقوى من قوة صبره على مشقة الطاعات ، مثال أن يصبر على نظرة محرمة وصورة عارية ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم من لا صبر له على هذا ولا هذا ، نسأل الله العفو والعافية.

### وهناك أمور تنافي الصبر وتقدح فيه :

الشكوى إلى المخلوق: إذا شكوت ربك إلى المخلوق الذي هو مثلك فقد شكوت الذي يرحم إلى الذي لا يرحم ، وهذا من عدم المعرفة بالله، فالله رحيم لطيف يعافي وبيده الضر والنفع، ولا ينافي الصبر الشكوى إلى الله، فقد شكا يعقوب عليه السلام إلى ربه

---

(١) سورة النحل آية ١٢٧ .

مع أنه وعد بالصبر فقال﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]. ولا ينافي الصبر إخبار المخلوق بحاله ، كإخبار المريض الطبيب بحاله أو إخبار المظلوم لمن ينتصر له إذا كان ذلك للإستعانة بإرشاده أو معاونته على زوال الضر ، ينافي الصبر الهلع والجزع عند المصيبة، وليس الجزع أن تدمع العين، ويحزن القلب، لكن الجزع القول السيء والظن السيء. قال أحد السلف مات ابن لي غالي فقلت لأمه إتقي الله، واحتسبي عند الله وإصبري ، فقالت مصيبتي به أعظم من أن أفسدها بالجزع، فالله درها . . . .

ينافى الصبر إظهار المصيبة والتحدث بها، فمن البر كتمان المصيبة والأمراض والصدقة، وقد قيل كتمان المصائب رأس الصبر.

ينافي الصبر شق الثياب، ولطم الخدود، وخمس الوجهه، ونتف الشعر، والضرب بإحدى اليدين على الأخرى، والدعاء بالويل ورفع الصوت عند المصيبة فالنبي برئ ممن يفعل ذلك.

ولا ينافى الصبر البكاء والحزن من غير صوت، ولا كلام محرم قال الله عن يعقوب﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾[2]، أي على الحزن فلم يقل إلا خيرًا.

### كلمات مضيئة:

*مرض أبو بكر ﷺ فعادوه. وقالوا : ألا ندعو لك طبيب؟ ، فقال: قد رآني الطبيب، قالوا :فأي شيء قال لك؟، قال : إني فعال لما أريد.

*قال عمر بن الخطاب ﷺ : وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال : أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً.

(١)سورة يوسف آية ٨٦ .
(٢)سورة يوسف آية ٨٤ .

*وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطِعَ الرأس بار الجسم ثم رفع صوته فقال: إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وقال الصبر مطيه لاتكبو.

*وقال الحسن الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

*وقال عمر بن عبد العزيز " ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما إنتزعه .

*وقال سليمان بن القاسم كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[1] . قال كالماء المنهمر.

*عن أبي صالح قال دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج، فبكى رجل فقال سعيد ما يبكيك؟! قال لما أصابك. قال فلا تبك كان في علم الله أن يكون هذا، وتلا ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[2].

* قال الذهبي: يروى أن الحجاج رئي في النوم، فقيل ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلة ، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة . نعم أليس الله بكاف عبده .

### (١٣) وصية صديق صالح:

عندما يتعرض المسلم لفتنه ويبتليه الله ليمحصه يكون من عوامل الثبات أن يقيض له صديق صالح يثبته فتكون كلمات ينتفع بها المسلم، ويسدد الخطى، فتكون هذه الكلمات مشحونه بذكر الله، ولقائه وجنته وناره.

---

(١)سورة الزمر آية ١٠

(٢)سورة الحديد آية ٢٢ .

**(١٤) التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت:**

* يقول أحد السلف: إن كنت لألقى الرجل من إخواني فأكون بلقياه عاملًا أيامًا.

* يقول آخر: كنت أنظر إلى أخ من إخواني الصالحين، فأعمل على رؤيته شهرًا.

الجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحطة رحال المؤمنين، فالنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهّون الصعاب، ويزلل لها ما في الطريق من عقبات و مشاق. فإذا علمت الأجر تهون عليك مشقة العمل وأنت تسير، وإذا لم تثبت فستفوت جنة عرضها كعرض السموات والأرض، فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم إن النفس تحتاج إلى من يرفعها من الطين الأرضي إلى العالم العلوي، ويجذبها إليه، كان النَّبي ﷺ يستخدم ذكْر الجنة في تثبيت الصحابة، وكذلك كان يقول للأنصار **"إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِىَ أَثَرِه (أَىُّ يُفَضِّلُ الرُّؤَسَاءِ أَنْفُسِهِمْ دُوْنِ الشَّعْبِ) فَاصْبِرُوَا حَتَّىَ تَلْقَوْنِي عَلَىَ الْحَوْضِ"**(١) .

كذلك اذكر حال الفريقين في القبر والحشر والحساب والميزان والصراط وسائر منازل الآخر. نعم لابد من التأمل في أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار وإقرأ عن النار وأهوالها وأنكالها وعن الجنة وأصناف نعيمها ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أنقل لك أحوال الفريقين وصفات الجنة والنار لابد لك من أن تتدبر الجنة ونعيمها، وجهنم وأهوالها وأنكالها (٢).

**قال الغزالي -رحمه الله- :** " يأيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الإنقضاء والزوال ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، وأصرف الفكر إلى موردك، فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع، إذ قيل

(١) رواه البخاري .

(١) انظر: « إحياء علوم الدين للغزالي» و« الترغيب والترهيب » و« الزهد للمنذري » و« الزهد والرقائق » لابن المبارك، و « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » لابن القيم، « والبداية والنهاية » لابن كثير.

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[1]. فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه.

وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأطلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، عند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق البراء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلًا: أين فلان ابن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل؟ المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرنه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولونه له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

فأُسكنوا دار ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيه الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي، وأسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من اكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يامالك! قد حق علينا الوعيد، يا مالك! قد اثقلنا الحديد، يا مالك! قد نضجت منا الجلود، يا مالك! اخرجنا منها فإنَّا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات! لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودن، فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرَّطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم، ولايغنيهم الأسف بل يكبون

(١)سورة مريم آية ٧١ - ٧٢ .
(٢)سورة الدخان آية ٤٩ .

على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم والنار من تتحتهم، والنار عن إيمانهم، والنار عن شمائلهم، فهم غرقى في النار، طعامهم نار، وشرابهم ولباسهم نار، ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران، وسرابيل القطران وضرب المقامع، وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقهم، ويتحطمون في دركاتها، ويضطربون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم، ويصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، تهشم بها جباههم، فيتفجر الصديد من أفواههم، وتتقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحقادهم، ويسقط من الوجنات لحومها .. وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون[١] .

**عمق جهنم وشدة حرها:**

عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال " **إِنَّ الْصَّخْرَةَ الْعَظِيْمَةَ لَتُلْقَي مِنْ شَفِيْرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوَى فِيْهَا سَبْعِيْنَ عَاما وَمَا تُفْضِيَ إِلَى قَرَارِهَا**"[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **كُنَّا عِنْدَ رَسُوْلِ الله ﷺ فَسَمِعْنَا وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَتَدْرُوْنَ مَا هَذَا ؟ " فَقُلْنَا : اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ " هَذَا حَجَرٌ أَرْسَلَهُ اللهُ فِي جَهَنَّمُ مُنْذُ سَبْعِيْنَ خَرِيْفا فَالآنَ حِيْنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**"[٣]، و " الوجبة " هي: صوت سقوط الشيء من مكان عال.

وجهنم سبعة أبواب، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[٤]، وقيل : المراد بالأبواب: الطباق، طبق فوق طبق.

---

(١) « إحياء علوم الدين » (٢٩٨٦ - ٢٩٨٨).
(٢) رواه مسلم (٢٩٦٧)، وهذا لفظ الترمذي (٢٥٧٥).
(٣) رواه مسلم (٢٨٤٤).
(٤) سورة الحجر آية ٤٣ - ٤٤ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١). قال : " هي حجارة من كبريت، خلقها الله - يوم خلق السموات والأرض - وفي السماء الدنيا، يَعُدّها للكافرين ".

وفي " الصحيحين " من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيْهَا وَتَقُوْلُ : هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيْهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُوْلُ قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ** " (٢)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) . قال " أما إني لست أقول : كالشجرة، ولكن : كالحصون والمدائن ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوْقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ، قَالُوْا: وَاللهِ إِنَّ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُوْلَ الله ، قَالَ: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْنَ جُزْءا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا** " (٤) .

**طعام أهل النار :**

قال الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ (٥)، الضريع : نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخباثته.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٦).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج. وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾

(١) سورة البقرة آية ٢٤، سورة التحريم آية ٦ .
(٢) رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٣) سورة المرسلات آية ٣٢ .
(٤) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)
(٥) سورة الغاشية آية ٦-٧ .
(٦) سورة المزمل آية ١٢-١٣ .

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [1].

وصف الله عز وجل شجرة الزقوم فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [2]. والشوب: هو الخلط والمزج، أي: يخلط الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة، والحميم المتناهي في اللهب والحرارة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [3]. فقال رسول الله ﷺ **" لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُّوْمِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا، لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُوْنُ طَعَامَهُ؟"** [4].

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [5]. قال ابن عباس: " الغلسين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم".

والتوفيق بين ما هاهنا وبين قوله: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ وقوله: ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ وقوله: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [ البقرة ١٧٤ ]، أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك، أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات، فمنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار، لكل منهم جزء مقسوم.

**شراب أهل النار:**

قال الله تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ

---

(١) سورة الواقعة آية ٥١-٥٦.
(٢) سورة الصافات آية ٦٦-٦٧.
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٢.
(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٨٥) وقال « هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد (٢٧٣٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٢٦)، وصححه الأرناؤوط في «تحقيق الأصول».
(٥) سورة الحاقة آية ٣٥-٣٦.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [(١)]، أي: يستقي من ماء صديد شديد النتانة والكثافة، فيتكرهه، ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [ محمد ١٥ ] والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يذاب الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم، كما قال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [(٣)].

**ملابس أهل النار:**

قال الله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [(٤)]. فقوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي: قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه، والقطران قيل فيه: ما يطلى به الجمل الأجرب.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ** "[(٥)].

---

(١) سورة إبراهيم آية ١٦-١٧ .
(٢) سورة الحج آية ٢٠-٢٢ .
(٣) سورة الكهف آية ٢٩ .
(٤) سورة إبراهيم آية ٥٠-٥١ .
(٥) رواه مسلم (٩٣٤). وقال النووي: " فيه دليل على تحريم النياحة، وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة ".

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾[1] ،فقوله ﴿ قُطِّعَتْ ﴾ أي: قدرت لهم على قدر جثثهم، لأن الثياب تقطع على مقدار بدن من يلبسها، وقيل: أنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار، والحق إجراء النظم القرآني على ظاهرة.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **مِنْهُمْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ** "[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" **أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**"[3].

### أسرة أهل النار:

قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[4]. أي: فرش من النار، ويلتحفون بألحفة من النار، عياذاً بالله من حالهم.

وقال تعالى :﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[5]. أي: أطباق وفراش ومهاد وسرادقات، وإطلاق الظلل عليها تهكما، وإلا فهي محرقة، والظلة تقي من النار كما قال تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾[6] .

### عظم أهل النار وبشاعة منظرهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **مَا بَيْنَ مَنْكِبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ**

(١) سورة الحج أية ١٩ .
(٢) رواه مسلم (٢٨٤٥).
(٣) رواه مسلم (٢١١).
(٤) سورة الأعراف أيه ٤١ .
(٥) سورة الزمر آية ١٦ .
(٦) سورة المرسلات آية ٣٠-٣١ .

لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ "(١)، والمنكب: هو الكتف.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ضِرْسُ الْكَافِرِ - أَيُّ: نَابِ الْكَافِرُ - مِثْلَ أُحُدٍ، وَغِلَظ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ "(٢).

**قال الحافظ المنذري:** " وقد ورد أن من هذه الأمة من يعظم في النار كما يعظم فيها الكفار، فروى ابن ماجة والحاكم وغيرهم من حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بُرْدَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَدَخَلَ عَلَيْنَا الْحَارِثُ بْنُ أُقَيْشٍ رضي الله عنه فَحَدَّثَنَا الْحَارِثُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرَ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا "(٣).

**فصل في ذكر بعض ألوان العذاب:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ اهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَ بُؤْسا قَطُّ؟ وَمَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ "(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: " مَنْ آتَهِ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ:

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥١).

قال النووي: « هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به ».

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٣٢٣)، رأحمد (٢٢١٧٥)، والحاكم (٢٣٨) وقال: " صحيح على شرط مسلم "، ووافقه الذهبي، وقال المنذري: " وإسناده جيد "، وصححه الألباني في تحقيقه على " سنن ابن ماجة " طبعة مشهور الأخيرة، واكن قد ضعفه في الطبعات السابقة وأيضا في ضعيف الترغيب والترهيب " (٢١٦٨).

(٤) ررواه مسلم (٢٨٠٧).

قال ابن الأثير: « فيصبغ» أي: ينغمس في النار أو الجنة غمسة كأنه يدخل فيها إدخالة واحدة.

مَثَّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ"[١]. واللهزمة: عظم ناتئ في اللحي، وفي رواية: " يفر منه ويتبعه، ويتقي منه فيلقم يده ثم يطوقه " وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٢].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال:" إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ"[٣].

وعن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٤] ، قال: " تأكلهم النار يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودن كما كانوا ".

**عذاب هل النار المعنوي:**

**من عذاب أهل النار المعنوي:** أن الملائكة تُبكِّتهم قبل أن يدخلوا منازلهم في النار، كما قال الله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴾[٥].

**ومن عذابهم المعنوي:** أنهم يلعن بعضهم بعضًا، ويسب بعضهم بعضًا قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾[٦]، ويتبرأ الكبراء من المستضعفين، ويقول المستضعفون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

(١) رواه البخاري (١٤٠٣، ٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).
(٢) سورة النساء آية ٥٦ .
(٣) رواه البخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).
(٤) سورة آل عمران آية ١٨٠ .
(٥) سورة الملك آية ٨-٩ .
(٦) سورة الأعراف آية ٣٨ .

ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[1].

**ومن عذابهم المعنوي:** أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزئون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان، ونجوا من غضب الملك الديان، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

**ومن عذابهم المعنوي كذلك:** أنهم يمنعون من الكلام، قال محمد بن كعب: "لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا يقولون: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[4].. ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[5].. فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ ﴾[6].. فيقولون: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ ﴾[7]... فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ

(١) سورة البقرة آية ١٦٧ .
(٢) سورة ص آية ٦٢-٦٣ .
(٣) سورة غافر آية ١١ .
(٤) سورة غافر آية ١٢ .
(٥) سورة السجدة آية ١٢ .
(٦) سورة إبراهيم آية ٤٤ .
(٧) سورة فاطر آية ٣٧ .

وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]..ثـم يقولون: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2]..فيجيبهم الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[3] .. فلا يتكلمون بعدها أبدًا، وذلك غاية شدة العذاب ".

قال مالك بن أنس رضي الله عنه : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[4]. قال: صبروا مائة سُنَّة، ثم جزعوا مائة سُنَّة، ثم صبروا مائة سُنَّة، ثم قالوا: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " **يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُوْدٌ فَلَا مُوَتَّ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُوْدٌ فَلَا مَوْتَ** "[5] .

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها ومحنها وحسرتها لا نهاية له وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أيامًا قصيرة وكانت غير صافية كانت مكدرة منغصة، فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه كيف أهلكنا

(١) سورة فاطر آية ٣٧.

(٢) سورة المؤمنين آية ١٠٦-١٠٧.

(٣) سورة المؤمنين آية ١٠٨.

(٤) سورة إبراهيم آية ٢١.

(٥) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

قال ابن الأثير: « الأملح: المختلط البياض والسواد، قوله: فيذبح: شبه اليأس من مفارقة الحالتين في الجنة والنار والخلود فيها بحيوان يذبح فيموت، فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود، وكذلك أهل الجنة والنار بعدد الاستقرار فيهما وإخراج من يخرجه الله من النار في اليأس من مفارقة حالتهما وانقطاع الرجاء من زوالها » .

أنفسنا بعصيان ربنا؟ وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أيامًا قلائل؟ لو صبرنا لكانت أنقطعت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العاليمن متنعمين بالرضا والرضوان، فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم، وبلوا بما بلوا به، ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها، واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلًا لا يزيدون ولا ينقصون، وأن هذا أمر قد قضي وفرغ منه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (١). ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة، بل في ازل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتنشغل بمحقرات الدنيا ولست تدري بماذا سبق القضاء في حقي؟ فإن قلت: فليت شعري ماذا موردي؟؟ وإلى ماذا مآلي ومرجعي؟، وما الذي سبق به القضاء في حقي؟ فإن قلت: علامة تستأنس بها صدق رجاءك بسببها، وهي: أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلاًّ مُيسر لما خلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مُبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيرًا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعك، ولا تقصد شرًا إلا وتتيسر لك أسبابه، فاعلم أنك مقضي عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة الدخان على النار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ (٢) فأعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين، والله أعلم.

## صفة الجنة وأصناف نعيمها:

**قال الغزالي -رحمه الله- ما ملخصه:** " اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخري، فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى،فاستَثِرْ الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستَثِرْ الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم لأهل الجنان، وسق نفسك بسوط الخوف،

---

(١) سورة مريم آية ٣٩.
(٢) سورة الانفطار آية ١٣-١٤.

وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل، ومحفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان، كأنهن الياقوت والمرجان، ولم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان آمنات من الهرم مقصورات في الخيام.

ثم يُطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ جزاء بما كانوا يعملون، في مقام أمين ﴿ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة، بل عباد مكرمون، وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون فهم يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنًا وخمرًا وعسلًا.

فيا عجبًا ممن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان، لكان جديرًا بأن تهجر الدنيا بسببها، وألا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون، وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر إلى وجه الله مالا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتوه وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون.

---

(١) سورة القمر آية ٥٤-٥٥ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يُنَادِيْ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوْا فَلَا تَسْقَمُوْا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوْتُوْا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوْا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ الأعراف ٤٣ ] "[١].

**فصل في أن الجنة ما يخطر بالبال**، أو يدور في الخيال وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِيْنَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِيْ كِتَابِ اللهِ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [ السجدة ١٧ ] "[٢].

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل وليس الخمر كالخمر وليس العنب كالعنب ".

ومهما قرأت في وصف نعيمها وخطر نعيمها ببالك من متاعها وعجائبها، فهي أعجب مما قرأت، وأطيب مما خطر على قلبك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ "[٣].

**قال ابن القيم -رحمه الله تعالى -:**

" وكيف يقدر قدر دار خلقها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير وأودعها

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٢٩٩٧ - ٢٩٩٩) باختصار وتصرف، والحديث رواه مسلم (٢٨٣٧).
(٢) رواه البخاري (٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤).
(٣) رواه البخاري (٣٢٥٣)، ورواه مسلم بلفظ: « لغدوة في سبيل الله أو روحة » (١٨٨٢).

الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب أو فضة، لا من الحطب والخشب وإن سألت عن ثمارها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل ، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فإنها ﴿ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١)".



(١) سورة محمد آية ١٥ .

## بيان صفة أبواب الجنة ودرجاتها وأبنيتها :

### أبواب الجنة:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ مِنْهَا يُسَمَّىٰ الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَا الصَّائِمُوْنَ"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ "، فَقَالَ أَبُوْ بَكْرٍ: وَاللهِ يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ ضَرُوْرَةٍ مِنْ أَيِّهَا دُعِيَ، فَهَلْ يُدْعَىٰ مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: " نَعَمْ وَإِنِّي أَرْجُوْ أَنْ تَكُوْنَ مِنْهُمْ" (٢).

### درجات الجنة:

وفي " الصحيحين " عنه ﷺ أنه قال: " الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ "، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا غَايَةٌ فِي الْعُلُوِّ وَالارْتِفَاعِ - والله أعلم- والحديث له لفظان هذا أحدهما، والثاني: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيلِهِ"(٣).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "(٤) أي : من جملة أسمائه هذا القدر، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين، ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق

(١) رواه البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢) بلفظ: « في الجنة باب يقال له الريان » .
(٢) رواه البخاري (١٨٩٧، ٢٨٤١، ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).
(٣) رواه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣)، ومسلم (١٨٨٤).
(٤) رواه البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد، والجنة مقببة أعلاها وأوسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: " **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ** "(١). كما أفاد ابن كثير -رحمه الله-.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ لِلدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** "(٢).

**أبنية الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ الزمر ٢٠ ]. فأخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلا ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضا** "(٣).

وعن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ " **هَذِهِ قَدْ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ إِدَامٌ وَطَعَامٌ وَشَرَبٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ** "(٤). والقصب هاهنا: قصب

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣)، ومسلم (١٨٨٤)، وهو جزء من الحديث قبل السابق.

(٢) رواه البخاري (٦٥٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٣) رواه البخاري (٣٢٤٣، ٤٨٨٠)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٤) رواه البخاري (٣٨٢١، ٧٤٩٧)، ومسلم (٢٤٣٢، ٢٤٣٣).

والمراد « بالبيت» هنا القصر، و «الصخب» : الصوت المرتفع، و «النصب « : المشقة والتعب.

اللؤلؤ المجوف، قيل: لأنها حازت قصب السبق في التصديق برسول الله ﷺ فكان جزاؤها قصرًا من قصب.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟، قَالُوا لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**"[١].

**طعام أهل الجنة:**

قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) ﴾[٢].. أما فاكهة الجنة فقد قال تعالى في وصفها: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾[٣]..

قال ابن جرير -رحمه الله-: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ ﴾ من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا، وقيل كذلك ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ قال الحسن " خيار كله لا رَذَل، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه " وقال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) ﴾[٤].. أي: لا تكون في وقت دون وقت ولا تمنع ممن أرادها وقال تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) ﴾[٥].. قال ابن عباس رضي الله عنهما: " إذا هَمَّ أن يتناول من ثمرها تدلت له حتى يتناول ما يريد".

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: **مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: " ذَاكَ نَهْرٌ أَعطَانِيْهِ الله - يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ - أَشَدُّ بَيَاضا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فِيهَا**

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٢، ٣٦٨٠، ٧٠٢٣، ٧٠٢٥)ـ ومسلم بمعناه (٢٣٩٥) عن جابر رضي الله عنه.
(٢) سورة الواقعة آية ٢٠- ٢١.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥.
(٤) سورة الواقعة آية ٣٢- ٣٣.
(٥) سورة الإنسان آية ١٤.

طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ "(١). قال عمر: إن هذه لناعمة قال رسول الله ﷺ : " أَكَلَتُهَا أَحْسَنَ مِنْهَا "(٢).

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَيَشْرَبُوْنَ ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ طَعَامِهِمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرِيْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيْرَ كَمَا تَلْهُوَنَّ النَّفْسَ "(٣).

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : " كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ احْبَارْ الْيَهُوْدُ فَذَكَرَ أَسْئِلَةً إِلَى أَنْ قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ إِجَازَةٍ؟ يَعْنِيْ: عَلَى الصِّرَاطِ. فَقَالَ: " فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِيْنَ" قَالَ الْيَهُوْدِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِيْنَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ " زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوْتِ " قَالَ : فَمَا غَذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: " يَنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِىْ كَانَ يَأْكُلُ فِىْ أَطْرَافِهَا " قَالَ: شَرَابُهِمْ عَلَيْهِ؟، قَالَ: " مِنْ عَيْنٍ فِيْهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيْلا " فَقَالَ صَدَقْتَ(٤).

**شراب أهل الجنة:**

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ (٥). والكأس: هو الإناء الذي فيه الشراب، ويطلق كذلك على نفس الخمر، كما قال بعضهم:

وكـــأس شربـــت عـــلى لـــذة ∴ وأخـــــرى تـــداويـــت منها بها

---

(١) الجزر: جمع جزور وهو الجمل.

(٢) حسن صحيح: رواه الترمذي (٢٥٤٢) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الألباني: « حسن صحيح».

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٥).

(٤) رواه البخاري (٣٩٣٨)، ومسلم (٣١٥) بزيادة في اوله وآخره.
قوله «زيادة كبد الحوت» الزيادة هي طرف الكبد وهو أطيبها.

(٥) سورة الإنسان آية ٥- ٦ .

قوله: ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ أي: يخالطها وتمزج به، قال مقاتل: "ليس هو كافور الدنيا، وإنما سمى ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب" وقوله ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أي: يجرونها إلى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاؤون.

وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾[١].. أي: كأسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل، وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته.

وقال تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[٢].. والمعني: أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا قال أبو قلابة وإبراهيم النخعي: يؤتون بالطعام فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور، فتضمر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من ابدانهم مثل ريح المسك.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: **"جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! تَزْعُمُ أَنَّ اهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ" قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَذىً، قَالَ: "تَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِمْ رَشْحًا يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ"**[٣].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[٤]. قال: "هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلًا من أهل الدنيا أدخل يده فيه

---

(١) سورة الإنسان آية ١٧.
(٢) سورة الإنسان آية ٢١.
(٣) صحيح: رواه أحمد (١٨٧٨٣)، والنسائي في «الكبري» (١١٤٧٨)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٦/٢٩٦ - ٢٩٧): «رواتهامحتج بهم في الصحيح». قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤١٦): «ورواه البزار، ورجال أحمد والرزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢٧).
(٤) سورة المطففين آية ٢٦.

ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها ".

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول تعال: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].. قال:" يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفًا".

**ثياب أهل الجنة:** قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[3].

**قال جماعة من المفسرين:** " السندس مارق من الحرير والإستبرق: ما غلظ منه" وقال طائفة: " ليس المراد به هو الغليظ ولكن المراد به الضيق " وقال الزجاج: "هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان: الأخضر والبن اللباس الحريرة فجمع بين حسن منظر اللباس والْتِذاذ العين به بين نعومته والْتِذاذ الجسم به " .

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " **أَهْدَى لِرَسُوْلِ الله ﷺ ثَوْبَ حَرِّيَر فَجَعَلُوْا يَعْجَبُوْنَ مِنْ لِيْنِه فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ : " تَعْجَبُوْنَ مِنْ هَذَا؟ ، لَمَنَادِيْلُ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا** "[4]. أي: أن المنديل الذي يمسح به يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك.

وقال ﷺ : " **تَبْلُغَ الحِلْيَةُ مِنْ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوْءُ** "[5] .

---

(١)سورة المطففين آية ٢٧- ٢٨ .
(٢)سورة فاطر آية ٣٣ .
(٣)سورة الكهف آية ٣١ .
(٤) رواه البخاري (٣٨٠٢) ومسلم (٢٤٦٨).
(٥) رواه مسلم (٢٥٠).

وعند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: " **مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ** "(١)..

**صفة أهل الجنة:**

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: " **يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدًا مُرْدًا كَأَنَّهُمْ مُكَحَّلُونَ أَبْنَاءُ ثَلاثٍ وَثَلاثِيْنَ** "(٢) .

قوله " جردًا " أي: بدون شعر على أجسادهم وقوله " مردًا " بدون لحية.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : "**عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُّونَ ذِرَاعًا** "(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ** "(٤) .

وأما الأخلاق فقد قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(٥).

فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم، وفي حديث " الصحيحين " " **لَا اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُوْنَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيا** "(٦) .

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٦).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٥٤٥) وقال « حسن غريب » ورواه احمد (٧٨٧٤، ٨٣١٩، ٩١١١، ٢١٦٠) وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٦، ٣٣٢٧، ٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٣٤، ٢٨٤١).

(٤) روايات للحديث السابق عندهما والألوة : العود الهندي.

(٥) سورة الحجر آية ٤٧ .

(٦) رواه البخاري (٣٢٤٥، ٣٢٤٦) ومسلم (٢٨٣٤) وهو رواية للحديث السابق.

**أدنى أهل الجنة منزلة:**

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ مُوْسَىْ سَأَلَ رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِئُ بَعْدُ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَقَالَ لَهُ" أَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُوْلُ أَىْ رَبِّ! كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُوْنَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوْكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُوْلُ: رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُوْلُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِى الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُوْلُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُوْلُ رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُوْلُ: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِى وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَعَيْنَ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "[١].

**نساء الجنة:**

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢].

جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه والأزواج المطهرة: هي التي طُهِّرت من المحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، وطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطُهِّر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمع به إلى غير زوجها.

---

(١) رواه البخاري بمعناه مختصرًا (٦٥٧١) ومسلم (١٨٩).

(٢) سورة البقرة آية ٢٥.

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[1] ، والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[2] . أي: قصرّن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقوله: ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ قال ابن عباس وسائر المفسرين " مستويات على سن واحد وميلاد واحد وبنات ثلاث وثلاثين سَنَة ".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " **لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ - يَعْنِي: سَوْطَهُ - مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَوْ أَنَّ إِمْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أُطْلِعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**"[3]. والنصيف هو الخمار أي غطاء الرأس، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ " **إِنَ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ أَمْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ إِثْنَتَانِ يَرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ** "[4].

## النظر إلى وجه الله عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[5] .

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[6] . وهذه الزيادة: هي النظر إلى

(١) سورة الدخان آية ٥٤ .
(٢) سورة ص آية ٥٢ .
(٣) متفق عليه وقد سبق تخرجه (ص: ١٤٣، وص: ٢٤٧).
(٤) رواه مسلم (٢٨٣٤).
(٥) سورة القيامة آية ٢٢-٢٣ .
(٦) سورة يونس آية ٢٦ .

وجه الله عز وجل والحسني: هي الجنة.

عن صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: " **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ وَنَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيْدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُوْلُوْنَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِيْنَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوْهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ! قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُوْنَ إِلَيْهِ فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ** " (١).

وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمة وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء.

كما أنه تذكر الموت يحمي المؤمن من التردي ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها، لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شراك نعله وأن ساعته قد تكون بعد لحظات فكيف تسول له نفسه أن يزل أو يتمادى في المعصية لذلك قال رسول الله ﷺ : " **أَكْثِرُوْا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ** " من رواية أبو هريرة رضي الله عنه (٢).

نسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد. فإن الغفلة عن الآخرة هي عائق كل خير وبر وجالب لكل فتنة وشر. لذلك قال النبي ﷺ : " **زُوْرُوا الْقُبُوْرَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ -وَفِيْ رِوَايَةٍ- فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ** " (٣).

هذا للرجال ، فذكر الموت والآخرة مقامع للشهوات وموقظات من الغفلات واعلم أنه لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين الأول النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها وما في ذلك من النكد ثم الزوال والانقطاع.

(١) رواه مسلم (١٨١).
(٢)رواه الترمذي في ٢٢٨٤ والنسائي في الصغرى ١٨٠٠
(٣) سُنن ابن ماجة ..

فمطالبها لا تنفك من هم قبل حصولها وهم حال الظفر بها وحزن بعد فواتها النظر الثاني النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها لابد ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات فهى خيرات كاملة دائمة ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ فإذا تأملت في النظر إن آثرت الآخرة وزهدت في الدنيا والكل مجبول على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة إلا إذا تبين فضل الأجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى والأفضل. فإذا فضل الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له وإما لعدم رغبة في الأفضل وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة.

أنتهينا من كيفية صلاح القلوب بالقرآن والتوبة والآن ما هي علامات صحة القلب وصلاحه؟!.

**علامات صحة القلب:**

* من علامات صحة القلب، ومحبة الرب تبارك وتعالى ذكر الله على الدوام، فإن القلوب كالقدور، وألسنتها مغارفها، فاللسان يخرج ما في القلب من حلو أو حنظل، فإذا إمتلأ القلب بحب الله تعالى نطق اللسان بالذكر، وإذا امتلأ بغير ذلك من التعلق بغير الله نطق اللسان بالغيبة والنميمة والفحش والبذاء.

* من علامات صحته أنه لا يزال يلحُّ على صاحبه حتى ينيب إلى الله، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له، ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا رضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن ويأوي، وبه يفرح وعليه يتوكل، وبه يثق، وأياه يرجو، ومنه يخاف، فذكره قوته وغذائه، ومحبته والشوق إليه حياته، والإلتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواءه.

* ومن علامات صحته أن يتعب الجسد في الخدمة ولا يملُّ القلب، فمن أحب الله أحب خدمته، وصارت قوت قلبه، وغذاء نفسه، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي

حتى ترم قدماه فيقال له في ذلك قال : " **أَفَلَا أَكُوْنُ عَبْدا شَكُوْرًا** " (١).

* من علامات صحته أن يحن صاحبه إلى الخدمة، ويشتاق إليها، أكثر من حنين الجائع إلى الطعام والشراب، فإن العبد إذا ذاق حلاوة معاملة الله تعالى بالمداومة على الطاعات، أحب الطاعة، فلا يستغني عنها، فإذا وجد نفسه معطلًا في غير طاعة الله، ضاق عليه صدره، ووجد دافعًا يدفعه من داخله إلى طاعة الله تعالى .

*ومن علامات صحته أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همَّه وغمَّه بالدنيا، ووجد فيها راحته ونعيمه، كما قال ﷺ " **جَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنَىَّ فِى الْصَّلَاةِ** " (٢) .

*ومن علامات صحته أن يكون أشح بوقته أن يذهب في غير طاعة رسول الله ﷺ، قال " **مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله الْعَظِيْم وَبِحَمْدِه ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَهُ فِى الْجَنَّة**"(٣)، فانظر إلى مضيِّع الساعات كم يفوته من النخيل!! وقال ﷺ : " **أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُوْنَ عَلَيْهِ، أَمَّا أَنِّى لَا أَقُوْلُ (أَلَّمْ) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ عَشَرَ، وَلَامٌ عَشَرَ، وَمِيْمٌ عَشَرَ، حُسْنَةٌ** " (٤).

فسليم القلب الذي يستقبل هذا الكلام استقبالًا سليمًا لا يسعه إلا أن يملاء أوقاته بطاعة الله، ويبخل بالوقت أن ينفق في غير طاعة الله، فيكون أشح بذلك من أشد الناس بخلًا بماله.

*ومن علامات صحتَه أن يكون إهتمامه بتصحيح العمل أكثر من إهتمامه بالعمل ذاته، فإن العبرة ليست في كثرة العمل، ولكن العبرة في حسن العمل، وحفظه مما يحبطه، فيحرص على الإخلاص والمتابعة في كل عمل، يشاهد منه الله عليه، وتقصيره في حق ربه تبارك وتعالى، ثم لا يمن بالعمل على ربه، أو على الناس

(١)رواه البخاري ومسلم .
(٢)صححه الألباني في صحيح الجامع .
(٣)رواه الترمذي .
(٤)حسنه الألباني في صحيحه .

أو يصيبه بذلك العمل عجب أو كبر.

*من علامات صحته أنه إذا فاته ورد أو طاعة من الطاعات، وجد لذلك حسرة أكثر مما يجد الحريص إذا فقد أهله وماله، لعلمه أنها خسارة في الآخرة، فيتألم لفوات الخير فيها.

*ومن علامات صحته أن يجعل العبد همه واحدًا، يجعله في طاعة الله تعالى، قال ﷺ " **مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْه أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَه، وَلَمْ يَأْته منْ الدُّنْيَا إلَّا مَا كُتبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخرَةُ نيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غنَاهُ في قَلْبه، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهيَ رَاغمَةٌ** " (١) .

*من علامات صحته أن يأنس بالله تعالى، ويستوحش من غيره، إلا عبد يدل عليه، أو يذكره به، فمن كان فاضلًا في نفسه أحب الخلوة، وإذا خلا أنس بالله تعالى وسعد بالله تعالى والعكس بالعكس.

*ومن علامات صحته أن يكون كلام الله تعالى والكلام عنه أحب شيء إلى قلبه، كما قال بن مسعود رضي الله عنه أنه قال "**منَ كَانَ يُحبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحبُّ الله، فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهَ عَلَىَ الْقُرْآنِ، فَإنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَإنَّهُ يُحبُّ الله، فَإنَّمَا الْقُرْآنَ كَلَامُ الله** ".

فيا من تفتش عن صلاح قلبك ها هى علامات صلاحه، ويا من تبحث عن الحياة الطيبة ها هي خطوة من الخطوات إلى الحياة الطيبة قد مهدت أمامك، فسر على الدرب ليعلم الله منك صدق الطلب، ومن صدق الله صدقه الله، وكما أن للقلب علامات لصلاحه، فإن هناك علامات لمرضه .

**من علامات مرض القلب :**

١ _ أن يتعذر على العبد ما خلق له من معرفة ربه، ومحبته والشوق اليه والإنابة اليه، وإيثار ذلك على هوى نفسه ، فيقدم العبد حظه وشهوته على طاعة الله ومحبته، وكلما هوى شيئًا ركبه، فيحيا حياة البهائم لايعرف ربه، ولا يعبده بامره ولا

(١)رواه ابن ماجه وابن حبان .

نهيه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾(١).

٢ _ ومن علامات مرضه أن صاحبه لاتؤلمه جراحات المعاصي، فالقلب الصحيح يتوجع بالمعصيه ويتألم لها، فيحدث له ذلك توبة وإنابه إلى ربه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾(٣) أي ذكروا عظمة الله، ووعيده فأتبعوا الذنب توبة.

٣ _ ومن علامات مرضه أن صاحبه لا يؤلمه جهله بالحق، فان القلب السليم يؤلمه جهله بالحق، وورود الشبهات عليه، فالجهل من أكبر المصائب التي يتألم بها من كان له قلب حى، سئل أحد العارفين أي شئ أقبح من الجهل؟ قال الجهل بالجهل، فصدق لأنه يسد باب العلم بالكلية.

٤ _ ومن علامات مرضه عدم الحرص على ما ينفعه. وميله إلى السموم الضارة، كما يعرض اكثر الناس عن سماع القران الذي أخبر عنه ربنا تبارك وتعالى، فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤)، ويستمعون إلى الغناء الذي ينبت النفاق في القلب، ويحرك الشهوات.

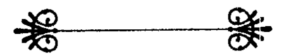
٥ _ ومن علامات مرضه أن يطمئن صاحبه إلى الدنيا، ويرضى بها ولايحس فيها بغربه، ولا يرجو الآخرة، ولا يسعى لها سعيها، وكلما صح القلب من مرضه إستعد للآخرة وهام في الرحيل اليها.

---

(١) سورة محمد آية ١٢
(٢) سورة الأعراف آية ٢٠١.
(٣) سورة آل عمران آية ١٣٥.
(٤) سورة الإسراء آية ٨٢.

## الخطوة الثالثة

# الحذر من فتن الدنيا



كما علمت الهدف الرئيس لهذا الكتاب، كيف السبيل إلى الحياة الطبيعة؟، وفي كل موضوع نطرحه تخطو خطوة إلى تلك الحياة، التي ينشدها الجميع، ولا يدرون كيف الوصول إليها.

تكلمنا عن الصلاة كخطوة أولى للحياة الطيبة، ومن بداية أن البعض يهملها إلى أن عرفنا كيف تكون هذه الصلاة قرة العين كما كانت لرسول الله ﷺ، ومستراح للقلب كما كان ﷺ يقول أرحنا بها يابلال، تعلمنا المشاهد الستة التي تجعل من صلاتي قرة عيني و أولها الإخلاص، وأجبنا على السؤال لماذ لا أشعر بلذة الصلاة كما كانوا يشعرون فكان العائق الأول ضعف الإخلاص والمراقبة، من هنا كان لابد أن نتكلم بشكل أدق عن الإخلاص لأنه وسيلة للرقي بالصلاة، ثم تكلمنا عن الخطوة الثانية ألا وهي إصلاح القلوب ووسائله الإنتفاع بالقرآن والتوبة، وشرحنا الموضوعين بالتفصيل الشامل.

والآن بين أيدينا خطوة ثالثة، وهي الحذر من فتن الدنيا، وهي خطوة مهمة جدًا، تكلم وألحَّ فيها القرآن، ووضعها بما لم يدع معه طريقًا للحيرة والضياع. فصَّل في سور متعددة وفي أحاديث شريفة، هذه القضية الكبرى في تناسق وتكامل ما هو موجزه أن الحياة الدنيا دار إبتلاء وتمحيص، يؤمُّها العدل، حيث يتعرض كل بني آدم، أيًا كان جنسه ولونه وطبقته لهذا الإختبار كاملًا مستوفيًا عمله ورزقه وأجله. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا**

**اللَّهَ وَأَجْمِلُوْا فِي الطَّلَبِ، خُذُوْا مَا حَلَّ وَدَعُوَا مَا حَرُمَ"** [(١)].

**ولماذا الإختبار؟!:**

وهذا الاختبار لتقوم الحجة يوم القيامة لك أو عليك، وقد زودك الله بكل ما تحتاجه مع في هذا الإختبار زودك بالإيمان والتوحيد حيث جبل فطرتك عليها، وزودك بالسمع والبصر والفؤاد، تلك وسائل الإدرك المعينة.

وبث آيات في الكون، هي بمثابة هداية الدلالة على مر العصور حتى تقوم الساعة ، وبعث الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين.

وأهداك القرآن ذلك المنهج الرباني، الذي فيه نباء ما قبلنا، وحكم ما بيننا، وخبر ما بعدنا، من تكلم به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم، ومن إبتغى الهدى في غيره قصمه الله...ذلك النهج الرباني هو قانون الشريعة الإسلامية وهو قدوتنا وإمامنا في حياتنا، به نهتدي، واليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، سعادتنا في سلوك سننه واتباع منهجه، وشقاوتنا في تنكب طريقه والبعد عن تعاليمه...

مع هذا الزاد الرباني الذي وهبه الله لك يسهل عليك إذا صدقت النيه، وصح منك الود والعزم، أن تجتاز هذا الإختبار بخطوات ثابته، واثقة في سبيل حياة طيبة، يهبها الله لك حين علم منك الصدق في الطلب.

إذن أين المشكلة؟! عليك أن تفهم حقيقة الدنيا، و أن تدرك مزالقها وأخطارها، حتى لا تنزلق قدمك في أوحالها، وحتى تسير على هدى من الله ونور، وتصل إلى الغاية المنشودة، وترقى ببشريتك إلى هدفها الأسمى، وهو الفلاح في الإبتلاء، والفوز برضا الرحمن، والعيش في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فإن أخي من لم يعش جنة الدنيا لن يعيش جنة الآخرة، ولن تؤتي الحياة الطيبة أكلها في نهاية الإختبار،

(١)رواه بن ماجة (٢١٦٠).

بل أثنائه لأنه لا ينتهي الإختبار في هذه الحياة الدنيا حتى ينتهي قبله أجلك.

قد يقول قائل أعيش حياة طيبة مع البلاء والتمحيص؟! ، نعم ثم في الآخرة جنات نعيم، ترى وجه ربك الكريم، ولكن تسلَّح بما سبق من زاد ربك، مع معرفة قوية لحقيقة المكان الذي تؤدي عليه الإختبار، لأنه فيه حفر وقيعان، ويسكنه مردة وشيطان، ولن يدعك تؤدي مرادات الله منك كاملة، ولن يدعك تحصل على درجة الإمتياز في ذلك الإختبار إلا إذا كنت فطنًا، دارسًا لنشاطك وعطاءك، سائرًا مطمئنًا على الدرب، أهو درب النجاة أم درب الهلاك.

توالت الآيات في القرآن التي تعرض **منزلة الحياة الدنيا**، وأنها ليست الحياة الحقيقة. وأقرأ قوله الله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، هذا التفصيل وهذا التحذير لن ينفع إلا من يتفكر ويعقل، فمن وجد في أخراه خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه، إي والله لا يلومنَّ إلا نفسه، لأن الأمر واضح بيِّن ، كما يقول رسول الله ﷺ أيضا " **وَأَيْمُ الله لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىَ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ** "، إقر قول الله البيِّن الواضح في حقيقة الدنيا، والله ما غاص في وحلها إلى كافر فاسق زنديق، الحمق أولى به، بعد هذا البيان الصريح من رب العزة تبارك وتعالى .

يقول الله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ

(١) سورة يونس آية ٢٤

إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[٢].

فجعل الله هذه الحياة الدنيا بلعبها ولهوها وابتلائها وتمحيصها إختبار لك فجنة أو نار. إختبار لك ليعلم الله منك هل تؤثر رضاه وطاعته، وتوقن بوعده، وتستجيب لأمره، وتشمر للغايه التي من أجلها أوجدت بشريتك، أم أنك تتبع شهواتك، وتؤثر رغباتك، وتستجيب لأمر الشيطان، تستسلم للنفس الآمارة بالسوء؟!.

وهذه بعض آيات من كتاب ربك، لينير لك الطريق، فأحمل معك المصباح المنير، وأنت سائر في حياتك الدنيا، حتى لا تتخبط في ظلمات الشهوات والشبهات.

وحبيبك محمد ﷺ أوضح قيمة الدنيا في كلمات المضيئة، وأحاديث شريفة مضيئة، لتعينك على الطريق، يقول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **" إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ "** [٣].

ويقول ﷺ عن المستور بن شداد رضي الله عنه، قال كنت مع الركب الذين وقفوا مع النبي ﷺ على السلخة الميتة، فقال رسول الله ﷺ **" أَتَرَوْنَ هَذِه هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِيْنَ أَلْقَوْهَا؟! ، قَالُوْا : مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُوْلَ اللهِ! قَالَ فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا "**[٤].

---

(١) سورة الحديد آية ٢٠ .
(٢) سورة الملك آية ٢، ١
(٣) رواه مسلم والترمذي (٢٧٤٢) / (٢١٩٢) .
(٤) رواه مسلم (٢٩٥٧)

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " **لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُعَادِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بِعوَضِهِ، لِمَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا شُرْبِهِ مَاءً**" [١].

لابد لك أن تعود إلى منهاج الله، لتجد هناك الصور الكاملة المتناسقة لحقيقة هذه الحياة الدنيا، وهوانها على الله، لتتعرف تفصيلات أبواب الفتنة فيها. فتدبر آيات الله، وأحاديث رسوله ﷺ، حتى تحقق الغاية المنشودة منها وخذ منهما الزاد الحقيقي الكامل الذي يلزمك في الطريق في هذه الحياة الدنيا.

أما وقد عرفت منزلة الحياة الدنيا وهوانها عند الله، نعم الدنيا هينة عند الله ولو كانت محبوبة إلى الله ما حرم منها نبيه ﷺ فالدنيا ملعونه ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، وإلا وعالم ومتعلم، إذا أيقنت ذلك فلابد لك أن تعرف أبواب الفتنة فيها لتكون مؤمنًا واعيًا حذرًا مدركًا لحقيقة الخطر الذي يحوطك. جمع الله أبواب الفتنة في آيه . هي شهوات تأخذ صورًا متعددة في الحياة الدنيا، فيظل قلب الإنسان يجري ورائها ويلهث، حتى يدرك في الآخرة أنه كان يجري وراء سراب.. اقرأ قول الله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٢]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "**حَفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** " [٣].

**الابتلاء في تصوره الدقيق :**

هذا هو الإبتلاء في تصويره الدقيق مكاره وشهوات، أما المكاره فهي ما يصيب الإنسان من نوئب الليالى، فالمؤمن يصبر محتسبًا ذلك عند الله فينال الأجر، والكافر تفتنه هذه المكارة لتكشف حقيقته، وتقيم عليه الحجة. وأما الشهوات فيمكن أن

(١)رواه الترمذي (٢٣٢٢) .

(٢)سورة آل عمران آية ١٤ .

(٣)رواه مسلم(٢٨٢٢) .

نعدد أهمها في وحدات كبيرة ليكون هذا الإيجاز معنيًا لك على التدبر، ومساعدًا لك على الحذر من فتنة الشهوات وخطرها.

**النساء :** على مر العصور تنكشف لنا عظمة النظام الذي رسمه الإسلام، حتى لا تكون المرأة مفتنة للرجل، ولا الرجل مفتن للمرأة، والخروج عن هذا النظام هو إتباع الهوى والشهوات، وهو إفساد في الأرض، وتمزيق لروابط الأسرة، ونشر للأمراض، وتهديم لمقومات الحياة الطيبة.

مر معنا في الحديث الذي رواه أبي سعد الخدري رضي الله عنه " **فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءِ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** " ، وجاءت النساء أول صورة من صور الفتنة، والشهوات التي عددتها آيه آل عمران. فإذا وضع الرجل شهوته هذه كما أمره الله، وحيث أمره الله، كان له أجر وثواب، وإذا انحرف واعتدى كان من العادين!. ولا تنحصر فتنة النساء فيما يطلبه الإنسان من شهوة حرام فقط، ولكن الفتنة تظل ممتدة حتى في الحياة الزوجية، فتدفع الزوجة زوجها ليضعف أمام مسئوليات البذل والعطاء والجهاد، وتضعف من عزيمته ليندفع بعد ذلك في شهوات أخرى من شهوات الدنيا فيضطرب إيمانه.

إن فتنة النساء هنا أو هناك في أي حالة من الحالات، تدفع الإنسان إلى فتنة بعد فتنة، وشهوة بعد شهوة، وضعف بعد ضعف، لذلك جاء في الحديث " **أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** " ثم إمتدت الفتنة بعد ذلك في بني إسرائيل ، بسبب الفتنة الأولى .

**البنين :** نعم فتنة كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] و باب من أبواب الشهوات كما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ﴾ [2] ، وهي نعمة

(١)سورة التغابن آية ١٥
(٢)سورة آل عمران آية ١٤ .

من نعم الله، فإذا اتقيت ربك فيها رزقك، كانت النعمة بركة عليك ورحمة ، وإن غلبتك الدنيا وشهواتها، تحولت النعمة إلى جحود وفتنة وضلال.

فإذا تعهدت أولادك في الرعاية، والتربية والبناء على أساس سن منهاج الله، فنميت الإيمان المغروس في الفطرة، وقدمت الزاد اللازم لهم من القرآن والسُنَّة، يصبح الأولاد حينئذ نعمة عليك، وقوة لك، قوة للأمة المسلمة كلها. وإن غرست فيهم معاني الضلال والعصبيات والفتنة، فإنه ينحرف بهم عن جادة الحق، فيكونوا أعداء لله ولدينك ولأمتك. فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ **"مَا مِنْ مَوْلُوْدٍ إلَا يُوْلَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ، بَهِيْمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّوْنَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ "** [١].

فهذه هي المسئولية العظيمة الخطيرة، إن الأبوين معًا يصلحان فطرة الأولاد أو يفسدانها.

**المال**: وهو باب واسع من أبواب الفتنة يمس كل حاجات الإنسان من طعام وشراب وملبس ومسكن، وغير ذلك من حاجات الإنسان الضرورية، لذلك جاء في سورة آل عمران مفصلًا ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[٢] وجاءت قضية المال، قضية الكسب والانفاق، بتفصيل واسع في سور عديدة في القرآن، وفي أحاديث رسول الله ﷺ، وقضية المال من أخطر القضايا في حياة الإنسان لأنها مرتبطة بسائر القضايا الأخرى الإجتماعية والسياسية والفكرية وغير ذلك.

وفي واقعنا اليوم عندما سيطرت الفلسفات المادية القائمة على المال والاقتصاد سواء ذلك في الشيوعية والرأسمالية اللتان تمثل كل منهما الأعراف الأشد، والأبعد عن منهج الإيمان وسبيله ونوره ، ولذلك غاصت البشرية اليوم وإنحرفت عن

الغاية المنشودة لها، وإنغمست في صراع واسع تنفجر فيه الدماء، وتمتد فيه المجازر بسبب هذا الإنحراف الذي ولد الطمع القاتل والجشع المهلك، لذلك أقر الإسلام قواعد ربانية ثابتة للمال حتى لا يتيه الإنسان في فلسفات ونظريات تبعد كل البعد عن منهج الله.

فجعل في القرآن منهج متكامل يفصل الكسب والإتفاق والتعامل عامة، فمن إستمسك بهذا المنهج كانت فيه نجاته، ومن خرج عنه وتفلت منه كان فيه هلاكه.

فالمال والبنون يكونا زينة الحياة الدنيا﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1] ، وحينًا آخر يكونا فتنة وهلاك﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [2] .

وموجز مما يرسمه الإسلام، هو إن يكون الكسب حلالًا طيبًا للمال، وأن يكون الإنفاق طيبًا. كما قال ربنا تبارك وتعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [3] . وبالرغم من هذا التفصيل فإن المال سيظل باب فتنة واسع في الأمة الإسلامية خاصة، وفي الأمم كلها عامة.

فعن كعب بن عياض عن النبي ﷺ " **لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المالُ** " [4] . ومعنى هذا أن فتنة المال هي أول فتنة في هذه الأمة وأشدها، و منها تمتد سائر الفتن، وذلك كما كانت النساء أول الفتنة في بني إسرائيل ثم أمتدت منها سائر الفتن.

---

(١) سورة الكهف آية ٤٦ .

(٢) سورة التغابن آية ١٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٧ .

(٤)رواه الترمذي (٢٣٣٧) .

وفتنة المال حقيقتها أن الإنسان لا يشبع ولا يقنع، ويظل يطلب المزيد والمزيد خائفًا من الفقر. فيقرر لنا القرآن الكريم أن رزق كل إنسان محدود، وأن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، كما جاء في الحديث الشريف السابق ذكره وكما نصت الآيات الكريمة على ذلك: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

فعندما تؤمن أن رزقك محدد، وأن أجلك محدد تطمئن، تعلم أنك تسعى في الحياة الدنيا طاعة لله لتجمع منها زادًا تحتاجه في رحلتك إلى الآخرة.

وعن عبد الله بن الشخير عن أبيه، أنه انتهى إلى النَّبي ﷺ وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال "**يَقُولُ بْن آدَمَ مَالي مَالِيْ، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ**"[3].

يأتي حديث رسول الله ﷺ ليطمئن القلب المؤمن بأنه لا حاجة له بالجري اللاهث وراء الدنيا، وجمع مالها وحسبه منها القليل، فعن مسلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه وكانت له صحبه قال: قال رسول الله ﷺ "**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**"[4].

ظل رسول الله ﷺ يبرز خطر هذه الفتنة، فتنة المال على أمته، وهذا الحديث الذي يرويه أبو الدرداء والذي يقوله فيه "**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُوْلُ الله ﷺ وَ نُذَكِّرُ الْفَقْرَ وَنتخَوَّفُهُ، فَقَالَ: الْفَقْرَ تخافُوْنَ؟! وَالَّذِي نَفْسُ بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبا حَتَّى**

---

(١) سورة الرعد آية ٢٦.
(٢) سورة الشورى آية ٢٧.
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٨).
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب (٢٣٤٧).

لَا يَزِيغ قَلْبُ أَحَدُكُمْ إِلَّا هِيَهْ، وَأَيْمُ الله لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىَ مِثْلِ الْبَيْضَاء، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ، قَالَ أَبُو الْدَّرْدَاء : صَدَقَ وَالله رَسُوْلُ الله ﷺ ، تَرَكَنَا وَالله عَلَى مِثْلِ لِلْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ " (١).

**السمعة وزهو الدنيا:** يأتي الحديث يصور لنا هول الخطر، وشدة الهلاك الذي يصيب الإنسان وهو يسعى للزهوة والسمعة والشرف الكاذب، فعن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ "**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَم بِأَفْسَدَ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَىَ الْمَالِ وَالْشَّرَفِ لِدِيْنِهِ**" (٢). أي ماذئبان جائعان أرسلاً في غنم بأفسد لدينه من حرص المرء على المال والشرف، والذئب الجائع حين يهجم على الغنم لا يكتفي بقتل واحدة فيأكلها، وإنما يقتل أولًا الغنم الذي يصل إليه كله، ثم يأخذ واحدة فيأكلها، إن هذا إفسادًا كامل شامل. ولو عقل الإنسان لأخلص عمله لله وحده، وجعله خاضعًا لأمر الله موافقًا لشرعه، وقد كان للجري وراء السمعة، وزهوة الدنيا أثرًا كبيرًا في واقع المسلمين على مدى التاريخ، يغلف هذا الجري اللاهث وراءها بشعار وطني، أو قومي أو إسلامي يخفى ما طوت الصدور، ولكن الله يبطل العمل لفساد النية مهما عمل من زخرف، ويفضح صاحبه في الدنيا ويوم القيامة، وعلم بما في الصدور. كما قال عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عباس رضي الله عنهما "**مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**" (٣).

معنى ذلك أن من أراد بعمله أن يسمعه الناس، ليعظموه ويكرموه سمعٌ الله به، وفضحه وأبطل عمله، وذهب أجره، وينقلب العمل بذلك على فتنة في الدنيا، وتنافس على السمعة والشهرة، وصراع واسع بين الناس والفئات.

وحسب الناس فتنةً أن يتركهم الله وشركهم، تظلم عليهم الدروب، وتشتعل

---

(١)رواه ابن ماجة .
(٢)رواه الترمذي وقال حسن صحيح (٢٣٦٧) .
(٣) رواه مسلم (٢٩٨٦/ ٤٧).

الشهوات، يتصارع الأهواء، ويبطل العمل ويفسد ، اقرأ قول رسول الله ﷺ : "قَالَ اللهُ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مِنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " (١).

**أين الخلل وأين الحل ؟ :**

هذه أهم مواطن الفتنة في الدنيا : النساء - البنون - المال - السمعة.

والإنسان مفطور على حب هذه الأشياء، فهى ليست حرامًا عليك إذا أتتها بالإيمان والتقوي، ونلت منها ما أحله الله، على رضا من الله، راغبًا الدار الآخرة، صادقًا في نيتك.

إذا رجعنا إلى واقعنا اليوم، نجد أن جميع العلل والأمراض، وجميع مظاهر الخلل ناتجة عن هذه العلة الكبرى حب الدنيا، وتنافسها وكراهيه الموت، الإقبال على الدنيا والإدبار عن الآخرة. هذا بدوره يشير إلى وجود خلل في التصور الإيماني، وصفاء التوحيد ، واضطراب في حقيقة الوراء الأول لله ، وفي الالتزام بالعهد الأول مع الله.

إن معالجة ما نعانيه من خلل لا يحل بصيحة أو مظاهرة. إن المعالجة تحتاج إلى دراسات إيمانية، وممارسة إيمانية، وقوة إيمانية، يجمع ذلك كله منهج مرده كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فلسنا بحاجة إلى أحزاب جديدة، ولكنا بحاجة إلى صدق العودة إلى الله ، وحقيقة العلاج تعتمد على أولًا هداية الله، فبيده سبحانه وحده الهداية، وثانيًا بذل الجهد البشري كما أمر الله تعالى ، وهو مسئولية الجماعة المسلمة والفرد.

فلا يغيب عنك كفرد، آيات الله وسُنَّة رسوله ﷺ، التي يؤكدان سُنَّة الله في هذه الحياة الدنيا التي تبين أولا أنه لا أحد من الخلق يستطيع أن ينفع أو يضر، وأن الأمر

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) .

كله بيد الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله. وأن للنجاة الحقيقية سبيلًا واحدًا لا سبيل سواها، هي صدق اللجوء إلى الله، وقد هون الله تعالى الأمر على خلقه فحدد لهم الآجال تحديدًا لا تستطيع أحد من الخلق أن يغير منه، وحدد الأرزاق تحديدًا لا تستطيع أحد كذلك زيادته أو نقصانه، وأن الملك كله لله، واليه يرجع الأمر كله، وإستمع إلى آيات الله، وأحاديث رسول الله تنذر وتفطر وتقرع القلوب: قال تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

وعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال " **يَا غُلَامُ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تُعْرَفُ عَلَى الله فِى الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِى الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَإِعْلَمْ أَنَ الْأُمَّةَ لَوْ إِجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوْكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ إِجْتَمَعُوْا عَلَى أَنْ يَضُرُّوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ** ".[3]

واستمع إلى هذا الدعاء العظيم الذي يعلمنا أياه رسول الله ﷺ " **إِذَا أَخَذَتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ إِضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِى إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِىْ إِلَيْكَ، وَوجْهَةُ وَجْهِى إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ**

---

(١) سورة هود آية ٣-٤ .

(٢)سورة الرعد آية ٢٦ .

(٣) رواه الترمذي (٣٨/ ٦٠/ ٢٥١٨)

الَّذِىْ أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِىْ أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ "[١] هذه هي سبيل النجاة، ولا سبيل سواها (لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ) هذه هي سبيل النجاة في الدنيا والآخرة .

**ولكن كيف أوازن بين الدنيا والآخرة؟!:**

في قول الله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾[٢].

وقوله الله ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾[٣].

يشرح الآيات أحاديث رسول الله ﷺ :

قال من حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ : " مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِى قَلْبِه، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ "[٤].

وعن ابن عمرو وابن عمر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال " الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ "[٥].

وعن أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ "الدُّنْيَا مَلْعُوْنَةٌ مَلْعُوْنٌ مَا

---

(١) رواه البخاري (٨٠/ ٧٠/ ٦٣١٣) ومسلم(٤٨ / ١٧ / ٢٧١٠) .

(٢) سورة النساء آية ١٣٤ .

(٣) سورة الإسراء آية ١٨ : ٢٠ .

(٤) رواه ابن ماجة والترمذي(٦٥١٦) .

(٥) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي (٣٤١٣).

**فِيهَا، إِلَا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا** " [1] وكلمة (يؤثر الآخرة على الدنيا). لها دلالتها العميقة، فلا تترك الدنيا ولكن خذ منها حاجتك التي لا تعطل مسيرتك في دين الله وفي سبيل الله، وتظل مع ما تنال من الدنيا تؤثر الدار الآخره، على قدر ما يصدق إيمانك، وما تأخذه من الدنيا، يظل قوه لك في مسيرتك إلى الآخرة! فالآخرة همك وغايتك. والخطورة في ذلك حين تقبل على الدنيا، وتقنع نفسك بأنه ذلك حق، وحسبك أن تصلي وتصوم، وتؤدي الشعائر، وتقوم ببعض الأعمال الآخرى دون أن تشعر أن الإسلام مسئوليات مترابطة، ومنهج متكامل، وأن الله وضع في عنقك أمانة عظيمة، وتكاليف محددة ستحاسب عليها أوجب الله عليك البذل من أجلها، فتجدك غارقًا في قضايا بيئتك وأهلك، وقضايا وظائفك أو تجارتك، منقطعًا عن قضايا أخراك. فالإقبال على الدنيا بصورة تخل بحسن الموازنة وبينك وبين الوفاء بعهدك مع الله وفاءً يطلبه الله ويحاسبك عليه، خسارة كبيرة وإنحراف كبير.

فمن أهم هذه التكاليف الربانية بعد الشهادتين، وأداء الشعائر، وتدبر منهج الله، أن تساهم في بناء أسرة طيبة، وحياة طيبة لنفسك ومن تعول، وأن تساهم في بناء قوة الإسلام والمسلمين، وأن تساهم في تبليغ رساله الله كما أنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة، وإلا كيف يصل الأخرين إلى ما وصلت عليه أنت من الفهم العميق لمتطلبات دينك، وهذه التكاليف أمانة وعهد وميثاق، وهي جوهر الإيمان والتوحيد.

قد يضعف البعض أمام فتن الدنيا، وشدة ضغط المجرمين في الأرض،أعداء الله منحرفون قليلًا أو كثيرًا عن الإيمان والتوحيد، فيقبلون على الدنيا، ويتخلون عن بعض مسئولياتهم الإيمانية، وتضطرب الموازنة لديهم. لكن أن لم تكن يقظًا أنت وآمثالك الذين تمثلون المصابيح المنيرة في هذه الأمة، فمن يقوم على الحق؟! أدعو

(١)أخرجه ابن ماجة والطبراني في الأوسط .

الله سبحانه أن يغفر لنا، ويهدينا سبيل الرشاد، وأن يحبب إلينا الدار الآخرة، وأن يجعل إيماننا وتوحيدنا، صافيًا خاليًا من الشرك، وأسأله سبحانه أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا، فإنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأن نأخذ من دنيانا ما يعيننا على الوصول إلى دار السلام بسلامة، ناجين من زينة الدنيا وزخرفها وفتنتها، وقبل ذلك حياة طيبة نهنأ بها، ونتذوق فيها جنة الدنيا، لأنه من لم يعيش جنة الدنيا لن يعش جنة الآخرة .

**كيف أوازن بين صيانة النفس والتكبُّر ؟ :**

الفرق بين صيانة النفس و التكبر الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوبًا جديدًا ، نقي البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم، فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وأنواع الآثار إبقاء على بياضه ونقائه، فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التي يخشى منها عليه التلوث، فلا يسمح بأثر ولا طبع ولا لوث يعلو ثوبه، وإن أصابه شيء من ذلك على غرة بادر إلى قلعه وإزالته ومحو أثره، وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها، فإن لها في القلب طبوعا وآثارا أعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي للبياض، ولكن على العيون غشاوة أن تدرك تلك الطبوع، فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من تخالطهم، مخافة أن يحصل لقلبه ما يحصل للثوب الذي يخالط الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم، بخلاف صاحب العلو فإنه وإن شابه هذا في تحرزه وتجنبه فهو يقصد أني علو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه فهذا لون وذاك لون [1] . اهـ.

أما الكبر فإنه أثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، فرحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس شزر، ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا معاملة الإيثار ولا الإنصاف، ذاهب

(١) الروح ، لابن القيم ، ص ٣١٦ .

بنفسه تيهاً، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ عليه في الإنعام، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم، لا يزداد من الله إلا بعداً، ومن الناس إلا صغاراً .

## كيف أوازن بين حب الرئاسة والإمامة في الدين ؟:

فصَّل الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- الفرق بين حب الرياسة ، وبين حب الإمامة في الدين ، فقال -رحمه الله - :

والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله، هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله، المعظم له، المحب له، يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره، مجتنبين نواهيه، فهذا ناصح لله في عبوديته، وأخلص العبودية لله، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماماً، يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم دليلاً، وفي قلوبهم مهيباً، وإليهم حبيباً، وأن يكون فيهم مطاعاً كي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول على يده؛ لم يضره ذلك، بل يحمد عليه؛ لأنه داع إلى الله، ويحب أن يطاع الله عز وجل ويعبد ويوحد، فهو يحب ما يكون عوناً على ذلك موصلاً إليه؛ ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنى عليهم في تنزيله، وأحسن جزاءهم يوم لقائه، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [1]، فسألوه أن يقر

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٤ .

أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته، فإن الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة، فإنما سألوه ما يعينون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .[١]

وسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين هو سؤال أن يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التي لا تتم الإمامة إلى بها وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسمه الرحمن جلا جلاله ليعلم خلقه أن هذا إنما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السورة الغرف وهي المنازل العالية في الجنة لما كانت الإمامة في الدين من الرتب العالية بل من أعلى مرتبة يعطاها العبد في الدين كان جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة.

وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد مالا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وتعظيم من حقره الله واحتقار من أكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك ولا تنال إلا به وبأضعافه من المفاسد والرؤساء في عمى عن هذا ، فإذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما إذا حشروا في صور الذر يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم إهانة لهم وتحقيرا وتصغيرا كما صغروا أمر الله وحقروا عباده[٢].

(١) سورة السجدة آية ٢٤ .
(٢) الروح ، لابن القيم ص (٣٤٠-٣٤١) .

**أمور تعين بعد عون الله - تعالى - على الحذر من فتنة الدنيا:**

ولقد أكد الرسول ﷺ خطورة عدم الحذر من الدنيا، يقول رسول الله ﷺ : **" فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ "** (١).

_ من أكثر ما يصور لك تفاهة الدنيا : ذكر هادم اللذات ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢). فإن التذكر هو أكبر حماية لك من الفتنة.

- واعلم أن إيثار الدار الآخرة على الدنيا يتطلب منك مجاهدة النفس مجاهدة صادقة، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (٣). وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٤).

- ومما يعين على الحذر من فتن الدنيا، النظر إلى من فضلك الله عليه في أمور الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **" إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ "** (٥).

- ومجالسة من ينتفع بمجالستهم فهم من لايشقى جليسهم.

- والمحافظة على الفرائض والنوافل، وكثرة تدبر كتاب الله، فإنه يجمع لك كل خير، والدعاء والإستغفار والتوبة، كل ذلك سلاح المؤمن أمام فتن الدنيا، وكذلك قراءة الكتب المفيدة، حتى تكون على بصيرة أنت ومن أتبعك ...

---

(١)رواه البخاري ومسلم
(٢) سورة الأنبياء آية ٣٥ .
(٣)سورة العنكبوت آية ٦ .
(٤)سورة العنكبوت آية ٦٩ .
(٥)رواه البخاري، وفي روايه مسلم ( مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ ) .

**كلمات مضيئة :**

* حديث قدسي صحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : "**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**" [1].

* قال رسول الله ﷺ عن ابن مسعود "**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَا حِرْصًا ، وَلَا يَزْدَادُونَ مِنْ اللهِ إِلَا بُعْدًا**" [2] .

* قال علي رضي الله عنه في وصف الدنيا " من افتقر فيها حزن، من استغنى منها فتن، حلالها حساب، حرامها عقاب، من طلبها فاتته ، ومن قعد عنها آتته، ومن بُصرَ بها بصرته، ومن نظر إليها أعمته" ..

دخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم بويع بالخلافة، فقال المنصور عظني، فقال أعظك بما رأيت أم بما سمعت؟! قال بما رأيت، قال يا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولدًا، وترك ثمانية عشر دينارًا ، كفن بخمسة، واشترى له قبر بأربعة، ووزع الباقي على أولاده، فكان نصيب الواحد $\frac{9}{11}$ من الدينار، وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولدًا، وكان نصيب كل ولد من التركة مليون دينار، والله يا أمير المؤمنين رأيت في يوم واحد، ولدًا من أولاد عمر يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله، وأحد أولاد هشام بن عبد الملك يتسول في السوق.

**دفن بعضهم بعض !!**

مر عيسى عليه السلام على قرية، فوجد كل من فيها أموات، وهم مطروحون على وجوههم في الأزقة، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، قال يا معشر الحواريين إن هؤلاء القوم قد ماتوا على غضب وسخط، ولو ماتوا على رضى من الله لدفن

---

(١)صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٥٩ )

(٢)صحيح الجامع (١١٤٦)

بعضهم بعضًا، فقالوا يا نبي الله وددنا لو نعرف قصتهم، فسأل الله عز وجل، فأوحى الله إليه أن يا عيسى إذا كان الليل نادهم فإنهم يجيبونك. فلما كان الليل، صعد عيسى على شرف ونادى فقال يا أهل القرية، فناداه مجيبًا من بينهم؟ فقال ما قصتكم وما خبركم؟! قال يا نبي الله بتنا في عافية، وأصبحنا في هاوية، قال ولم ذلك؟! قال لحُبّنا في الدنيا، وطاعتنا لأهل المعاصي، ولم ننهى عن المنكر. فقال له عيسى عليه السلام كيف كان حبكم للدنيا؟! قال كحب الصبى لأمه، إذا أقبلت فرحنا، وإذا أدبرت حزنًا وبكينا، قال عيسى ياهذا ما بال أصحابك لم يجيبوني؟! قال إنهم ملجَمون بلجام من نار، بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال وكيف أجبتني أنت من بينهم، قال إني كنت منهم، ولم أكن معهم، فلما نزل بهم العذاب لحقني معهم، فأنا الآن معلق على شفير جهنم، لا أدري أنجو منها أم أكب فيها...

ويكفيك لعدم الإنكباب على الدنيا، هذا الحديث القدسي الجليل الصحيح عن رب العزة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: " **إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَابْنَ آدَمَ تَفرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنىً وَأَسُدّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تفعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ** "[1].

لاتعجلن فليس الرزق بالعجل ∴ الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ∴ لكنه خُلق الإنسان من عجل

---

(١) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٥٩).





## الخطوة الرابعة:

## أختي المسلمة أين تذهبين ؟!



قبل أن أبدأ أقول ما هو الدافع إلى هذه الكلمات؟!

**أولا :** حاجة النساء المسلمات إلى القدوة، حاجتك اليوم إلى القدوة في زمن ضاعت فيه القدوات.

**ثانيا :** رفع الهمم في زمن ضاعت فيه همم الكثيرات، وعزوفهم عن الآخرة، فكان لابد أختي المسلمة من التذكير، تذكير نفسي وتذكرين ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]، وتأملي أختي المسلمة كيف ربط ربنا تبارك وتعالى النفع بالذكرى بالإيمان، فعلى قدر إيمانك، يكون إنتفاعك بما أقول وبما أذكر...

أذكر نفسي وإياك، بأن ما أعد الله للمؤمنات خير من الدنيا وما فيها، ومن أرادت الوصول فعليها حفظ الأصول، (إيمان، وعمل صالح) ومن سارت على الدرب وصلت بإذن الله تعالى ، فما سبق من صفحات هذا الكتاب أيتها المسلمة خطوات إلى حياة طيبة، قدمتها لكل مسلم وكل مسلمة، فمنها نبدأ، وفي الفردوس نلتقي، وأخصك بخاتمة هذا الكتاب، لمالك من دور عظيم يفوق دور الرجال...

**أختي المسلمة:** إننا في أمس الحاجة للنظر في سير الصحابيات، في أمس الحاجة أن تتأسى بهن.

قال ابن مسعود رضي الله عنه من كان متأسيًا فليتأسى بمن مات، فإن الحي يخشى عليه من الفتنة.

**أختي المسلمة:** إننا في حاجة حقيقية إلى أن نصحح المسار، ونتخذ من حياة أولئك

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٥

مثالًا لنا. إننا في حاجة إلى القدوة في زمن قلت فيه القدوات.. في حاجة إلى أن نتعلم منهن العزة في زمن قل فيه المعتزون والمعتزات.. في حاجة إلى أن نتعلم منهن الثبات في زمن كل فيه الثابتون والثابتات..

أما تلاحظين أختي المسلمة أن المفاهيم قد تغيرت، حتى أصبح الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات هم القدوات!!.

كم هي الأوقات والأموال التي تصرف لقراءة ومتابعة أولئك الغافلين والغافلات ؟! فنحن أختي المسلمة في حاجة إلى أن نصحح المفاهيم، وأن ندرك من هم القدوات ...

**هل سمعتي عنها ؟!**

هل سمعت عن تلك التي قالت لقومها : أي والله إني على دينه؟! .

إنها أم شريك ، بنت جابر بن الحكم القريشيه كانت من أوائل من أسلم هي وزوجها..

**تحكي قصة حياتها :**

حياة الثبات، حياة الصبر، حياة الصبر على دينها، رغم التعذيب القاسي، تقول: جاءني أهل زوجي فقالوا لي : لعلك على دين محمد؟! تقول قلت إي والله إني لعلي دينه، تأملي أختي المسلمة نبرة العزة !!

قالوا لاجرم والله لنعذبنك عذابًا شديدًا..

تقول ثم ارتحلوا بي على جمل هو شر ركابهم وأغلظ، يطعمونني الخبز والعسل، ويمنعون عني الماء حتى إذا إنتصف النهار، وسخنت الشمس، نزلوا فضربوا أخبيتهم (خيامهم) وتركوني في الشمس قائمة....وفعلوا فيَّ ذلك ثلاث أيام..حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري..قالوا لي في اليوم الثالث إتركي دين محمد وما أنتي عليه..

تقول قلت في نفسي ليتهم رجعوا إلى أنفسهم بعد ما عاينوا صبري، وقد ذهب عقلي وسمعي وبصري، لعلهم يرجعون عن غيهم وفعلتهم هذه، ويدخلون في دين الله عز وجل ، ذلك الدين الذي تزوقت حلاوته!.

نعم إنها إمرأة لا تملك من حطام الدنيا شيء لتفتدي به نفسها من ذلك العذاب، ولكنها تملك الإيمان.إي والله تملك الإيمان.. تمتلك الإيمان الذي خالطت بشاشته القلوب، فامتلأت بحب علام الغيوب، نعم الإيمان هو المحرك الحقيقي للأفعال والتروك.

تقول: وما دريت والله ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، كنت أشير بأصبعي إلى السماء علامة على ثباتي على معرفة الله الواحد الأحد.

تقول: فوالله إني لعلى ذلك، وقد بلغ مني الجهد، ولكن شاء الله عز وجل أن يلطف بي بعد ذلك البلاء المبين..

أما قال الله سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

أما قال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[2].

تقول وبين أنا على تلك الحالة، إذا وجدت برد دلو على صدري، فأخذته فشربت منه جرعة واحدة، ثم أنتزع فنظرت – وهي التي فقدت بصرها – فنظرت فإذا هو معلق بين السماء والأرض، فلم أقدر عليه. ثم تدلي ثانية، فشربت منه جرعة، ثم تدلي ثالثة، فشربت حتى رويت، وأرقت على رأسي ووجهي وثيابي.. تقول : خرج أهل زوجي، ونظروا إلى على تلك الحال وقالوا : من أين لك هذا يا عدوة الله؟!

---

(١) سورة محمد آية ٣١

(٢)سورة آل عمران آية ١٤٢ .

فقلت بكل عزة وثبات: عدو الله غيري..

إنه من خالف دين الله، وعصى أوامره، ثم قلت أما هذا الذي تساءلون عنه فهو من عند الله عز وجل، رزق رزقنيه الله.

الله الذي قال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

الله الذي قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2].

يقول ربنا إني قريب أسمع وأجيب، أعطي البعيد والقريب، فرجه في لمح البصر.. هنا إنطلق أهل زوجي سراعًا إلى قرابهم المملوءة بالماء، وإلى أوعيتهم يريدون ما الخبر؟!، وجدوها مكوءة لم تحل! فغادروها وقالوا: نشهد بأن ربك هو ربنا، وأن الذي رزقك في هذا المكان بعد ما فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع هذا الدين العظيم هو الإله الحق ، ثم أسلموا وهاجروا جميعًا إلى رسول الله، بثباتها وعزتها وموقفها الشديد أسلم القوم .. أسلم القوم، كل القوم !!

إنه أختي المسلمة درس على الثبات ، الثبات والإيمان الذي جعل المسلمات المؤمنات كالجبال الراسيات .. فلا عذاب ولا تهديد يجعلهن يقدمن أي تنازلات بل عزة وثبات.

أما قال بلال وهو الذي ذاق أمر العذاب لما سأل، كيف تحملت كل هذا العذاب؟! قال مزجت حلاوة الإيمان بمرارة العذاب، فطغت حلاوة الإيمان.

في الصحيح عن أنس قال " **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ ذَاقَ حَلاوَةَ الْإِيْمَان، أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُوْدَ فِي**

(١)سورة النمل آية ٦٢ .

(٢)سورة البقرة آية ١٨٦ .

**الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "**(١) .

أختي المسلمة الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن بما وقر في القلب، وصدقه اللسان، وعملت به الجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان...

إن العقل والفطرة يدعوان إلى تقديم حب الله على محبة الناس والنفس والأهل والمال و الولد، بل تدعو إلى محبته وتوحيده في المحبة، إقرئي أختي المسلمة عن المحبات الصادقات .

### وتساءلي أين نحن من هؤلاء..؟!

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ " بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب " وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **أَتَانِي جِبْرِيْل فَقَال يَا رَسُوْل اللَّه هَذه خَدِيْجَة أَتَتْك وَمَعَهَا أَنَاء فِيْه طَعَام و شَرَاب، فَإذَا هِي أَتَتْك فَاقْرَأ عَلَيْهَا مِن رَبِّهَا الْسَّلَام مِنِّي، اللَّه أَكْبَر إِمْرَأَة رَبِّهَا يَقْرَؤُهَا الْسَّلَام!!!.**

إن لم تقتدي بمثل خديجة بمن تقتدي؟! .

نزلت عليه ﷺ آيات سورة المزمل، يأمر الله فيها نبيه بقيام الليل، بأبي هو وأمي وقامت معه خديجة رضي الله عنها أثنى عشر شهرًا حتى انتفخت أرجلهم، ثم نزل التخفيف لما رأى الله صدقهم، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ** ﴾(٢) .

أما قال عنها رسول الله ﷺ : " **آمَنَتْ بِيَ يَوْمَ كَفَرَ النَّاسُ ! ، وَآوَتْنِي يَوْمَ طَرَدَنِي النَّاسِ !، وَصَدَّقَنِي يَوْمَ كَذَبَنِي النَّاسِ ! وَأَعْطَتْنِي يَوْمَ حَرَمَنِي النَّاسِ !** " .

فلا عجب أن يقرؤها ربها السلام ، وها هي عائشة الصديقة رضي الله عنها عاشت بعد رسول الله ﷺ تُعلِّم الرجال والنساء وتشارك في صنع التاريخ الإسلامي، إلى أن

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢)سورة المزمل آية ١٩ .

وافتها المنية ،خلفت من ورائها أجيالاً فكانت نموذجًا فريدًا لم تعرف الدنيا مثلها .

وها هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وأرضاها، قال عباده بن حمزة رضي الله عنه دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ ﴾[1] .

قال فوقفت عليها فجعلت تستعيذ وتدعو، يقول فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعد، تستعيذ وتدعو.

إذا كان هذا نهارها، فكيف تكون إذا جن عليها الليل؟! ، أما حفصه بنت الفاروق، يقول أنس قال رسول الله ﷺ " **قَالَ جِبْرِيْلُ رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ** " عن ثابت عن أنس مرفوعا قال نافع ماتت حفصة حتى ما تفطر.

**أختي المسلمة:** من علمت وأيقنت أن العمر إلى اللحد لم تنشغل بتزيين المهد.

**ونحن بيننا نتسال كيف تكون أول ليلة في الزفاف؟!**

اقرائي وقولي ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾[2]. لما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها- صلة بن أشيم- أدخله بن أخيه الحمام ثم أدخله بيتًا مطيبًا فيه العروس، فقام يصلي حتى أصبح وقامت معاذة خلفه، فلما أصبحا عاتبه بن أخيه على فعله، فقال إنك أدخلتني بيتًا أذكرتني به النار، ثم أدخلتني على تلك العروس فتذكرت الجنة فمازالت فكرتي فيها حتى أصبحت ..الله أكبر لله درهم ! كم علت بهم هممهم ! وأي كلام يترجم فعالهم ! إمرأة تحيي الليل كله ليلة بنائها ! فما بال النسوة في زماننا ؟! بل ما بال الرجال في هذا الزمان؟! كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، فإذا أمست وجاء الليل قامت فلاتنام حتى تصبح.

---

(١)سورة الطور آية ٢٧ .
(٢)سورة يوسف آية ١١١ .



اسمعي ما قاله ثابت البناني عن خبرها يوم أن بلغها نبأ إستشهاد زوجها وابنها، إنها مصيبة عظيمة لكن على المؤمنات أبدًا ما تكون .

فأتت النساء يواسينها في مصابها فقالت: مرحبا بكن إن كنتن جئتن لتهنئنني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن من حيث أتيتن، الله أكبر! ولله درها! أي صنف من النساء هذه التقية النقية؟! لاعجب فهي تلميذة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

يقول الحسن لما مات زوجها شهيدًا، لم توسد فراشًا بعده، قالت لابنتها من الرضاعة، والله يابنيه ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ العيش، ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي بالوسائل، لعله يجمعني وأبي صهباء وولده في الجنة. وفي لحظات إحتضارها بكت، تدرين على ماذا بكت؟! بكت على مفارقة الصيام والصلاة والذكر.

وأنت أيتها الغالية على ماذا تبكين؟!

وأنت أيتها الغالية على ماذا تبكين؟!

ماهى همومك وما هي أحزانك؟!

على ماذا تلك الدمعات الغالية؟!

على ماذا تذرفينها؟!

ماتوا وعشنا فهم عاشوا بموتهم ∴ ونحن في صورة الأحياء أموات

**أول علامات الإيمان:**

**أختي المسلمة :** إن أول علامات الإيمان هو حب الله جلا وعلا، وحب الرسول ﷺ ، ولما كثر المدعون للمحبة، طلبوا بإقامة البينة على صحة الدعوة.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

﴿ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1] .

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله و أقواله وأخلاقه.

ماذا قالوا عن المحبة التي من مقتضى ومن شروط لا إله إلا الله؟!.

قالوا : المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقى لك منه شيئًا.

معنى الكلام : أن تهبي إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبينه، وتجعلينها حبًا ووقفًا في مرضاته ومحابه، فلا تأخذي لنفسك منها إلا ما أعطاك هو، فتأخذيه منه ومن أجله.

قالوا : المحبه الميل الدائم بالقلب الهائم.

قالوا : المحبه إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

ومن أجمل ما قيل ما ذكره أبو بكر الكناني، جرت مسأله في المحبة بمكة أعزها الله تعالى ، أيام الموسم فتكلم الشيوخ في المحبه، وكان الجنيد أصغرهم سنًا، فقالوا هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: المحب عبدٌ ذاهب عن نفسه .. متصل بذكر ربه .. قائم بأداء حقوقه.. ناظر إليه بقلبه.. فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ، وقالوا ما على هذا مزيد. المحب الصادق إذا تكلم من أجل الله، وإذا سكت فمن أجل الله، وإذا أعطى فمن أجل الله، وإذا منع فمن أجل الله.

**أختي المسلمة : ذكر ابن القيم -رحمه الله- أمور عشر توصل إلى محبة الله تبارك وتعالى :**

أولًا: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد منه.

ثانيًا: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

ثالثًا: دوام ذكره بالقلب وباللسان على كل حال.

رابعًا: إيثار محابه على محابك.

خامسًا: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته.

سادسًا: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهره والباطنه.

سابعًا: وهو أعجبها، إنكسار القلب بكليته بين يدي الله.

ثامنًا: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كتابه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه.

تاسعًا: مجالسه المحبين الصادقين، وإلتقاط أطيب ثمرات كلامهم.

عاشرًا: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله.

**أيتها الأخت الحبيبة، أمًا كنت أو أختًا على ماذا نربي أبناءنا اليوم؟! ؛**

**وما هي الأمنيات التي نتمناها لهم ؟!**

أما قال سبحانه ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ [١] ؟ ، فوصى الأباء بالأبناء قبل أن يوصي الأبناء بالأباء، يقول أهل العلم إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فإنه كما أن لنا على أبنائنا حقوق فللأبناء علينا حقوق، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ [٣] ، فوصية الله للوالدين بالأبناء سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، فمن أهمل تعليم الأولاد ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد والبنات إنما جاء فسادهم من قِبَل الأباء والأمهات، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين

(١)سورة النساء آية ١١ .

(٢)سورة الأحقاف آية ١٥ .

(٣)سورة النساء آية ١١ .

والسُنَّة ، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آبائهم كبارًا...

عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال يا أبتاه عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتك عجوزًا.

فالولد والبنت أمانة عند الوالدين، وقلوبهم الطاهرة جوهرة نفيسة، فإن عُودوا الخير، وعلموه نشأوا عليه وسعدوا في الدنيا والآخرة. وإن عُودوا الشر، وأهملوا إهمال البهائم، شقوا وهلكوا، وصيانتهم أن يُؤدبوا ويُهذبوا ويُعلموا مكارم الأخلاق.

**أختي المسلمة:**

* علِّمي أولادك الصلاة أن يحسنوها، والقرآن أن يتدبروه، والسُّنَّة أن يعظموها، والتقوى أن يطلبوها، واليقين والإحسان أن يستشعروه ، والفضول أن يتجنبوه، وقيام الليل أن ينشأوا عليه ، بيني لهم أمور الصلاة وعظمها، والمحافظة على أوقاتها في المساجد، فمن لزم المسجد استفاد آية محكمة، وأخًا صادقًا، وعملًا صالحًا، ورحمه منتظرة، وكلمة نافعة، وتوبة نصوحًا. وبيني لهم حديث رسول الله ﷺ "**إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوْهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، أَتُوْهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُوْنَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ**"[1]، وفي رواية مسلم "**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاة، فَهُوَ فِي صَلَاةٍ**"[2]، وبشريهم بحديث رسول الله ﷺ "**بَشِّرُوْا الْمَشَّائِيْنَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّوْرِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" [3]، يقول الله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾[4] من هنا أختي المسلمة، إصطبري عليهم، وأنت توقظيهم للصلاة، فمثلا تناديه، قم يا شاب الإسلام، قم يا بطل الإسلام، قم يا قائد الأمة، ليشعر بمدى المهمة التي من أجلها خلق.

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) سورة طه آية ١٣٢ .

أربطي على قلوبهم بالقرآن، ولا تطلقيهم للفضائيات، وعلميهم مبادئ القرآن ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [١]. فحب الله مشترط بإتباع سُنَّة نبيه، ولا حب بدون إتباع، كذبوا والله لو أحبوا الله لأطاعوا نبيه.

* علِّمي أولادك أن تكون الأمنية العظمى أن رضا الله ورسوله ﷺ.

* علِّمي أولادك من السُنَّة قدر حفظهم وطاقتهم،واشرحي لهم أحاديث تنمي عندهم مكارم الأخلاق قول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "إحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، إحفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَسأَلَ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَإِعْلَمْ أَنَ الأُمَّةَ لَوْ إجْتَمَعْتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشَيْءٍ، لا يَنْفَعُوكَ بشَيْءٍ إلا بشَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنْ إجْتَمَعْتُ الأُمَّةَ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ إلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ" [٢] ، غلام عمره عشر سنوات يكلمه الرسول في لو أجتمعت الأمه !! نعم ابن عباس كان يبلغ من العمر عشر سنوات .

وحديث : " إحفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفُ عَلَى الله فِى الرَّخَاء يَعْرِفْكَ فِى الشِّدَّة، وَإعْلَمْ أَنَ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِأَكَ، وَمَاأَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَإعْلَمْ أَنَ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَ " [٣].

وحديث (لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً، يَقُوْلُ أَنَا مَعَ النَّاس، إنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتَ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتُ، وَلَكِنْ وَطِّنُوْا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوْا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنَّ تَتَجَنَّبُوْا إِسَاءَتَهُمْ) [٤].

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

وحديث أبي سعيد الخدري قال النَّبي ﷺ : " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوْسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوْا يَا رَسُوْلَ الله مَالَنَا مِنْ مَجَالِسنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيْهَا، قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيْقَ حَقَّهُ. قَالُوْا وَمَا حَقُّ الطَّرِيْقِ ؟! قَالَ غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَي، وَرَدَ السَّلَامُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ " [١] .

وحديث رسول الله ﷺ " أَوْصَانِي خَلِيْلِي بِثَلاثٍ، الضُّحَي، وَصِيَام ثَلَاثِ أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَأَنْ أُوْتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ " [٢] وغيرها من سيرة الحبيب المصطفى ما يسعد القلب ويطيب الحياة.

* علمي أولادك اليقين من الصغر، انقشي على قلوبهم أنه:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [٣]

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [٤].

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [٥].

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥ ﴾ [٦].

واعلمي أن كلمة مراهق لايعرفها الصحابة، بل في هذا العمر هو شاب مكلف عليه فعل الواجبات وترك المنكرات

* علمي أولادك الثقة بالله لا بأنفسهم، كما قال ﷺ : " لَا تَكِلْنِي الَىَّ نَفْسِىَ طَرْفَةَ عَيْنٍ" ، فالعبد إذا وثق بنفسه أوكله الله إلى ضعف وعجز، أما إذا وثق بالله كفله وجعله يأوي إلى ركن شديد ..

*علميهم أن يعبدوا ربهم كما أمرهم، وسيرزقهم كما وعدهم، نعم! فالتوكل

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) البخاري في التطوع .
(٣) سورة الطلاق آية ٢ .
(٣) سورة الطلاق آية ٢-٣ .
(٣) سورة الطلاق آية ٤ .
(٣) سورة الطلاق آية ٥ .

على الله كما يقول سعيد بن جبير جماع الإيمان.

* علميهم المراقبة، إسمعي هذه القصة القصيرة وقد أعجبتني، لما لها من مغزى كبير جدًا .

قال سهل بن عبد الله التستري كنت أنا ابن ثلاث سنين، أقوم من الليل فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار) فقال لي يومًا ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت : كيف أذكره ؟ قال: قل بقلبك، عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات دون أن تحرك لسانك الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال قل كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال قل ذلك كل ليلة أحد عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته.. فلما كان بعد سنه قال لي خالي أحفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخره، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوه في قلبي.. ثم قال لي خالي يومًا، يا سهل من كان الله معه، من كان الله ناظر إليه، من كان الله شاهده، أيعصية؟!.

إياك والمعصية يا سهل إياك والمعصية، وأصبح سهل -رحمه الله- من كبار العارفين بفضل خاله الذي أدبه وعلمه ورباه وعلمه أسمى معان المراقبة.

* جنبيهم فضول النظر، وفضول المخالطة، وفضول الأكل، وفضول النوم، وفضول الكلام فالخسارة أن هذه الفضلات تفوت عليهم خير دينهم ودنياهم.

وأما فضول النظر فهو يعني إطلاقه بالنظر إلى الشئ بملئ العين، ويعني النظر إلى ما لايحل له، وهو على العكس من غض البصر (الغض:النقص) .

وقد أمر الله بغض البصر فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[١]، والله لا يأمر بصرف النظر كله

(١)سورة النور آية ٣٠-٣١ .

بل يأمر بصرف بعضه، فقال ﴿ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾ وقال بن جرير رضي الله عنه سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال "إِصْرِفْ بَصَرَكَ" [١]، ولفضول النظر آفات إنه:

أولاً : معصية ومخالفة لأمر الله تعالى، وليس للعبد في دنياه واخرته أنفع من امتثال اوامر ربه تبارك وتعالى، وما سُعِدَ مَنْ سُعِدْ إلا بإمتثال أوامره، وما شقي من شقي إلاابتضييع .

ثانيًا : أنه يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله، وليس على العبد شئ أضر منه فانه يؤقع الوحشة بينه وبين ربه ، وغض البصر يورث القلب أنسًا بالله تعالى.

ثالثًا : يضعف القلب ويحزنه وغض البصر يقوى القلب ويفرحه .

رابعًا: أنه يكسب القلب ظلمه واذا أظلم القلب أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل مكان وغض البصر يكسب القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح ولهذا ذكر الله اية النور عقب الأمر بغض البصر قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [٢]،ثم قال بعد ذلك ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [٣] ، أي مثل نوره في قلب المؤمن الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخير إليه من كل جانب .

خامسًا : فضول النظر يقسي القلب ويسد على العبد باب العلم وغض البصر يفتح للعبد باب العلم ويسهل عليه أسبابه ، وذلك بسبب نور القلب فانه إذا استنار ظهرت فيه حقائق الأشياء .

---

(١)رواه مسلم (٢١٩٥) .

(٢)سورة النور آية ٣٠ .

(٣) سورة النور آية ٣٥

سادسًا : أنه يوقع العبد في الغفله واتباع الهوى قال تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [(١)]، ويعقبها حسرات وزفرات ويعقبها ذل اتباع الهوى ومهانة النفس وحقارتها حيث يقع أسيرًا لهواه .

سابعًا : اطلاق البصر يذهب نور البصيرة والجزاء من جنس العمل وغض البصر يسبب اطلاق نور البصيرة ويورث العقل الفراسة، واعلمي أنه من عمرت ظاهرها بإتباع السُنَّة، وباطنها بدوام المراقبة، وغضت بصرها عن المحارم ، وكفت نفسها الشهوات واعتادت الحلال لم تخطئ فراستها... وأما عن **فضول المخالطة** فهي الداء العضال الجالب لكل شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم غرست في القلب من عداوات تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة فهل آفة الناس إلا الناس ؟؟!وهل كان على عم النَّبي ﷺ أبي طالب عند وفاته أضر من قرناء السوء، لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة التوحيد التي توجب له سعادة الابد وسرعان ما تنقلب هذه عداوة في الاخرة قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٢)]، والخالط النافع في أمر الخلطة أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم ومجالس الذكر، ونعتزلهم في الشر، وفضول المباحات، فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم تتمكن من أعتزالهم، فالحذر الحذر أن توافقهم، ولتصبر على أذاهم، فذلك أذى يعقبه عز ومحبه لله، وتعظيم وثناء عليك منهم، ومن المؤمنين، ومن رب العلمين، وموافقتهم يعقبها بغض، ومقت وذم منهم ومن الؤمنين ومن رب العالمين وإن دعت الحاجه إلى مخالطتهم في فضول المباحات فلتجتهد أن تقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنك بتشجيع نفسك ولتقوي قلبك ولا تلتفت إلى الوارد الشيطانية القاطع لله عن ذلك

---

(١)سورة الكهف آية ٢٨ .

(٢)سورة الزخرف ٦٧.

بأن هذا رياء ومحبه لإظهار عملك وجالك، ونحو ذلك . فإستعن بالله وإن عجزت فسل قلبك من بينهم كسل الشعرة من العجين، ولتكن فيهم حاضرًا غائبًا تبصر اليهم ولا تبصرهم ، تسمع كلامهم ولا تعيه محاولاً لأخذ قلبك من بينهم والترقي به إلى الملأ الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية وما أصعب هذا وأشقه على النفوس وإنه ليسير على من يسره الله عليه. فبينه وبينك إلا أن تصدق الله وتديم اللجوء إليه وتلقي بنفسك على بابه طريحًا ذليلًا ويعين على ذلك محبة دائمة وذكر دائم من القلب واللسان وتجنب المفسدات وينبغي لك أن تأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة .

وأما عن **فضول الأكل** إعلم أنه من أعظم المهلكات لإبن آدم شهوة البطن، فبها أُخرج آدم من دار القرار إلى دار الذل والإفتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما، حتى أكلاَ منها فبدت لهما سؤآتهما، والبطن هي ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعه شهوة الفرج، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح، شدة الرغبة في الجاه والمال الذان هما وسيلتان للتوسع في المطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات، وضروب المنافسات والمحاسدات . كل ذلك ثمرة إهمال المعدة، وما يتولد منها من بطر الشبع والإمتلاء، ولو ذللت نفسك بالجوع، وضيقت مجاري الشيطان، لأذعنت لطاعة الله، ولم تسلك سبيل البطر والطغيان . عن المقداد بن معد يكرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **"مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسْبِ ابْنِ ادَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَانْ كَانَ لَا مَحَالَهْ : فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"** [١] .

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: **"الْمُؤْمِن يَأْكُلُ فِى مِعَىً وَاحِدِ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءِ "** [٢] والمراد أن المؤمن يأكل بأداب الشرع فيأكل في معي واحد والكافر

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني .

(٢) رواه البخاري (٥٣٩٦) ومسلم (٢٠٦٢) .

يأكل بمقتضى الشهوة والشرة والنهم فيأكل في سبعة أمعاء، وندب ﷺ مع التقليل من الأكل والإكتفاء ببعض الطعام إلى الإيثار بالباقي منه فقال ﷺ : "**طَعَامُ الإِثْنَيْن كَافِي الثَّلاثَة وَطَعَامُ الثَّلاثَة كَافِي الارْبَعَة** "[١] وقد كان النَّبي ﷺ وأصحابه يجوعون كثيرًا، وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام، إلا أن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يتشبه به في ذلك، مع قدرته على الطعام وكذلك أبوه من قبله . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : "**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد مُنْذُ قَدِمَ المَدِيْنَةَ مِنْ خُبْزِ البُرِّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعا حَتَّى قُبِضَ**"[٢] ، وقال ﷺ : " **أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعا فِي الدُّنْيَا ، أَطْوَلُهُمْ جُوْعا فِي الأَخِرَة** " [٣].

**وقال ابراهيم بن أدهم -رحمه الله- :** من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وأن معصية الله بعيدة من الجائع، قريبة من الشبعان، ويروى عن لقمان أنه قال لإبنه "**يَابُنَي إِذَا إِمْتَلأَتْ المَعِدَةَ نَامَتِ الفِكْرَةُ، وَخَرِسَتْ الحِكْمَةَ، وَقَعَدَتْ الأَعْضَاءُ عَنْ العِبَادَةَ**" [٤] واعلم أنه لاسبيل إلى إهمال النفس في الشهوات المباحة وإتباعها بكل حال فبقدرمايستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [٥]، وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة، وأخيرا قال الشافعي: لكل شيئ صدأ، وصدأ القلب مليء البطن.

**وأما عن فضول النوم :** فإن فضول النوم وكثرته، تميت القلب، وتثقل البدن، وتضيع الوقت، وتورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكروه جدا ومنه الضار غير النافع للبدن، وانفع النوم ما كان عند شدة الحاجةاليه، ونوم أول الليل أنفع من

---

(١)) رواه البخاري ٥٣٧٢ومسلم ٢٠٥٨ .

(٢)رواه البخاري ٥١٠٠ ومسلم ٢٩٧٠ .

(٣) صحيح الجامع للألباني ١١٩٩ .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) سورة الأحقاف آية ٢٠ .

آخره، ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه، وكلما قرب النوم من الطرفين قل نفعه، وكثر ضرره، ولاسيما نوم العصر، والنوم أول النهار إلا لسهران، ومن المكروه النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية، حتى لو ساروا أطول ليلتهم، لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت، حتى تطلع الشمس فإنه أول النهار ومفاتحه، ووقت نزول الأرزاق، وحلول البركة ومنه ينشأ النهار، فينبغي أن يكون نومها نوم المضطر، وبالجملة فأعدل النوم وأنفعه نوم نصف الليل الأول وسدسه الأخير وهو مقدار ثماني ساعات وهذا أعدل النوم، وما زاد عليه أو نقص منه أثر انحرافًا بحسبه، ومن النوم الذي لا ينفع أيضا النوم أول الليل عقب غروب الشمس وكان ﷺ يكرهه، فهو مكروه عليه شرعًا وطبعًا ، وأما عن **فضول الكلام** يكفينا ما رواه الترمذي **"كُلُّ كَلَامِ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ ذِكْرَ اللهِ"**.

* علمي أولادك أن يصنعوا المعروف في أهله، وفي غير أهله، فإن كان في أهله فهو في أهله، وإن كان في غير أهله فهم أهله.

* علِّمي أولادك الإنتباه في آخر الليل، فهذا وقت تقسيم الغنائم،وتوزيع الجوائز من الرحمن، فإذا إعتاد هذا صغيرًا، سهل عليه كبيرًا، فمُستقل ومستكثر ومحروم...

* علِّميهم فضل القرآن في الشفاء: هذا عثمان بن أُبيّ، يشتكي رسول الله وجعًا في جسده، منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ : **" ضَعْ يَدَيْكَ عَلَى الَّذِىْ يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوْذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ "** (١).

**علمي أولادك الرقية الشرعية كاملة :**

ـ سورة الفاتحة .

(١) رواه مسلم (٤/ ١٧٢٨ ) .

_ ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ .

_ آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ .

_خواتيم سورة البقرة،قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

_فالله خير حافظ وهو أرحم الراحمين.

_سورة الكافرون.

_المعوذات الثلاثة .

_اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، يَاحَيُّ يَا قَيُّومُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي شَهِدْتُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ. اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ عَنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخَةُ وَنَفْثِهِ - بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، وَعَيْنِ حَاسِدِ اللهِ، يَشْفِيكَ

بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ - بِسْمِ اللهِ يُبْرِيْكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيَكَ، وَمِنْ كُلِّ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِيْ عَيْنٍ - بِسْمِ اللهِ ثَلاثًا أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِذْهَبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَإِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاشِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا - أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّه، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَةٍ - أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ - أَسْأَلُكَ اللهَ الْعَظِيْمِ رَبِّ الْعَرْشِ الْكَرِيْمِ أَنْ يَشْفِيَكَ سَبْعَ مَرَاتٍ - التشهد الثاني...

*علمي أولادك كل هذا وحثيهم على الإستمرار على الدرب بكل الوسائل، والتي منها الجوائز والهدايا، ولا يدخل لك الشيطان من مدخل أنهم سيحبون الدين من أجل المال، أو يحفظون كتاب الله من أجل العطايا، الأمر الذي يحبط عملهم، لا والله إقرأ حديث أنس قال " سُئِلَ رَسُوْلُ اللهِ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدَ يُعْطَى عَطَّاءً مَنْ لَا يَخْشَىُ الْفَقْرَ، وَإِنْ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيْدُ إِلَا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَسُ إِلَّا يَسِيْرًا، حَتَّى يَكُوْنَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَاعَلَيُّهَا" (١) .

**أختي المسلمة : انظري حولك في واقع الأبناء في هذه الأيام**، لتعرفي مقدار المأساة. أما أؤلئك كيف ربوا أبناءهم وماذا علموهم!! وماذا أعدوهم له!!

إقرئي وافتحي القلب قبل أن تفتحي العينين، جاء في السير أنه كان في البصرة نساء عابدات، وكانت منهم أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب خطيبًا فحضهم على الجهاد. كانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتستمع لخطبته، وتمادى عبد الواحد في كلامه، ثم وصف الحور العين، وأنشد فيهن، فهاج المجلس وماج الناس بعضهم في بعض وإضطربوا، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس، وقالت لعبد الواحد: يا

---

(١) رواه مسلم .

أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البلد يخطبونه على بناتهن، وأنا أبخل به عليهم، فلقد أعجبني والله هذه الجارية وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها، فأخذ ينشد في وصف الحوراء :

تولد نور النور من نور وجهها ∴ فمازح طيب الطيب من خالص العطر

فلو وطأت بالنعل منها على الحصى ∴ لأغشيت الأقطار من غير ما قطر

ولو تفلت في البحر شهد رطابها ∴ لطاب لأهل البر شرب من البحر

فوثبت أم إبراهيم وقالت له قد أعجبتني والله هذه الجاريه وأنا أرضاها عروسًا لولدي فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مهرها عشرة آلاف دينار؟! ويخرج معك إبراهيم في هذه الغزوة ؟! فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعًا لي ولأبيه يوم القيامه؟!.

فقال لها لئن فعلت، والله لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك، والله لتفوزن فوزًا عظيمًا، فنادت ولدها إبراهيم، فوثب من وسط الناس، وقال لها لبيك أماه، فقالت أي بني أرضيت بهذه الجارية زوجة لك ببذل مهجتك في سبيل الله، وترك العود في الذنوب؟ ، فقال الفتى: أي والله يا أماه رضيت ..

فقالت اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية، الثمن : بذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب. فتقبله هديه مني لك يا أرحم الراحمين، ثم أنصرفت ثم رجعت، فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد هذا مهر الجارية ، تجهز به وجهز الغزاة في سبيل الله، ثم انصرفت فاشترت لولدها فرسًا وسلاحًا.

فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم، رغم صغر سنِّهُ يعدو، والقراء حوله يقرأون قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ

﴿لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[١]. فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها، دفعت إليه كفنًا وحنوطًا، وقالت له أي بني إذا أردت لقاء العدو، فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وأياك ثم إياك أن يراك الله مقصرًا في سبيله!! ثم ضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه، وقالت: يا بني لا جمع الله بين وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.[٢]

قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو،وبرز الناس للقتال، برز إبراهيم في المقدمة، فصال وجال وكر وفر، تارة في الميمنة، وتارة في الميسرة، فقتل من العدو خلقًا، ثم اجتمعوا عليه فقتلوه. فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها، حتى ألقاها بحسن العذاء، لئلا تجزع فيذهب أجرها. قال فلما وصلنا البصرة، خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم مع من خرج، فلما أبصرتني قالت: يا أبا عبيد هل قبلت مني هديتي فأهنأ أم ردت على فأعزى ؟!.

فقلت لها قد قبلت والله هديتك. الآن إبراهيم حي يرزق مع الشهداء إن شاء الله، فخرت ساجدة لله شكرًا، وقالت الحمد لله. الحمد لله الذي لم يخيب ظني، وتقبل نسكي، ثم انصرفت. فلما كان من الغد أتت في المسجد فقالت السلام عليك يا أبا عبيد، بشراك! بشراك ! فقلت لازلت مبشرة بالخير. فقالت له : رأيت البارحة ولدي إبراهيم، رأيته في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج وأكليل، وهو يقول لي أبشري أماه فقد قُبِلَ المهر، وزفت العروس، تأملي أيتها الغالية.

كيف تساهم المرأة في إعداد الأبطال؟!.

انظري إلى همِّ المرأة المسلمة!.

---

(١)سورة التوبة آية ١١١.

(٢) سورة التوبة آية ١١١

هو نصرة الإسلام والمسلمين مهما كان الثمن.

انظري إلى الدور العظيم الذي تستطيع المرأة المسلمة أن تقوم به إن هي صلحت أولًا .. إن هي صلحت أولًا..

وأسماء بنت الصديق أبي بكر لها مقولة مع إبتها عبد الله بن الذبير بن العوام، سجلها التاريخ ، ذلك أنه لما نادى منادي الجهاد، قال أماه سمعت رؤس الكفر، يقولون إنهم سيمثلون بقتلى المسلمين بعد الحرب، قالت يا بني إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها، فإنطلق إلى الجهاد على بركة الله.

إن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى مثل هؤلاء الأمهات اللاتي يرضعن أبنائهن مع اللبن حب الإسلام، والتضحية في سبيله فهل تكونين تلك الأم ؟! .

ومن يتهيب صعود الجبال ∴ يعش أبد الدهر بين الحفر

كثيرات يدعين المحبة لكن شتان بين الصادقين والصادقات، وبين الكاذبين والكاذبات، في المصائب والآلام، وفي المواقف والشدائد، تظهر معادن الرجال والنساء.

بعد معركة أحد أشيع أن النَّبِي ﷺ قُتِلَ، فخرج الناس يتلقون الجيش العائد من المعركة، والكل يسأل عن أخبار ذلك اليوم العظيم، خرجت من بينهن إمرأة من الأنصار، خرجت لتطمئن على الحبيب ﷺ، قيل لها مات أبوك، فاسترجعت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا صنع رسول الله ﷺ ؟! .

فقيل لها مات زوجك فاسترجعت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا صنع رسول الله ﷺ ؟!.

قيل لها مات أخوك، فاسترجعت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا صنع

رسول الله ﷺ ؟! ، وقالوا لها هو بخير، فدائي بأبي أنت وأمي وروحي يا رسول الله، والله لا يهدأ لي بال، ولا يقر لي قرار، حتى أراه بأم عيني. فلما رأته بكت وضحكت وتبسمت، وقالت: كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله.

هل شاهدت مثل هذا الحب؟!.

أرأيت كيف هان عليها فقد الأب والأخ والزوج؟!.

إنه الحب الصادق لله ولرسوله ﷺ ، كيف لا تحبه وهو الذي أنقذها الله به؟! من الظلمة إلى النور... من الكفر إلى الإيمان .. من الجهل إلى العلم ، من الشقاء إلى السعادة.. من النار إلى الجنة.

ولتعلمي أن الحب المطلوب شرعًا يختلف عن الحب بمفهومه الضيق أقول ذلك لنعلم جميعًا أنه الحق سبحانه قائمًا بالقسط فلا يكلف شططًا، ولا يكلف فوق الوسع، أو فوق الطاقة، إن الحب المراد لله ولرسوله في التكليف هو الحب العقلي. ولا بد أن نفرق بين الحب العقلي والحب العاطفي. العاطفي لا يُقَنن له أي لا قانون له. فمثلًا الإنسان يحب أبنه حتى ولو كان قليل الذكاء أو صاحب عاهة، يحبه بعاطفته، ولكنه يكره قليل الذكاء بعقله. وفي نفس الوقت قد يحب ابن عدوه إذا كان متفوقا، هنا أَحَبَه بعقله لا بعاطفته.

كذا التكليف دائمًا يقع في إطار المقدور عليه، وهو حب العقل، ومع العقل قد يسأل الإنسان نفسه، ماذا تكون حياتي وكيف لو لم أعتنق هذا الدين؟!

وماذا تكون الدنيا وكيف ؟! لو لا -رحمه الله- بنا عندما أكرمنا بهذا الدين؟! وأرسل لنا هذا الرسول الكريم؟! ، إن هذا الحديث حديث العقل، وهذا الحب حب العقل، وقد يتسامى الحب فيصير بالعاطفة أيضًا، ولكنه لابد وأن يبدأ بالعقل.

لكن المكلف به هو حب العقل، وليس حب العاطفي، ولذلك يجب أن نفطن إلى ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حينما قال رسول الله ﷺ " **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىَ أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِه ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ**" [1]، وقف عمر عند هذه النقطة، فقال أمعقول أن يكون الحب لكَ أكثر من النفس؟! إنني أحبك أكثر من مالي، وأحبك أكثر من ولدي، إنما من نفسي؟! ففي النفس منها شيئ. وكررها للنبي ثانيًا وثالثًا، وفي كل مرة يقول له رسول الله ﷺ من نفسك ياعمر! ، ففطن عمر أنها تكليف، وأنها لابد أن تكون من الحب المقدور عليه، وهو حب العقل، وهنا قال عمر الآن يا رسول الله، فقال رسول الله الآن يا عمر، أي كمل إيمانك.

أي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فهم المراد، فإذا كان قد أرسله الله رحمه للعالمين، وأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وأوجب لنا الجنة بمحبته وإتباعه فلماذا لا نحبه؟! ، فوصل إلى حب العقل ثم تسامت علاقته به ﷺ حتى أحبه بقلبه أيضًا أكثر من نفسه.

إذا سألت سؤالًا هل تحبين رسول الله ﷺ ؟! ، ستقولين نعم .

وأنا أعلم أنك تحبين ولكن ما هو الدليل؟!.

هل اتبعتي سُنَّته؟!.

هل أخذتي بهديه؟!.

هل تذكرين اسمه وتصلين عليه في اليوم والليلة؟!.

هل تحفظين من أحاديثه؟!.

ماذا تعرفين عن سيرته ؟!.

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

أين أنت من أوامره التي أمر بها ؟!.

أين أنت من نواهيه التي نهى عنها ؟!.

ماذا فعلت ؟!.

كم بذلت لنصرة هذا الدين والدعوة إلى دعوته ؟!.

أين حبك من حب السلف - رضوان الله عليهم - له ؟! .

نسينا في لقاكم كل غال ∴ فأنتم اليوم أغلى ما لدينا

تسلى الناس بالدنيا وإنا ∴ لعمر الله بعدكم ما سلينا

ولمّا نلقكم ولكن شوقنا ∴ يذكرنا فكيف إذا التقينا

نلام على محبتكم ويكفينا ∴ شرفًا نلام ولا علينا

إن كان عز في الدنيا اللقاء ∴ ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفنا

**أختي المسلمة:**

**إليك هذا الخبر الذي يحمل صفة وخصلة، لو حملتيها ولبستيها، لصلحت لك جميع الأمور:**

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ " **الْحَيَاءُ لَا يَأْتِى إِلَا بِخَيْرٍ** "[1].

وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " **كَانَ رَسُوْلُ الله أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ** " [2] .

وفي الصحيح عنه ﷺ " **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُوْلَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَأَصْنَعَ مَا شِئْتَ** " [3]. قيل الحياء والأنس يطرقان القلب، فإن وجدا

---

(١)رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ، وابن ماجة .

(٣)رواه البخاري .

فيه الزهد والورع وإلّا رحلا ".

ويقول أحدهم: والله إني لأستحى أن ينظر الله في قلبي فيجد فيه أحد سواه.

**يقول الفضيل بن عياض خمس من علامات الشقوة :**

قسوة القلب. جمود العين. قلة الحياء. الرغبة في الدنيا. طول الأمل.

قال يحيى بن معاذ: ( من استحي الله مطيعًا، استحى الله منه وهو مذنب).

قال ابن القيم : (من لا حياء فيه، فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء.).

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله).

وقيل لابن عبد العزيز عمر : (إذا ذهب الحياء ذهب نصف الدين، قال لا إذا ذهب الحياء ذهب الدين كله).

وإذا كان الحياء جميلًا في الرجال، فهو في المرأة أجمل وأزين! ووالله إن فقدت المرأة حيائها لباطن الأرض خير لها من ظاهرها.

إذا لم تخشى عاقبة الليالي ∴ ولم تستح فأصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ∴ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ∴ ويبقى العود مابقي اللحاء

إقرئي كيف تضرب سيدة نساء العالمين، فاطمة بنت محمد ﷺ مثلًا للعفاف والحياء كما ينبغي أن يكون.

إسمعيها وهي تحاور وتقول لأسماء بنت عميس (زوجة أبو بكر) يا أسماء إني لأستحى أن أخرج غدًا على الرجال من خلال هذا النعش بجسمي!.

كانت النعوش عبارة عن خشبة مصفحة يوضع عليها الميت، ويطرح عليه الثوب، فيصف حجم الجسم ، خشيت فاطمة ﴿عليها السلام﴾ إذا هي ماتت، أن تحمل على مثل هذه النعوش فيكون ذلك خدشًا لحيائها وحشمتها!.

قالت أسماء بنت عميس : أو لا نصنع لك شيئا رأيته في الحبشة ؟! فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه بما يشبه الصندوق، ثم طرحت عليه ثوبًا فكان لا يصف الجسم.

فلما رأته فاطمة ﴿عليها السلام﴾ ، فرحت به وقالت لأسماء ما أحسن هذا وأجمله!! سترك الله كما سترتيني..

قيل هي أول من غطى نعشها في الإسلام على تلك الصفة.

أرأيت أيتها الغالية، وسمعت كيف تحمل المؤمنة هم حياءها وعفافها وحجابها حتى بعد مماتها؟!.

تريد أن تعيش عفيفة، وتموت عفيفة وتحشر إلى الله وهي عفيفة !!.

إن الحياء والحجاب عند المؤمنة قضية لا تحتمل النقاش، وهمٌ لا يقبل المساومة، إنه طاعة لله واستجابة لأوامر الله وإنقياد لحكمه، إنه الثغر الذي تتحصن به المسلمة، فلا تتسرب من خلاله رذيلة وفاحشة، ولا تستباح محرمات، ولا تدنس أعراض إنه عنوان صلاحك، ودليل إعتزازك بدينك، وشعارك الذي ترفعينه في وجه أعدائك ، وكل من يخالفك وأنت صامتة.

لستُ من تُأسر الحلى صباها ∴ فكنوزي قلائد القرآن

وحجاب الإسلام فوق جبيني ∴ هو عندي أبهى من التيجان

لست أبغى من الحياة قصورًا ∴ فقصوري في خالدات الجنان

**انظري إلى الواقع من حولك أختي المسلمة:**

كيف تفلتت النساء من حيائهن وحجابهن؟! .

كيف يُعلِّن أن الحياء والحجاب تخلف ورجعية ويقيد الحرية !.

ولكن صدق الصادق المصدوق ﷺ حين قال: " **بَدَأَ الدِّيْنُ غَرِيْبا وَسَيَعُودُ غَرِيْبا فَطُوْبَى لِلْغُرَبَاءِ**" [1].

**أختي المسلمة:**

ليتك تدركين أنه إذا سقط الحجاب سقط الحياء، وسقطت الأخلاق، وسقط المجتمع كله ، لذلك لما أدرك الغرب هذه القاعدة، وخطتهم إفساد المجتمع المسلم، وجدوا أن أيسر الطرق وأسهلها للإفساد هو إسقاط حجاب المرأة، فبدأوا يشنوا حربًا متعددة الصور، مرة يشككون في شرعية الحجاب، ومرة يشككون في هيئته وصورته، ومرة يظهرونه بمظهر النقص والإزدراء، والسخرية منه، وهم في الغالب يظهرون أنفسهم مظهر الناصح المشفق، الحريص على الإصلاح ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [2]، وأحيانًا لا يستطيعون كتمان كل ما تكنه صدورهم، فتتفلت منهم عبارات ما يفضح حقيقتهم من السب والشتم لهذا الحجاب الذي عرقل مسيرتهم وبطأ تحقيق أهدافهم...

إعلمي أختي أنه كلما ضعف الإيمان في القلب، وقصر العلم كلما حصل التأثر بهم.. فنرى من نساءنا من تأثرت بتلك المعركة على الحجاب، فتحاول التخفيف منه، والتمرد عليه، بل ينظر البعض على أنه عقوبة فرضت على النساء.

فسبحان الله العظيم ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ

---

(١)رواه مسلم ١٤٥ .

(٢)سورة البقرة آية ١١ .

يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١]. إذا كان هناك يقين !!.

فأدراكك لكمال شرع الله وحسن حكمه، مرتبط بيقينك، فكلما قوى اليقين أدركت ذلك، وعلمت أن الله أحكم الحاكمين، وأن شرعه تعالى فيه الخير العاجل والآجل، والثمرات الطيبات، وما هو إلا خطوات إلى الحياة الطيبة.

ومن الأقوال المزعومة أن الوجه ليس بعورة، والحمد لله قد نزل الله كتابًا تبيانًا لكل شيء، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢]، ولن نضل ما تمسكنا بكتاب ربنا، وسُنَّة نبينا محمد ﷺ، وإنما يحصل الضلال وتكثر الأقوال، وتتشعب الأراء، وتتفرق القلوب، إذا هجر القرآن والسُنَّة. واستغنى بعقله عن هدى كتاب الله وسُنَّة رسوله أو من رجع إلى الكتاب والسُنَّة لا رجوع المسترشد المستهدي، بل ليبحث عما يؤيد به هوى في نفسه مبيتًا، وحكمًا في عقله مقررًا. وبعبارة مختصرة فإن سبب ضلال من ضل، ناشيئ عن جهل أو إتباع هوى أو إجتماع الأمرين.

**وهذه أختي أدلة وجوب ستر المرأة:**

## الدليل الأول:

قوله في حق أمهات المؤمنين في سورة الأحزاب ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٣]، إعلمي أن أمر الله لواحد في الأمة أمر للأمة كلها، إلا أن يدل على أن الحكم خاص بمن خوطب به حتى النَّبِي ﷺ أمر الله له أمر للأمة كلها إلا أن يدل دليل على أن الحكم خاص به. ومما يدل على أن الأمر الوارد في آية (٥٣) في الأحزاب عام لجميع النساء

(١) سورة المائدة آية ٥٠ .
(٢)سورة النحل آية ٨٩
(٣)سورة الأحزاب آية ٥٣ .

قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾. فهذا علة الأمر وسببه. فعموم علته دليل على عموم الحكم فيه كما في القاعدة الأصوليه.

فلا شك أن طهارة قلوب جميع الرجال والنساء أمر واجب ومطلوب، وأن أهم أسبابها بحجب الرجال عن النساء كما قرر الله تعالى ، وأنه بفقد الحجب تفقد الطهارة فيحصل ضدها فدل ذلك على وجوبه.

وإذا قال الله ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ فلا يقل أحد غير ما قال الله، لا يقل أحد أن الإختلاط وازالة الحجب، والترخص في الحديث، والنقاش والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب، وأعف للضمائر،وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار الجنسين بالأدب، وترقيق المشاعر والسلوك، إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله، لا يقل أحد شيئًا من هذا والله يقول ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[1] ، يقول هذا عن نساء النَّبي ﷺ الطاهرات أمهات المؤمنين وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ ممن لا تتطاول اليهنَّ واليِّهم الأعناق، وحين يقول الله قولًا، ويقول من خلقه قولًا، فالقول لله سبحانه، وكل قول آخر لايرده الا من يجرؤ على القول بأن الخلق الفانين أعلم بالنفس البشريه من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء، سبحان الله أأنتم أعلم أم الله !! والواقع العملي الملموس،صَدَّق الله وكذَّب المدعين ، يا أختاه اعرفي قيمة ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ ﴾ فالقلب الطاهر هو القلب السليم ،و القلب السليم هو الثمن الوحيد الذي يصلح لشراء الجنة غدا ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2] .

---

(١)سورة الأحزاب آية ٥٣ .

(٢)سورة الشعراء آية ٨٨- ٨٩ .

**الدليل الثاني**:

قوله تعالى في آيه سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[١].

والجلباب هو الرداء فوق الخمار ، وإذا كان الإيذاء قديما أن يتكلم عنهن الكفار أو يتعرضوا للمؤمنات بالأذى من القول والفعل، فإن الإيذاء اليوم هو ما نراه في شوارعنا من شباب يلاحق فتاة بالمعاكسة أو الغزل الفاضح أو الألفاظ الجارحة، وهم في الغالب يبدؤن بمن ارتدت درع الحجاب واعتصمت بحصنه، لكنهم يبدؤن بمن تخلت عن الحجاب بما يرون فيها من كشف للعورة وإظهار للفتنة .

**الدليل الثالث**:

قوله تعالى في آيه سورة النور ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾[٢]. توضح هذه الآيه ما رواه البخاري عن عائشة قالت : " يرحم الله النساء الأنصار المهاجرات الأول لما أنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾ شقق مروطهن فاختمرن بها ".

**وقال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-** في فتح الباري شرح صحيح البخاري قوله (فاختمرن) ، أي غطين وجوههن. وصفه ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على الجانب الأيسر وقوله ﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾هي التي لابد أن تظهر كظاهر الثياب. فقال ما ظهر منها ولم يقل ما أظهرن منها.

---

(١)سورة الأحزاب آية ٥٩ .

(٢)سورة النور آية ٣١

**الدليل الرابع**:

أن الرسول ﷺ لَمَّا حَرَّمَ أَسْبَالُ الثِّيَاب قَالَتْ أُمُّ مُسْلِمَةَ : " **فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُوْلِهِنَّ ؟! قَالَ يُرْخِينَ شِبْرًا قَالَتْ إِذاَ تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ فَيُرخِينَ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ**"[(١)] . " **يُرْخِينَ شِبْرًا** " أي زائدًا على ثوب الرجل غير المُسبل .

فأيها أدعى لحصول الفتنة وأولى بالستر الوجه أم القدمان؟، هل يظن من فهم الشريعة وعرف حكمها وحكمتها أنها تطلب من المرأة أن تستر قدمها وترحض في كشف وجهها والأدلة كثيرة ولكن ليسع المقام.

**أختي المسلمة:**

ولنأخذ عبرة ممن حولنا ممن أخذوا بالأقوال الضعيفة كيف آل بهم الأمر من إخراج الوجه ثم شيئ من الشعر ثم الشعر كله ثم أطراف الساعدين ثم الساقين حتى آل بهم الأمر إلى ماهو معلوم، حتى أصبحت بلادنا كأنها قطعة من بلاد الكفر.

إعلمي أيتها المسلمة أن المتبرجة مسئولة عن حالة التدهور الحيائي المنتظرة في الجيل القادم، وإذا كانت تسير في الطريق اليوم بنصف حياء فماذا تتوقعي من إبنتها بعد عشرات السنين وقد تربت على يديها ؟!

قرأت عن إمرأة أنه لما كان في بلغاريا ذكر أن هناك لما طبق النظام الشيوعي وأمروا بنزع الحجاب للمرأة المسلمة لم تستجيب لهم، ولأن الخيار ليس بيدها، فقد لزمت بيتها حتى لا تخرج سافرة وبقيت كذلك ٤٥ عامًا وقد تقدم بها العمر.

فهي أخذت من حجابها عبادة تتعبد به كالصلاة والزكاة وسائر شعائر الدين، ولم تتخلى عنها، ولم تعدها عادة تعارف الناس عليها، ثم مع أول تيار تنزعه.

هذا من أهم أسباب ترك الحجاب في بلدان كانت تتمسك به، وتحافظ عليه،

(١)أخرجه الترمذي بسند صحيح .

هو أنهم يتمسكون بالحجاب، ويحافظون عليه على أنه عادة، ورثها الجيل ممن قبله فحسب، وهذا أختي إنحراف خطير أن تتحول العبادات إلى عادات.

فالعبادات ترتبط بأمر الله ونهيه، ويترتب عليها رضي الله تعالى وسخطه.

أما العادات فهي أمور يتعارف الناس عليها، وغير مستنكر أن تختفي عادة ويحل محلها عادة أخرى، وإن إستنكر تغييرها بعض الناس فما يلبث هذا الإستنكار أن يخف، ثم يزول ويحل محله الإلف، والإقرار لتلك العادة الجديدة.

**فيا أختي المسلمة:**

بارك الله فيكِ ، إعلمي أن معركة الحجاب قديمة، ومحاولة إسقاطه ليست وليدة يومنا هذا، وفي كل جولة كان العدو يرجع خاسئًا وهو حسير، والآن وقد وصل الدور إليك، فإحذري أن تكون الهزيمة بسببك، وأن يكون إنتصار العدو في عهدك، فجاهدي لتظل راية الحق خفاقة، ولواء الحشمة والعفاف مرفوعًا، كما جاهد من قبلك ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [(١)].

وسترى أثر ذلك في حياتك طيَّبها الله.

**وأوجه كلمة إلى الأخت الزاهية بجمالها، والمفاخرة بأزيائها، أقول أختي الحبيبة :**

إجمعي آلاف المرات التي خرجت، كم نظرة نظرها أي شاب إليك وهم كثير، واحدة في ميزانك والثانية في ميزانه، وعندها ستفاجئين أنها أكبر من أن تُعد وأن تحصى . وربما لاتدركين أثر تبرجك وتفريطك على قلوب الشباب، فكم مرة خرجت فيها متعطرة متزينة تبدين مفاتنك، فوقع نظر شاب عليك، وكان ذاهبًا إلى الصلاة فامتلأ قلبه حسرة حتى ضاعت صلاته ؟! كم من حلاوة إيمان في قلب

---

(١) سورة محمد آية ٧ .

ضاعت بنظرة اليك ؟! كم من أوقات هدرت وأذهان شغلت وجهود بددت وأموال أنفقت في حرام وأنت السبب ؟!إنه كذلك إثم دفع الأزواج إلى النفور من زوجاتهن، وذلك بالمقارنة بينك وأنت في أبهى زينة وأغري ثياب وبين المسكينة المكبلة برعاية أطفالها، وخدمة زوجها وهي في ثياب الخدمة والبيت، ومن ثم الخلاف والشجار ثم ربما تفكك الأسرة والإنهيار، إنه كذلك إثم إرشاد الأخريات إلى التبرج والتشجيع عليه حيث جرأت غيرك من النساء على الوقوع فيه، فلم تكفيك ذنوبك حتى أضفت اليها ذنوب الأخريات !!.

وبدلاً من أن تضعي يدك في أيدينا لبناء ألأمة المسلمة تستنزفي الطاقة مع التبرج في تدمير الأمة ! وبدلا من حمل الشباب همَّ النهضة وانتشالنا مما لحقنا من تخلف وضياع على جميع المستويات، يحمل الشاب والفتاة همَّ إرواء الظمأ وإشباع الغريزة، والبحث عنها حراماً في صفحات ومواقع، وكتب صفراء تصب الزيت على النار، وتحرق الأعصاب، وتلهب القلب بالسياط .فبالله أطفئي الحريق وهو شرر وإلا فالنار لا تبقي ولا تذر، بل وتصيب أول ما تصيب من أشعلها !!.

**أفيقي أخيه:**

فمخططات اليهود كانت، ولا تزال تهدف إلى ذبح الإسلام على يد أبنائه، وذلك بتفريغ شرائعه من مضمونها، فلا يبقى في الصلاة معنى الصلة بالله، وتهذيب الخلق، والنهي عن الفحشاء والمنكر بل تصبح حركات جافة لا روح فيها، ولا يبقى في الصوم معنى مواساة الفقير وتطهير اللسان من الرفث، والعين من الزيغ، بل يتحول إلى مجرد جوع للجسد لا يؤثر في الروح بشئ، ولا يبقى في الصدقة معنى تطهير النفس وشكر النعمة بل تصبح عبئًا ثقيلًا وقيدًا، وكذلك لا يبقى في الحجاب معنى ستر الزينة، ودرء الشهوة، بل أودى عكس المطلوب فأغري الرجال، فهل تتحولين يا أختاه من حيث لا تشعرين إلى أداة لتنفيذ مخططات الأعداء ؟! وتنقلبين

في أيديهم إلى دمية؟!.

وهل تركضين خلف العدو ليقتلك ؟! ولا يخفي عليك أن اليهود هم رواد تحطيم الإمة عن طريق المرأة، وإثارة الشهوات، وكشف العورات، إبتداء من بني قينقاع، حين كشفوا عورة المرأة المسلمة التي إرتدت الحجاب في السوق، بل ومن قبل ذلك بكثير على مدار تاريخهم، حتى قال عنهم رسول الله ﷺ : " **فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**" .

وقبل أن أختم معك أختي المسملة بقي خطوة من خطواتك إلى الحياة الطيبة وهي القرار في البيت ..





# الخطوة الخامسة

## القرار في البيت

المشكلة أنه إعتاد الكثير من النساء الخروج من البيت، ولو لغير حاجة، وهذا مخالف لأمر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[١] حتى أن فيهن من لو مر عليها أيام قلائل وهي لم تخرج من البيت تعكر مزاجها وانقبض صدرها، فسبحان الله العظيم !!.

إن أمر القرار في البيت من لدن حكيم عليم، لطيف خبير الذي خلق الخلق ذكرهم وأنثاهم وهو أعلم بهم، وبما يصلحهم وما يصلح لهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[٢].

لكن.... لما أعتاد كثير من النساء هذا الخروج من الصغر، ودرجن عليه، صعب عليهن تركه في الكبر، فالله الله في المجاهدة . الكثيرات يقلن أريد أن أقر في البيت ولكن ... ، ولكن ماذا يا مسكينة، هذا حكم الله ومن لم يرضى بما قسمه الله له أتعب بدنه وعقله، وكان عند الله من المذمومين. الكثيرات يقلن نريد أن نرتدي الحجاب الشرعي ولكن ... ، ولكن ماذا يا حفيدة خديجة وعائشة؟!.

لا تشكِ أن امتثال أوامر الله مرتبط به مع حسنَة الآخرة حسنَة الدنيا من السعادة والأُنس وإنشراح الصدر، وراحة البال، وطمأنينة القلب.

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[٣]

(١)سورة الأحزاب آية ٣٣

(٢)سورة الملك آية ١٤.

(٣)سورة النحل آية ٧٩ .

وإن مخالفة أمر الله مرتبط به مع عقوبة الآخرة، عقوبات في الدنيا من الهموم والغموم والإكتئاب، وقلة التوفيق وغير ذلك

**نداء أخير اليك أختي المسلمة:**

قال الله الرحيم الكريم المنان : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].

وقال الله الرحيم الكريم المنان : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[٢].

وقال الله العزيز المنتقم الجبار: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٣].

وحذر الأمين المختار: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٤].

وقال الرسول ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٥].

فماذا عساني وإياك أن نقول!! ، لقد علمتِ من سير الصحابيات الفاضلات .. والمؤمنات غيرهن، فإقرئي سيرهن.. وإن كن قد إستطعن، فأنت أيضًا تستطيعين ...، والله الذي لا اله غيره تستطيعين... .

المنبع واحد..

والمصدر واحد..

والطريق واحد..

---

(١)سورة البقرة آية ٣٨ .
(٢)سورة طه آية ١٢٣ .
(٣)سورة طه آية ١٢٤ .
(٤)سورةالنهد آية ٦٣ .
(٥)سورة الزمر آية ١٣ .



إنما تختلف النساء بإختلاف هممهم..

إستعيني بالصبر والصلاة..

ولا تحزني بقلة السالكين..

ولا تغتري بكثرة الهالكين، ولا يزيدك تهاون الناس في الدين إلا قربًا من الله..

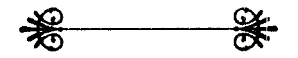
أما قال ربك: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١).

أما قال ربك: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٢).

أما قال ربك: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٣).

**رجائي غاليتي قبل الختام:** إقبلي على شأنك، وانزوى في غرفتك، إلا من قول خير أو فعل خير، حينها تجدي قلبك عاد إليك، فَسَلِمَ وقتك من الضياع، وعمرك من الإهدار، ولسانك من الغيبة، وقلبك من القلق، وأذنك من الخنا، ونفسك من سوء الظن، ومن جربت عرفت، أما إذا أركبت نفسك مطايا الأوهام، واسترسلت مع العوام فعليك السلام ..اللهم فاشهد.. اللهم قد بلغت..

سدد الله خطاك وحفظك في دينك ودنياك ، وجعلك زخرًا وحصنًا للإسلام والمسلمين ، اللهم زد السالكين هدى ، ودل الحيارى واهدي الضالين ، يا أرحم الراحمين ... آمين.



(١) سورة سبأ آية ١٣ .

(٢) سورة يوسف آية ١٠٣ .

(٣) سورة المائدة آية ١٠٠ .

# المراجـــع


* القرآن العظيم.
* فتح الباري في شرح صحيح البخاري.
* صحيح مسلم .
* كتب ابن القيم السلسة الصحيحة للألباني .
* صحيح الترمذي للألباني .
* صحيح ابن ماجة للألباني .
* كتب الدكتور عدنان النحوي .
* الترغيب والترهيب للمنذري .
* الزهد والرقائق للإبن المبارك .
* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم.
* البداية والنهاية لابن كثير .
* تفسير المعوذات لابن القيم .
* جامع العلوم والحكم لابن رجب .
* مدارج السالكين لابن القيم .

كتب الشيخ عائض القرني.
* كتب الشيخ أحمد الحواش.
* كتب الدكتور خالدًا عبد الكريم.

من أحدث مطبوعات دار الايمان

سلسلة
تيسير القراءات القرآنية
من طريق الشاطبية

# قراءة أبي جعفر

## عن حمزة بن حبيب الزيات

فضيلة الشيخ
جمال فياض
عفا الله عنه

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

# الفهرس

**من أحدث مطبوعات دار الإيمان**

سلسلة

تيسير القراءات القرآنية

من طريق الشاطبية

# رواية خلف

براوييه

ابن وردان وابن جماز

فضيلة الشيخ

## جمال فياض

عفا الله عنه


دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٢٦٩٠

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

# رواية دوري

## أبو عمرو البصري

« حفص بن عمر بن عبد العزيز عن الإمام أبو عمرو البصري »

فضيلة الشيخ

جمال فياض

عفا الله عنه

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

اسكندرية ت ٥٤٥٧٢٦٩